الآثار العقدية في أدعية الأنبياء

في القرآن الكريم



تأليف
بلسم عثمان إبراهيم النعيمي

دار المقتبس

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدمت بها المؤلفة إلى الجامعة العراقية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، بإشراف أ.د. عبد الستار حامد الدباغ، وناقشها: أ.د. خميس دحام الزوبعي، و أ.م. د. أحمد هاشم المشهداني، و أ. م. علي غنيان، وحازت بها المؤلفة درجة الماجستير، بتقدير امتياز، وذلك سنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الآثار العقدية في أدعية الأنبياء في القرآن الكريم

دار المقتبس

مؤسسة ثقافية
تُعنى بالنشر والطباعة والتوزيع للكتاب العربي
أسسها نور الدين طالب سنة ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٤م.

ـ سوريا ـ دمشق ـ الحلبوني
(ص. ب:34306)
00963933093781
00963933093782

ـ لبنان ـ بيروت ـ كورنيش المزرعة:
(ص. ب: 14/6759)
00961 70 81 33 77
00961 70 81 44 77

moqtabas
t.almoqtabas.com
f.almoqtabas.com
y.almoqtabas.com
i.almoqtabas.com
l.moqtabas.com

E_mail: info@almoqtabas.com
Website:/http://almoqtabas.com

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

ISBN 978-9933-548-19-3

الآثار العقدية

في

أدعية الأنبياء ﷺ

في القرآن الكريم

تأليف

بلسم عثمان إبراهيم النعيمي

دار المقتبس

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

كانت المرأة بصورة عامة في الجاهلية مبتذلة مهانة في مجتمع يسلبها أنسانيتها وحريتها وآمالها وتطلعاتها، موؤدة الروح والجسد! فجاء النبي ﷺ بهذا الدين العظيم، والعقيدة السمحة. فحررها من قيود الجاهلية. وأعاد لها فطرتها وانسانيتها، وأعطاها حقها الكامل. وكانت الوصية بالنساء من آخر وصاياه أوصى بها ﷺ: «... واستوصو بالنساء خيراً ...».

فإلى قرة عيني وسيدي ونبي محمد ﷺ.

ثم إلى زوجه المصون وحبه المكنون سيدتي المبرأة المطهره أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ثم إلى ابنته الغالية، سيدة نساء العالمين ... فاطمة بنت محمد ﷺ رضي الله عنها وأرضاها.

وحشرني معهم في يوم كل سبب ونسب منقطع إلا سببه ونسبه ﷺ.

❑❑❑

شكر وعرفان

من الإنصاف والعدل رد الفضل لأهله، فإنما (يعرف الفضل لذوي الفضل أولو الفضل)، فأتقدم بالشكر الجزيل، والعرفان الجميل أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً لمن لا يستحق الشكر كله إلا هو، ولا المنّة كلها إلا هو، ربنا الكريم الشكور المنّان، على أن جعلنا من خير أمة، ومن أتباع خير نبي ﷺ، وأن يسّر لي سبيل العلم وطلبه، وما زال يجود بفضله، ويمن بنعمته، فله الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما، وملء ما شاء ربنا سبحانه.

ثم شكري وتقديري للأب الحنون والأستاذ الكريم، الدكتور عبد الستار حامد الدباغ ـ حفظه الله ـ لمّا أشرف عليّ وأثرى البحث بالملاحظات والمراجعات والتصويبات.

ثم شكري وتقديري لجميع أساتذتي الأفاضل في كلية أصول الدين، الذين تعلمت على أيديهم.

والشكر موصول إلى أستاذي وزوجي الكريم الأستاذ الدكتور عبد القادر مصطفى المحمدي، فكان الموجه والمعين بعد الله تعالى.

ولا أنسى أستاذتي الحاجة أم عمر التي شجعتني ودفعتني إلى ركوب هذا المركب الصعب.

وكذا الشكر موصول إلى بنياتي الغاليات، (نور، ورفأ، وفاطمة) على صبرهنّ عليّ إن وقع مني تقصير في وقت من الأوقات.

فلكم جميعاً أقول[١]:

سعيتُ ابتغاءَ الشكرِ فيما صنعتَ بي   فقصّرتُ مغلوباً وإنّي لشاكرٌ

لأنك تعطيني الجزيلَ بداهةً   وأنت لِما استكثرت من ذاك حاقرٌ

❐❐❐

(١) هذان البيتان لطريح بن إسماعيل الثقفي، ينظر: البيان والتبين، للجاحظ ٢/ ٢٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى، والصلاة والسلام على نبي الرحمة صاحب المقام المحمود والشفاعة العظمى، وأهل بيته وصحابته وتابعيهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد اختصت العقيدة الإسلامية بسمات ميزتها عن كل الديانات والدعوات السابقة واللاحقة، فهي عقيدةٌ ربانية ثابتة واضحة وميسرة، تخاطب الجميع وتدخل أفئدة السامعين بغير استئذان، حتى المنصفين من المختصمين معها لابد أن يعترفوا بخصائصها وجمالها، وإن غلب الكبر والحمق عليهم فناصبوها العداء.

فعقيدتنا هي عقيدة القرآن، محفوظة بحفظه، وممتدة بعمقه، ومستمدة من معينه الصافي الذي لا ينضب.

فمهما اختلطت الأهواء وتمازجت المشارب، وكثرت النحل والملل فأبناء هذه العقيدة لن يضيعوا، ولن يتيهوا وان خيم عليهم الليل وعتمت الظلمة، فبين أيديهم بوصلة ربانية تحدد لهم الطريق وتدلهم على أهدى السبل إنه القرآن المجيد، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد: ٩].

فأهل القرآن بين أيديهم بوصلة ربانية هي (القرآن): ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[المائدة: ١٦].

أما أولئك التائهون الضالون في غياهب الجاهلية فإنهم في ظلمات بعضها فوق بعض، قال تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[النور: ٤٠].

ذلك لأنهم بعيدون عن منهج الفطرة، تلمسوا الهدى بشرق ملحد أو غرب مشرك، أو راحوا يتلمسون الهدى بسبل الغي والانحلال، فلم يزدادوا إلا ضياعاً وتيهاً، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنعام: ١٢٢].

فالحمد لله أن منّ علينا بالإسلام، وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ومن أهم خصائص هذا القرآن أنه ميسر، مفهوم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾[القمر: ٢٢]، وبلسان عربي مبين: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[الزخرف: ٣]، وبأبلغ لهجة وأيسرها: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الدخان: ٥٨].

والغاية من هذا التيسير والسهولة، لكي ينذر النبي ﷺ الناس ويبلغهم رسالته، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧].

إذن فأصل العقيدة الإسلامية مستمدة من القرآن الكريم وتهدف إلى تبليغ دين الله بيسر وسهولة ووضوح، لهذا جاءت السنة النبوية ـ وهي بأصلها فهم النبي ﷺ للقرآن الكريم ـ بالوضوح نفسه والتيسر والسهولة، لأنها مستمدة من القرآن الكريم، ولها خصائصه في الهداية والرشاد، لهذا قال النبي ﷺ: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»(١).

وقال ﷺ: «تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»(٢).

وقال العباس رضي الله عنه: (والله ما مات رسول الله ﷺ حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً، وأحل الحلال وحرم الحرام، ونكح وطلق، وحارب وسالم، وما كان راعي غنم يتبع بها رؤوس الجبال يخبط عليها العضاة بمخبطه، ويمدر حوضها بيده بأنصب ولا أدأب من رسول الله ﷺ كان فيكم)(٣).

فأصول العقيدة مبسطة ميسرة، واضحة يعرفها الصغير والكبير والعالم والجاهل، (ولكنهم لايطبقونها)، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦]. وقد تكون هناك مباحث تفصيلية لا يفهمها إلا أفذاذ أهل العلم، ولكنها في الحقيقة ليست تكليفيه والجهل بها لا يضر! فمثلاً: تفصيلات عذاب القبر أو الشفاعة أو حوض الكوثر. فلو جهلتُ أقسام الشفاعة والمستحقين لها، ونحوها فهل سأسأل يوم القيامة عنها؟ ولو مات أبي

---

(١) أخرجه الحاكم ١/ ١٢٥.

(٢) أخرجه: أحمد ٤/ ١٢٦، وابن ماجه (٤٣).

(٣) أخرجه: ابن سعد في «طبقاته» ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥، والدارمي (٨٣)، من حديث عكرمة مرسلاً.

أو أخي وهو لا يعرف القدرية أو الجهمية أو المعتزلة فهل سيسألان عنهم.

ولما جاء الإسلام بهذه العقيدة الميسرة تلقاها الناس بالقبول والرضا وانتشر الإسلام، وفتحت الفتوحات شرقاً وغرباً، فأغاض ذلك أعداء الله وأعداء الإنسانية من الملاحدة والمشركين، والزنادقة، والماجنين، فظهرت حركات هدامة، وأفكار دخيلة، فراحوا يبثون سمومهم في أوساط عوام الناس ويثيرون شبههم، فهيأ الله تعالى لهم علماء أفذاذ، ألقموهم الحجر وأدخلوهم في قمع السمسم، فجزاهم الله عنا كل خير.

وكنت حين أدرس مباحث في العقيدة الإسلامية على يد أساتذتي في هذه الكلية الغراء، كنت أجد كثيراً من المباحث العقدية التي ندرسها قد ضمنت في أدعية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فوقع في نفسي أن أبحث في هذا الموضوع، واستشرت بعض أساتذتي فشجعني بعضهم، وتردد بعضهم لظنهم أن فيه من الصعوبة على طالبة مبتدئة مثلي، ولكني استخرت الله تعالى وربطت جأشي، واستعنت بالله على أمري، وكان من توفيق الله تعالى لي أن هيأ الله تعالى لي مشرفاً فذاً وأباً حنوناً الأستاذ الدكتور عبد الستار حامد الدباغ ـ حفظه الله تعالى ـ فكانت بصماته الكريمة جلية واضحة، وحنوه الأبوي الدافئ نعم المعين بعد الله تعالى. فجاءت الرسالة بعنوان: (الآثار العقدية في أدعية الأنبياء في القرآن الكريم)، واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وأربعة فصول:

ففي الفصل الأول: تكلمت عن علاقة الدعاء بالعقيدة، وتضمن ستة مباحث:

في المبحث الأول: عرفت بالدعاء والقرآن والعقيدة والنبي والرسول، وناقشت الأقوال وبينت الراجح منها.

وتحدثت في **المبحث الثاني**: عن مشروعية الدعاء في الكتاب والسنة.

أما في **المبحث الثالث**: فبينت أنواع الدعاء، وظهر لي أنه على نوعين: مشروع، وممنوع.

وفي **المبحث الرابع**: تكلمت عن شروط استجابة الدعاء المشروع والنهي عن الاعتداء فيه.

أما في **المبحث الخامس**: فتعرضت إلى خصوصية بعض الأوقات والأماكن والأعيان بالدعاء.

أما **المبحث السادس**: فجاء في بيان أقسام أدعية الأنبياء الواردة في القران الكريم.

أما **الفصل الثاني**: فخصصته في أثر أدعية الأنبياء في إثبات الإلوهية، وتحته أربعة مباحث.

فالمبحث الأول: جاء في إثبات وجود الله تعالى وتوحيده.

وخصصت **المبحث الثاني**: في إيراد الأدلة في إثبات الحاكمية لله تعالى.

وجاء **المبحث الثالث**: في الأسماء والصفات الواردة في أدعية الأنبياء.

وجاء في **المبحث الرابع**: مفهوم الولاء والبراء، وأثر أدعية الأنبياء في تأصيل هذه العقيدة.

وخصصت الفصل الثالث: للنبوات في أدعية الانبياء، وتحته ستة مباحث:

ففي **المبحث الأول**: بينت أثبات النبوة والرسالة في أدعية الأنبياء.

وفي **المبحث الثاني**: ذكرت كلام أهل العلم في بشرية الأنبياء عليهم السلام.

وبينت في **المبحث الثالث**: مفهوم الوراثة وحكمها بالنسبة للأنبياء من خلال أقوال أهل العلم.

أما **المبحث الرابع**: فخصصته لمفهوم عصمة الأنبياء عليهم السلام من الصغائر والكبائر.

وجاء **المبحث الخامس**: في معنى المعجزة، ومعانيها في اللغة والاصطلاح، وأقسامها.

وخصصت **المبحث السادس**: في حكم هجر القرآن وهجر العمل به.

وجاء **المبحث السابع**: في معنى طلب النبي ﷺ زيادة العلم.

وأما الفصل الرابع فخصصته: لمفهوم اليوم الآخر وأثر دعاء الأنبياء في ذلك.

وجاء **المبحث الأول**: في أثر أدعية الأنبياء في إثبات اليوم الآخر.

و تحدثت في **المبحث الثاني**: عن مفهوم القضاء والقدر في أدعية الأنبياء.

أما في **المبحث الثالث**: فبينت عقيدة الأيمان بالجن وعلاقتهم بعالم الأنس من خلال أدعيتهم.

المبحث الرابع: السحر والحسد.

ثم ختمت البحث بأهم النتائج وذكرت أهم مصادر بحثي ومراجعه.

وقد تذللت الصعاب وهانت امام الثواب المرتجى من الله الكريم الجواد، ولاسيما أنني أعيش مع كلام الله تعالى في قرآنه العظيم، ومع رسله الكرام وهم يتضرعون ويتوسلون بين يدي ربهم عز وجل، فكانت تلك اللذة تنسي كل صعب، وتذلل كل عقبة.

وختاماً أقول: إذا كان هذا العمل صائباً فالفضل لله وحده، وأن أخطأت فمن ضعفي وتقصيري وقلة بضاعتي، والله اسأل أن يحفظ أساتذتي المناقشين ويوفقهم لتقويم بحثي وتكميله بملاحظاتهم السديدة، وتجميله باقتراحاتهم المفيدة، فهذا جهد المقلّ، وبضاعة مزجاة بين يدي حضراتكم، فالعذر العذر أن قصرت، ولكن يعلم الله أني استفرغت وسعي وبذلت جهدي، ولم أدخر وقتاً أو جهداً.

والحمد لله رب العالمين

❐❐❐

الفَصْلُ الأَوَّلُ

علاقة الدعاء بالعقيدة

وفيه ستة مباحث:

* المبحث الأول: تعريف الدعاء والعقيدة والقرآن والنبي لغة واصطلاحاً.

* المبحث الثاني: مشروعية الدعاء من الكتاب والسنة.

* المبحث الثالث: أنواع الدعاء وأقسامه.

* المبحث الرابع: شروط استجابة الدعاء، وعدم الاعتداء فيه.

* المبحث الخامس: خصوصية بعض الأوقات والأماكن والأدعية والأعيان بالدعاء.

* المبحث السادس: أقسام أدعية الأنبياء الواردة في القرآن الكريم.

الفَصْلُ الأَوَّلُ
علاقة الدعاء بالعقيدة

المبحث الأَوَّل
تعريف الدعاء والعقيدة والقرآن والنبي لغة واصطلاحاً

* المطلب الأول ـ معنى الدعاء لغة واصطلاحاً:

أولاً ـ الدعاء في اللغة:

الدعاء: واحد الأدعية، وأصله دعاؤ، لأنه من دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت[١].

وقال ابن فارس: (دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو أن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك. تقول: دعوت أدعُو دعاءً)[٢]. وهو (طلب الطالب للفعل من غيره)[٣].

قال ابن منظور: (والدُّعاءُ: الرَّغبةُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، دَعَاهُ دُعَاءً ودَعْوَى؛

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م، مادة (دعا)، (٦/ ٢٢٣٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، تحقق: عبد السلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب، العرب، ٢٠٠٢م، مادة (دع)، (٢/ ٢٧٩).

(٣) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ابن سيده، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، (٤/ ٥٧).

حَكَاهُ سِيبَوَيْهِ فِي الـمَصَادِرِ الَّتِي آخِرُهَا أَلف التأْنيث)[١].

ثانياً: الدعاء في الاصطلاح:

قال الخطابي رحمه الله: (استدعاء العبد من ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه، والبراءة من الحول والقوة التي له، وهو سمة العبودية وإظهار الذلة، وفيه معنى الثناء على الله وإضافة الجود والكرم إليه)[٢].

وعرفه القاضي أبو بكر بن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ): (مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة، أو دفع مضرة من المضار والبلاء بالدعاء، فهو سبب لذلك، واستجلاب لرحمة المولى)[٣]

قال ابن حجر: قال الطيبي: (هو إظهار غاية التذلل، والافتقار إلى الله،

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، مادة (دعا)، (١٤/ ٢٥٧). ولِفِعلِ (دَعَا) مصادر أخرى، أوردها بعض علماء اللغة، ينظر تفصيلها في: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، (٢/ ١٤١)، (٤/ ٢٦٠)، وينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمَد بن أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، الأنصاريُّ القرطبيُّ، (١١/ ١١٨)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٣٨/ ٤٨).

(٢) شأن الدعاء، الخطابي أحمد بن محمد أبي سليمان (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، صحيفة (٤).

(٣) مراقي الزلفى لابن العربي، نقلاً من نبذة في الدعاء وآدابه وأسبابه لليافعي، صحيفة (٢٢).

والإستكانه له. وهذا تعريف يتناول دعاء العبادة)[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ): (إن دعاء المسألة: هو طلبُ ما ينفع الداعي، وطلبُ كشفِ ما يضره، ودَفعِهِ)[٢]. وقد يطلق على التقديس والتمجيد ونحوهما [٣].

ومن خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية نجد أنها تدور على معنيين: عبادة وثناء على الله عز وجل، وسؤال الله تعالى وطلب منه، ويمكننا الخروج بتعريف شامل فنقول: الدعاء هو: (الرجاء من الله والابتهال إليه في استجابة مطلوب وتحقيق مقصود أو صرف مكروه مشروطاً بالخضوع والتذلل إليه مصحوباً برجاء وخوف وافتقار إلى القوي المتين).

* * *

*** المطلب الثاني ـ معنى العقيدة لغة واصطلاحاً:**

١ ـ معنى العقيدة في اللغة:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٧٩، (١١/ ٩٨).

(٢) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م، (١٥/ ١٠)، وينظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ ـ ١٩٩٦، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، (٣/ ٥١٣).

(٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبوحبيب، دارالفكر، دمشق، سورية، ١٩٨٨م، (١/ ١٣١).

تطلق كلمة العقد في اللغة على صفات كثيرة تدور كلها حول معنى الربط والشّدِّ بقوة، ومنه الإحكام والتقوية والإبرامُ، والتماسك والمراصة، يقال: عقد الحبل يعقده: شدّه، ويقال: عقد العهدَ والبيعَ: شدّه، وعقد الإزارَ: شده بإحكام، والعقدُ: ضد الحل(١).

والعَقِيدَةُ: (ما يدين الإنسان به حتى قيل وله (عَقِيدَةٌ) حسنة سالمة من الشكّ و(اعْتَقَدْتُ كذا: عَقَدْتُ عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة و(اعْتَقَدْتُ) مالاً جمعته)(٢). وهي: (الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده)(٣). ولذا تدور مادة (عقد) في اللغة على اللزوم والتأكيد والاستيثاق، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[المائدة: ٨٩].

٢ ـ معنى العقيدة في الاصطلاح:

كلمة العقيدة لم ترد في الكتاب والسنة، ولا في أمّات المعاجم، وأول من ذكرها القشيري (ت: ٤٣٧هـ)، ومن بعده أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ).

وأما من حيث معناها فهي مولدة، فهي مصطلح حادث(٤) إذ لم تكن في الصدر الأول، والذي يسبقها في الاستعمال لفظ: اعتقاد، وهي تدل على إيمان

---

(١) ينظر: لسان العرب، (٣/ ٢٩٦)، وينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (عقد)، (٤/ ٨٦).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (٢/ ٤٢١).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار)، دار الدعوة، (٢/ ٤٢١).

(٤) العقيدة الإسلامية الميسرة، د. محمد عياش الكبيسي، دار السلام، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، صحيفة (١٣).

القلب، ويسبقها أيضاً كلمة: معتقد، وهذا أمر طبعي لا اشكال فيه، فالمصطلحات تتطور بتطور العلوم وبتقادم الازمان.

فالعقيدة تطلق على الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شكٌّ، وهي ما يؤمن به الإنسانُ ويعقد عليه قلبَه وضميرَه، ويتخذه مذهباً وديناً يدين به؛ فإذا كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحاً كانت العقيدة صحيحة، كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدةُ باطلة كاعتقاد فرق الضلال، وقيل انها: (الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح. والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ـ ﷺ ـ بالطاعة والتحكيم والاتباع)[1].

والعقيدة: (هي استجابة الروح لله الذي من نفخة روحه صار الإنسان إنسانا)[2].

قال رحمت الله الهندي: (علم العقائد والأديان فهو عبارة عن معرفة اللهّ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)[3].

---

(١) ينظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، الشيخ د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، (٩/ ١٠).

(٢) تفسير في ظلال القران، سيد قطب، دار الشروق، مصر، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ٢٠٠٤م، (١/ ٤٣٦).

(٣) إظهار الحق، محمـد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهنـدي الحنفي =

ويطلق على العقيدة: العقائد والاعتقاد[1]، والتوحيد[2]والإيمان، والسنة[3]، وأصول الدين[4]، والفقه الأكبر[5]، والشريعة[6]، وعلم الكلام[7].

هذه هي أشهر إطلاقات أهل العلم على علم العقيدة، وقد يشركهم غيرهم في إطلاقها بالتبع.

والحقيقة أن (العقيدة: هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه

= (ت: ١٣٠٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، (٣/ ٨١٧).

(١) من ذلك: كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني (ت: ٤٤٩). وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (ت: ٤١٨)، والاعتقاد للبيهقي (ت: ٤٥٨)، وهذا الإطلاق يعرف عند سائر الفرق المتكلمة، كالمعتزلة والأشاعرة.

(٢) من ذلك: كتاب التوحيد في الجامع الصحيح، للبخاري (ت: ٢٥٦)، وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة (ت: ٣١١)، وكتاب اعتقاد التوحيد، لأبي عبد الله محمد بن خفيف (ت: ٣٧١).

(٣) من ذلك: كتاب السنة، للإمام أحمد (ت: ٢٤١)، وكتاب السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل (ت: ٢٩٠)، والسنة، للخلال (ت: ٣١١)، والسنة، للعسال (ت: ٣٤٩)، والسنة، لأبي داود (ت: ٢٧٥).

(٤) من ذلك: كتاب أصول الدين، للبغدادي (ت: ٤٢٩)، والشرح والإبانة عن أصول الديانة، لابن بطة (ت: ٣٧٨)، والإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ).

(٥) من ذلك: كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة (ت: ١٥٠).

(٦) من ذلك: كتاب الشريعة، للآجري (ت: ٣٦٠).

(٧) من ذلك: شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني (ت: ٧٩١هـ).

السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها لكل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التى تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال، هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس. وباختصار: فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فسادا كبيرا في التصرفات، وانفراجا هائلا عن سوي الصراط. ولذا فقد عني القرآن الكريم ببناء العقيدة، فلا تكاد تخلو أية سورة ـ مكية كانت أو مدنية ـ من شد الإنسان بكليته إلى ربه، وربط كل تصرف بهذه العقيدة التي تمثل القاعدة الأساسية لهذا الدين الذي لا يقوم بدونها، وبخاصة السور المكية التي أفردت لبناء هذه العقيدة، فلقد كانت العقيدة هي الموضوع الوحيد الذي عالجته السور المكية)(١).

وتميزت العقيدة الإسلامية بخصائص عدة، وعرفت في الناس بسماتها الثابتة، ومن يقرأ القرآن الكريم بإمعان يقف على خصائص كثيرة جدا لهذه العقيدة السمحة، من أهمها (٢):

١ ـ هي من عند الله تعالى فهي ربانية، لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[النمل: ٦].

---

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل، عبد الله يوسف عزام (ت: ١٤١٠هـ)، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، صحيفة (١٠).

(٢) ينظر: ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، صحيفة (٤٢٢)، وأركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، (١/ ١١٧)، ومحاضرات في العقيدة الإسلامية، د. عبد القادر المحمدي، صحيفة (٢).

٢ ـ سالمة من كل عيب، مبرأة من النقص، بعيدة عن الحيف والظلم، لا يتطرق إليها الاختلاف، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢].

٣ ـ لما كانت من عند الله تعالى فهي تحاكي الفطرة السليمة، وتملأ الفراغ الروحي الذي لم تسده النظم الفلسفية، ولا السلطان السياسي، ولا الثراء المالي. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٣٠].

فالعقيدة الإسلامية هي عقيدة الإنسانية الحقة التي تحفظ له عقله وماله ونفسه ودينه، ومن يتنكب لها فإنما يخسر إنسانيته وفطرته، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام: ١٢].

٤ ـ وهي ثابتة: قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الفتح: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٣٠]. وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر.

٥ ـ عقيدة مبرهنة تقوم على الحجة والدليل، قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[النمل: ٦٤].

ولا تكتفي في تقرير قضاياها بالخبر المؤكد والإلزام الصارم، بل تحترم العقول والمبادئ التي يقوم عليها الدين كله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[سبأ: ٤٦].

ذلك أنها لا تثبت في جميع جزئياتها وكلياتها إلا بدليل من الكتاب أو السنة. بل إن أتباعها منهيون عن الخوض في مسائلها إلا عن علم وبرهان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٦].

٦ ـ إنها عقيدة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة: ٧٧].

٧ ـ الشمولية: تشمل جميع جوانب الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ: ٢٨]، وتشمل الإنسان جسماً وعقلا وروحا، كما تشمل سلوكه وفكره ومشاعره، كما تشمل دنياه وآخرته، ليس في كيان الإنسان ولا في حياته شيء لا يتصل بهذه العقيدة ولا تتصل العقيدة به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢].

٨ ـ الوضوح والتيسير: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا

مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة: ١٥]، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[مريم: ٩٧].

وهذا الوضوح وتيسير الفهم يحتاج اليه كل مسلم في حياته ودينه، وقد أكد القرآن في أربع آيات في سورة واحدة على هذا التيسر، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

٩ ـ الواقعية: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ١٤١].

١٠ ـ القوة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

١١ ـ التفصيل: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس: ٣٧].

١٢ ـ الهداية: قال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[القصص: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم

مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[يونس: ٣٥].

١٣ ـ النظر والاستدلال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[العنكبوت: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[سبأ: ٤٦].

فهي بحق السبيلُ الوحيدُ للخلاص من التفرق والتحزب، وتوحيد صفوف المسلمين عامة، والعلماء والدعاة خاصة؛ اذ هي وحي الله تعالى وهدي نبيِّه ﷺ وما كان عليه الرَّعيل الأَول الصحابة الكرام.

١٤ ـ أنها تَرْبط الإنسان بالله تعالى مباشرة ثم برسوله ﷺ وبحبِّهما وتعظيمهما، وعدم التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ ذلك لأَنَ منبعها: (قال الله، وقال رسوله ﷺ)؛ بعيداً عن تلاعب الأهواء والشبهات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[التغابن: ١٢].

* * *

* المطلب الثالث ـ معنى النبي والرسول في اللغة والاصطلاح:

١ ـ كلمة النبي في أصل اللغة:

النبي في اللغة: إن كانت اللفظة مهموزة: فهي إذا من (النَبِيء) أي انها مشتقة من النبَأ، وهو الخبر، فالنبي في العرف هوالمُنَبئ من جهة الله بأمرٍ يقتضي تكليفاً[١].

وإما أن يكون من (النَبيء) وهو الطريق الواضح، لأن الأنبياء هم الطرق الموصلة الى الله تعالى[٢]، والهمز في النَّبيّ لغةٌ قليلة الاستعمال لا لكَوْنِ القياس يَمنع ذلك وتَرْكُ الهمزِ هو المُخْتارُ عند العرب سوى أَهلِ مكَّة[٣]. وإن كانت غير مهموزة: فهي مشتقة من النباوة، أي الارتفاع عن الارض، فالنبي مرتفع الرتبة عن غيره من البشر[٤].

٢ ـ كلمة الرسول في اللغة:

إن لفظ الرسول في اللغة مشتق من:

١ ـ الإرسال والتوجيه. قال تعالى مخبراً عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[النمل: ٣٥].

٢ ـ ومشتق من قولهم جاءت الابل (رَسَلاً) أي متتابعة، والرسول معناه

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (نبا)، (١١/ ١١٢)، وفتح الباري لابن حجر، (٥/ ١٨٩).

(٢) اصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان ود. قحطان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الارشاد، بغداد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م، صحيفة (٢٢٩).

(٣) ينظر: تاج العروس، (١/ ٢٢٩).

(٤) ينظر: المخصص، (١٠/ ٤٣)، لسان العرب، (١/ ٣٢٢)، تاج العروس، (١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

في اللغة الذي يتابع اخبار الذي بعثه[١].

٣ـ مشتق من رسل اللبن اذا تتابع دره، لأن الرسول هو الذي يتتابع عليه الوحي[٢].

٣ـ معنى النبي والرسول في الاصطلاح:

جاء في معنى النبي اصطلاحا: (النبي من أوحي إليه بِمَلَكٍ أو أُلِهِمَ في قلبه أو نُبِه بالرؤيا الصالحة)[٣]. فالنبي هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.

أما الرسول: فهو (من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله) فالرسول أفضل

بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة لأن الرسول هو من أوحي إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله)[٤].

والمعنى الاصطلاحي للنبي والرسول مما اختلف فيه أهل العلم كثيراً، والمذاهب فيه متنوعة:

المذهب الأول: لا فرق بين الرسول والنبي، فكل نبي رسول وكل رسول

---

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، (١٢/ ٢٧٢)، لسان العرب، (٥/ ٦٥).

(٢) اصول الدين الإسلامي، صحيفة (٢٣٠).

(٣) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، صحيفة (٢٣٩)، وينظر: أصول الدين الإسلامي، صحيفة (٢٣٠).

(٤) أصول الدين الإسلامي، صحيفة (٢٣٠).

نبي. قال به طائفة قليلة من أهل العلم من المتقدمين ومن المتأخرين. وهو مذهب جمهور المعتزلة[١].

المذهب الثاني: أنَّ النبي والرسول بينهما فرق، وهو أنَّ النبي أدنى مرتبةً من الرسول فكل رسول نبيٌ وليس كل نبيٍ رسولاً. فالنبي أعم من الرسول، وهذا قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنة[٢]، وذلك لأدلةٍ كثيرة استدلوا بها على هذا الأصل منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[الحج: ٥٢]. وغيرها من الأدلة. وهو الراجح والله اعلم.

والصحيح التفريق، قال ابن حجر العسقلاني: (قد تقرر أن النبي والرسول متغايران لفظا ومعنى)[٣].

قال ابن أبي العز: (وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول، وأحسنها. أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي،

---

(١) ينظر: المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، لابن الهمام (ت: ٨٦١هـ)، مع شرحها المسامرة لكمال بن أبي شريف (ت: ٩٠٥هـ)، طبعة دائرة المعارف الإسلامية بعناية احتشام الحق، طبعة كراجي، باكستان، صحيفة (٢١٣)، وأصول الدين الإسلامي، صحيفة (٢٣١).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، صحيفة (١١٧)، وأصول الدين الإسلامي، صحيفة (٢٣١).

(٣) فتح الباري، (١/ ١١٢).

وليس كل نبي رسولا)[١]، وهذا هو معنى العموم والخصوص المطلق ـ أي أن النبي أعم مطلقاً من الرسول والرسول أخص مطلقاً من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً ـ، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لايتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها[٢].

* * *

*** المطلب الرابع ـ معنى القران لغة واصطلاحاً:**

١ ـ معنى القرآن في اللغة:

اختلف العلماء في اشتقاق لفظ (القران) على قولين:

القول الأول: من العلماء من قال بأنه مهموز (قرأ يقرَؤه ويقرُؤه قَرْءاً وقراءة وقرآنا)[٣].

وهو ماعليه الزجاج واللحياني.

وقالوا: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن الجمع، وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١١٧).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) لسان العرب، مادة (قرأ)، (١/ ٢٥٢)، والقاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، صحيفة (٤٩).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٧]، أي جمعه وقراءته ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، أي قراءته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (فإذا بينا لك في القراءة فاعمل بما بيناه لك)(١).

والقول الثاني: من قال بأنه غير مهموز، فقد روي عن الشافعي أنه كان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، ويَهمز قرأت ولا يَهمز القرآن(٢). وممن رأى أنه بغير همزة الفراء، وأبو الحسن الأشعري(٣).

٢ ـ معنى القرآن في الاصطلاح:

القرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ ليكون للعالمين نذيرا، وحوى من العقائد والشرائع والمعارف والعلوم والآداب والأخلاق ما يجلّ الوصف عن ذكره، وتضمّن بين طيّاته الإخبار عن الأوّلين والآخرين، وما كان وما سيكون. ورسم للإنسان منهجاً واضحاً، وطريقاً سليماً، وصراطا مستقيماً يسير عليه، ويهتدي به، ويدعو إليه.

كما اشتمل القرآن العظيم على الأمن والإيمان والطمأنينة والتوحيد، وانشراح الصدور، وهدوء الضمائر، وراحة البال.

وتميز كتاب الله تعالى بالإعجاز، وتحدي الخلق أجمعين أن يأتوا بمثله أو

---

(١) التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، (٧/ ٤٧٠).

(٢) ينظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ١/ ٨٧ .

(٣) لسان العرب، (١/ ٢٥٤).

بأقل سورة فيه. كما أنه متعبد بتلاوته، ومحفوظ إلى يوم القيامة.

وقد وضع العلماء قديماً وحديثاً للقرآن الكريم تعاريف، وهي لا تعدو توصيفاً للقرآن الكريم، دون إعطاء تعريف دقيق محدَّد له، فنجد بعض التعاريف تركز على شيء واحد وتهتم به، مثل كونه كلام الله تعالى، أو أنه معجز، أو اشتماله على الأمور والمسائل العظيمة التي تهم المسلم في حياته ومآله وغير ذلك.

فالقرآن: هو اسم لما بين الدفتين من كلام الله(١)، وهو الكلام المنزّل على الرسول ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً(٢)، من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس(٣)، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام، المحفوظ في الصدور، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس(٤).

قَال الْبَزْدَوِيُّ: هو الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عن النبي ﷺ نقلاً متواتراً بلا شبهة، (وهو النظم والمعنى) جميعاً في

---

(١) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، (١/ ١٧٥).

(٢) إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق ـ كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، (١/ ٨٥).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (١/ ٢٠).

(٤) مناهل العرفان، (١/ ٢١).

قول عامة العلماء[(١)].

وهذا التعريف الذي استقر عليه الأمر واشتهر عن المؤلفين.

والراجح في تعريف القرآن ما ذكره الطحاوي في العقيدة الطحاوية: (إن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية)[(٢)].

(والذي أراه أن كل هذه التعريفات قد أغفلت أهم جزء فيه، وهو اللفظ العربي فقد نزل على الرسول ﷺ بألفاظ وأساليب عربية، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف: ٣]، ويقول تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[فصلت: ٣]. ويقول تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]. ويقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]. فيجب إذا أن يضاف الى التعريف (كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ باللفظ العربي والمنقول بالتواتر والمكتوب بالمصاحف)[(٣)].

وقد سمى الله تعالى القران بِخَمْسَةٍ وَخَمْسِينَ اسْماً: سَمَّاهُ كِتَاباً، وَمُبِيناً، وَقُرْآناً، وَكَرِيماً، وَكَلَاماً، وَنُوراً، وَهُدىً، وَرَحْمَةً، وَفُرْقَاناً، وَشِفَاءً، وَمَوْعِظَةً،

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري (ت: ٧٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، (١/ ٣٧ ـ ٤٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١٢٧).

(٣) إفادة من الاستاذ المشرف.

وَذِكْراً، وَمُبَارَكاً، وَعَلِّياً، وَحِكْمَةً(١).

قال تعالى مخبراً عن كتابه العظيم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧].

ومن خصائص القرآن الكريم أنه معجز للبشر عن أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: ٢٣]، وإذا ثبت العجز من الجميع، ثبت أن القرآن من عند الله عز وجل وإذا ثبت ذلك وجب على الناس اتباعه، وعلى هذا فالقرآن الكريم حجة على جميع الناس؛ قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقد جاء التحذير من هجر القران الكريم في دعاء نبي الرحمة محمد ﷺ حين ذكر الله جل جلاله مناجاة رسوله ﷺ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان: ٣٠]. والمقصود هو نبيه محمد ﷺ على

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، (١/ ١٧٨ ـ ١٧٩).

أرجح الأقوال[١] وبث شكواه لربه من صد كفار قريش عن سماع القرآن وهجره لهم، وهذه الشكوى قيل هي في الدنيا وقيل هي يوم القيامة[٢].

يقول صاحب الظلال: (وإن ربه ليعلم؛ ولكنه دعاء البث والإنابة، يُشهد به ربه على أنه لم يأل جهداً، ولكن قومه لم يستمعوا لهذا القرآن ولم يتدبروه)[٣].

ويقول القاسمي: (وإن كانت في المشركين، وإعراضُهم هو عدم إيمانهم، إلا أن نظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل به، والأخذ بآدابه، الذي هو حقيقة الهجر، لأن الناس إنما تعبدوا منه بذلك، إذ لا تؤثر تلاوته إلا لمن تدبرها، ولا يتدبرها إلا من يقوم بها ويتمسك بأحكامها)[٤].

وقد جاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنة لترشد الأمة إلى تعاهد القرآن بالتلاوة والتدبر، وتحذر كل الحذر من التقصير في حقِّه، أو هجران تلاوته والعمل به. ولقد حكى الله تعالى شكوى النبي ﷺ، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[الفرقان: ٣٠]. ففي هذه الآية أعظم تخويف لمن هجر القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد، ويعتبر بما فيه من الزواجر والقصص والأمثال.

فهجر القرآن ليس مقصورا على ترك تلاوته كما يفهمه بعض الناس بل هو أعم وأشمل كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: (وذلك أن

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٣/ ٢٧ ـ ٢٨)، وتفسير اللباب، (١٤/ ٥٢٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٦/ ١٠٩).

(٢) ينظر ما سبق.

(٣) في ظلال القرآن، (٥/ ٢٥٦١).

(٤) تفسير القاسمي، (٧/ ٤٢٦).

المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يسمعونه، فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه فهذا من هجرانه، وترك الإيمان به، وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب)(١).

وهجر القرآن أنواع، ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى وهي:

الأول: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه: فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد على وجه البسيطة الذي يجب تعاهده وتلاوته ويحرم هجره، وهذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها أي كتاب.

وقد أثنى الله تعالى على الذين يتعاهدون كتاب ربهم بالتلاوة فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

فالله جل جلاله أنزل القرآن لتحليل حلاله وتحريم حرامه والوقوف عند حدوده، فالعمل به هو المقصود الأهم والمطلوب الأعظم من إنزاله. لذلك يحرم هجر القرآن الكريم، وترك العمل به.

(١) تفسير القرآن العظيم، (٦/ ١٠٩)

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

فقد أنزل الله تعالى القران الكريم ليكون دستوراً للمسلمين يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ونهاهم سبحانه عن تحكيم أو التحاكم إلى غير القرآن، فهو الحكم فيما اختلفوا فيه من أمور دينهم ودنياهم، فلا يجوز هجره لابتغاء الحكم في غيره.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

دعت النصوص القرآنية، وحثّت السنة النبوية على تدبر القرآن الكريم وتعقل معانيه، فهو مطلب شرعي عمل به الصحابة والتابعون ومن بعدهم، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص: ٢٩]. وقال أيضاً: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد: ٢٤]، وعليه فلا يجوز هجر تدبر القرآن الكريم وتأمل معانيه وأحكامه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به. وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان: ٣٠]. وإن كان بعض الهجر أهون من بعض(١).

وجاءت نصوص كثيرة في أن القرآن الكريم شفاء، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ

---

(١) ينظر: الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، صحيفة (٨٠).

ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[فصلت: ٤٤].

وجاء عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (أتاني الليلة آتيان وأنهما ابتعثاني وأنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتهدهد، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ قالا: هذا رجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة)(١).

وفي رواية أخرى: (الذي يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة)(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال لقراء البصرة: (اتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم)(٣). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند أنفسهم استحلته أنفسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم)(٤).

وذكر الحافظان ابن كثير وابن القيم رحمهما الله أن عدم فهم القرآن والتفقه فيه وتدبره نوع من أنواع هجر القرآن(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٠).

(٣) أخرجه مسلم، ٢/ ٧٢٦، (١٠٥٠).

(٤) ذكر هذا الأثر ابن جرير الطبري في تفسيره، (٢٧/ ٢٢٩)، وابن كثير، (٤/ ٣٢٨).

(٥) ينظر: تفسير القران العظيم، (٣/ ٣٤٩)، وبدائع الفوائد، (٨٠).

فالقرآن الكريم لم ينزل لمجرد التلاوة اللفظية، بل نزل من أجل هذا، ومن أجل ما هو أعم وأكمل، وهو فهم معانيه والتذكر بما فيه، والعمل به.

وقد حذر الرسول الكريم ﷺ من هجر القرآن فقال: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)(١)، لذلك يجب تعاهد القرآن الكريم والحذر من تعريضه للنسيان لحديث الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه: (تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها)(٢).

وتوعّد الله سبحانه الذين يعرضون عنه فقال: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾[طه: ٩٩ ـ ١٠١].

ثم صور حالة ذلك المعرض يوم القيامة فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[طه: ١٢٤].

❏❏❏

---

١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٣)، والترمذي، (٢٩١٣)، وقال: حسن صحيح.

٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٦)، ومسلم، ١/ ٥٥٤ (٧٩٠).

المبحث الثاني

مشروعية الدعاء من الكتاب والسنة

* المطلب الأول ـ مشروعية الدعاء من الكتاب:

جاءت آيات القرآن الكريم تترا تأمر بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وتبين فضل الدعاء وأثره في تغيير الحال والمآل، وكذلك بينت الآيات صفة الدعاء، ومنها:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٥ ـ ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[غافر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ١١٠].

ومشروعية الدعاء معروفة حتى عند المشركين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الأعراف: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٤٩]. وغيرها من الآيات.

وجاءت آيات كثيرة تبين دعاء الخلائق ومنهم ـ الأنبياء ـ ربهم وتضرعهم إليه، والإلحاح بالدعاء وبصيغ مختلفة، فمرة بـ (ربنا) ومرة: (ربي)، ومرة: (اللهم)، ومرة: (عسى ربي)، ومرة: (أعوذ) وغيرها من الصيغ، مرة لأنفسهم وأخرى لغيرهم، ومرة لقومهم، وأخرى عليهم، والأنبياء هم أعرف الناس بالله تعالى، ولوكان غير جائز ما نطقوا بها، ومن ذلك:

قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩].

وقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾[مريم: ٤٨].

وقال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ

رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[المائدة: ١١٤].

وقال على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[القصص: ٢٢].

وعلى لسان زكريا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[الأنبياء: ٨٩].

وقال نوح: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦].

ومن دعاء غير الانبياء: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[آل عمران: ٨].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[آل عمران: ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾[الكهف: ٤٠].

فهذه الآيات وغيرها تبين مشروعية الدعاء بأقسامه المتنوعة ـ كما سيأتي ـ تفصيله، إن شاء الله تعالى.

* * *

*** المطلب الثاني ـ مشروعية الدعاء من السنة:**

جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة تبين مشروعية الدعاء وتؤكد ثبوته بل نص النبي ﷺ أنّ الدعاء هو العبادة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] قال: الدعاء هو العبادة وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]. وهي أحاديث كثيرة جداً، بل وعلّمنا نبينا ﷺ الدعاء صباحاً ومساءً، في أوراد معلومة، ومن تلك الأحاديث:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فشق عليهم إذ دعا عليهم قال وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سمى اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعد السابع فلم يحفظ قال فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر)(١).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم أسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠) ومسلم: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/١٤١٨(١٧٩٤).

واجعلهن آخر ما تتكلم به»[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله...)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء»[٤].

❑❑❑

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم ٤/ ٢٠٨١(٢٧١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٦)، ومسلم ١/ ٦٤٨(٦٧٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٧٠) وقال حسن غريب.

المبحث الثالث

أنواع الدعاء وأقسامه

*** المطلب الأول ـ أنواع الدعاء ويشتمل على نوعين:**

النوع الأول ـ الدعاء المشروع:

(إن كل ما ندبنا الله تعالى إليه في كتابه وحثنا عليه ووضحه لنا رسوله الأمين. وما كان موافقاً لما شرع الله من التقرب إليه بالطاعات والأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها)[1]. فهو من الدعاء المشروع ومنه[2].

أ ـ الدعاء بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا:

الدعاء بأسماء الله الحسنى مشروع قد أمرنا الله تعالى به، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠].

وعن النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «ان لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنه»[3].

وجاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل)[4].

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي، صحيفة (١٦).

(٢) ينظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الاسلامية، أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي، (٢/ ٩٨)

(٣) أخرجه البخاري: رقم (٢٧٣٦)، ومسلم: ٤/ ٢٠٦٢ رقم (٢٦٧٧).

(٤) أخرجه الحاكم: (١/ ٣٨٣).

ففيه سؤال الله تعالى بربوبيته لهؤلاء العباد المكرمين، فالربوبية صفة من صفاته العليا، تدخل تحت التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العليا.

ب ـ الدعاء بالأعمال الصالحة:

شرع الله التوسل بالأعمال الصالحة التي عمل بها العباد، وورد هذا التوسل في آيات عدة ذكر الله فيها أدعية الأنبياء والصالحين التي توسلوا فيها بأعمالهم الصالحة، فمن تلك الآيات: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٦]، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[آل عمران: ١٩٣]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[آل عمران: ٥٣]، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[المؤمنون: ١٠٩]. وغيرها من الآيات الأخرى.

ويدخل تحت هذا، الإيمان بالنبي ﷺ وتصديقه واتباعه وطاعته، وبمحبة الصالحين في الله، فهذا توسل بالعمل الصالح[(١)].

ومنه حديث أصحاب الغار المشهور الذي أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أوآهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنّه لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله

---

(١) ينظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين الآلوسي (ت: ١٣١٧هـ)، مطبعة المدني، ١٩٨١م، صحيفة (٥٤٢).

بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأيا بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن اوقظهما أوأن أغبق قبلهما أهلا أو مالاً فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى برق الفجر والصبي يتضارعون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هـذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه، قال النبي ﷺ: وقال الآخر اللهم انه كانت لي بنت عم وكانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ: وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منـه الأموال فجاءني بعـد حين، فقال: يا عبـد الله أدِّ إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم، والرقيق فقال يا عبد الله: لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون)[1]. فهؤلاء توسلوا بصالح أعمالهم.

ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عكيم الجهني رضي الله عنه أنه أرسل

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٩) (٢٧٤٣).

إليه الحجاج بن يوسف، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين، ثم قال: (اللهم إنك تعلم أني لم أزن قط، ولم أسرق قط، ولم آكل مال يتيم قط، ولم أقذف محصنة قط، إن كنت صادقاً فادرأ عني شره)[١].

ج ـ طلب الدعاء من حي حاضر:

وهذا الدعاء جائز ثابت عن النبي ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقام رجل فقال: يا رسول الله ادع الله أن يسقينا فتغيمت السماء ومطرنا حتى ماكاد الرجل يصل إلى منزله فلم تزل تمطر إلى الجمعة المقبلة فقام ذلك الرجل أو غيره فقال ادع الله أن يصرفه عنا فقد غرقنا فقال اللهم حوالينا ولا علينا فجعل السحاب يتقطع حول المدينة ولا يمطر أهل المدينة)[٢].

ومنه: ما جاء عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ادع الله ان يعافيني، فقال: «إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وان شئت دعوت لك». قال: لا بل ادع الله لي. فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء، اللهم اني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى وتشفعني فيه وتشفعه فيَّ. قال: فكان يقول هذا مرارا، ثم قال بعد أحسب أن

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، (١١/ ١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٢).

فيها: أن تشفعني فيه. قال: ففعل الرجل فبرأ)[١].

ومنه ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا ﷺ فاسقنا، قال: فيسقون)[٢].

ومعناه: (بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله، ليس المراد أنا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مرادا لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس)[٣].

وهذا يدل على جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فعمر رضي الله عنه الأفضل باتفاق أهل السنة والجماعة من العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

فهذه الآثار تدل بوضوح على جواز طلب الدعاء من الأنبياء والصالحين الأحياء منهم حسب، أما الأموات فلا يجوز ذلك، وإلا لما احتاج عمر رضي الله عنه أن يتوسل إلى الله بدعاء العباس عم النبي ﷺ، ولتوسل بالنبي ﷺ.

النوع الثاني: الدعاء الممنوع (غير المشروع).

ونقصد به الدعاء المنافي لثوابت الشرع الكريم، وتتفاوت مراتب الدعاء غير المشروع ودرجاته، فهو ليس على درجة واحدة، فمنه ما يصل إلى الشرك

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط. (إسناده صحيح).

(٢) أخرجه البخاري، (١٠١٠).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٢١٢).

المخرج من الملة والعياذ بالله تعالى، ومنه ما هو دون ذلك ومنه ما هو بدعة.

وجاءت عدة آيات تدل على كون الدعاء عبادة، وأن من صرفه لغير الله تعالى فقد أشرك به، لأن من صرف شيئاً من العبادات لغير الله تعالى فقد أشرك، وقد أمر الله بإخلاص العبادة له ونهى عن الإشراك به، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النساء: ٣٦]، وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[الزمر: ١١]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة: ٥].

ومن صور الأدعية الممنوعة[١]:

١ ـ سؤال الميت الدعاء له أوقضاء حاجة ما، كأن يسأل الميت تفريج الكربة، وتحقيق المراد وكذا أن يسأله أن يشفيه من مرضه، أو مرض دوابه، أو يَقضِي دينه، أو ينتقم له من عدوه.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فالاستغاثة المنفية نوعان: أحدهما الاستغاثة بالميت مطلقاً في كل شيء، والثاني الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق)[٢]. (وهذا الفعل هو شرك صريح وكفر بواح)[١].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (١/ ١٩٤)، وينظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الاسلامية، (٢/ ٤).

(٢) الرد على البكري (تلخيص الإستغاثة)، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧، (٢/ ٤٧٢).

والسبب في كون هذه المرتبة شركاً كون الداعي قد سأل غير الله تعالى، واستغاث بهذا المخلوق لكشف ضُره، أو جلب نفع له وهذا لا يقدر عليه غير الله تعالى، وهـذه الصفة خاصة بالله تعالى لا تليق بغيره سبحانـه وتعالى عما يشركون[٢]. وهذا ماأمر به النبي ﷺ عبـد الله بن عباس فقد قال كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال:

(ياغلام إني أُعلمك كلمات: إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الاقلام وجفت الصحف)[٣].

٢ ـ دعاء الحي حاضراً أو غائباً.

فيدعوه ويناديه ويستغيث به من مسافات بعيدة، معتقداً أنه يغيثه بقوته التي فوق قوة البشر وطاقتهم، كأن يطلب منه شفاءً أو رزقاً أو إحياءً أو إماتة ...إلخ، وهذا من قبيل الشرك[٤]، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس: ١٨].

(١) الرد على البكري، (١/ ٣٧٩)، ومجموع الفتاوى، (٢٧/ ٧٢).

(٢) ينظر: تقوية الإيمان، إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (ت: ١٢٤٦هـ)، نقلها للعربية وقدم لها: أبو الحسن علي الحسني الندوي (ت: ١٤٢٠هـ)، دار وحي القلم، دمشق، الطبعةالأولى، ٢٠٠٣م، صحيفة (١٦٣ ـ ١٦٤).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى، (٢٧/ ٨١ ـ ٨٢).

أما إن سأله مايقدر عليه في نطاق قدرته البشرية، فهذا جائز[(١)] لقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾[القصص: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ﴾ [الأنفال: ٧٢]. ومنه قوله ﷺ: «إِنَّ دَعْوَةَ الْـمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»[(٢)].

٣ـ دعاء الله تعالى بغير أسمائه الحسنى وصفاته العليا[(٣)]:

كأن يسأله بانسان ميت أو غائب أوحاضر، وسواء كان ذلك السؤال توسلاً به وبجاهه وحرمته، أو إقساماً به، فالصور الممكنة ستة، فالسؤال بالميت إما بالتوسل أو بالإقسام، وكذا بالغائب أو الحاضر إما بالتوسل أو الإقسام.

ولا خلاف بين العلماء في مشروعية التّوسّل بالنّبيّ ﷺ على معنى الإيمان به ومحبّته، وذلك كأن يقول: أسألك بنبيّك محمّد ويريد: إنّي أسألك بإيماني به وبمحبّته، وأتوسّل إليك بإيماني به ومحبّته، ونحو ذلك[(٤)].

---

(١) ينظر: الرد على البكري، (٩٩).

(٢) مسند احمد، (٣٦/ ٣٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (٢٧/ ٨٣)، وزاد المعاد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعةوالعشرون، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، (٤/ ١٨٤).

(٤) ينظر: فتاوى العز بن عبد السلام السلمي الشافعي (ت: ٦٦٠هـ)، بتعليق عبد الرحمن ابن عبد الفتاح، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ، صحيفة (١٢٦ ـ ١٢٧)، والمحلى، ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (٨/ ٣٢)، والمغني، أبو محمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)،=

قال ابن تيميّة رحمه الله: (من أراد هذا المعنى فهو مصيب في ذلك بلا نزاع، وإذا حمل على هذا المعنى كلام من توسّل بالنّبيّ ﷺ بعد مماته من السّلف ـ كما نقل عن بعض الصّحابة والتّابعين وعن الإمام أحمد وغيره ـ كان هذا حسنا. وحينئذ فلا يكون في المسألة نزاع، ولكنّ كثيرا من العوّام يطلقون هذا اللّفظ ولا يريدون هذا المعنى، فهؤلاء الّذين أنكر عليهم من أنكر. كما أنّ الصّحابة كانوا يريدون بالتّوسّل به التّوسّل بدعائه وشفاعته، وهذا جائز بلا نزاع، ثمّ إنّ أكثر النّاس في زماننا لا يريدون هذا المعنى بهذا اللّفظ)[1].

وقال الألوسيّ رحمه الله: (أنا لا أرى بأسا في التّوسّل إلى الله تعالى بجاه النّبيّ ﷺ عند الله تعالى حيّا وميّتا، ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبّة التّامّة المستدعية عدم ردّه وقبول شفاعته، فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسّل بجاه نبيّك ﷺ أن تقضي لي حاجتي. إلهي اجعل محبّتك له وسيلة في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وقولك: إلهي أتوسّل برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضا إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا، والكلام في الحرمة أي المنزلة ـ والمراد حرمة النّبيّ ـ كالكلام في الجاه)[2].

= مكتبة القاهرة، بدون طبعة، ١٩٦٨م، (٨/ ٧٢١)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهيرالشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م، (١١/ ٦ ـ ٧)، ومجموع الفتاوى، (١/ ٢٢١).

(١) مجموع الفتاوى، (١/ ٢٢١)

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (٣/ ٢٩٧).

أما في قول القائل: اللّهمّ إنّي أسألك بنبيّك أو بجاه نبيّك أو بحقّ نبيّك، فقد اختلف العلماء في مشروعيّة هذا التّوسّل بالنّبيّ ﷺ بعد وفاته، على أقوال:

القول الأوّل: مشروع.

نص على ذلك بعض الأئمة، فقال ابن قدامة: (ويستحب لمن دخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى، ثم تأتي القبر فتقول: (وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربي)(١).

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: (ينبغي أن يكون هذا مقصورا على النبي ﷺ لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء؛ لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون مما خص به تنبيها على علو درجته ومرتبته)(٢).

وقال النووي رحمه الله في بيان آداب زيارة قبر النبي ﷺ: (ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول (الزائر) ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاءه أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله. سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ٦٤] وقد جئتك مستغفراً من

(١) المغني، ابن قدامة، (٣/ ٤٧٨)

(٢) الخصائص الكبرى، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، (٢/ ٣٤٧).

ذنبي مستشفعا بك إلى ربي. ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه وطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم)[١]

القول الثاني: نقل أبو يوسف عن أبي حنيفة رحمهم الله: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به (أي بأسمائه وصفاته) والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠][٢]).

وقال صاحب الدر المختار: (وكُره قوله: (بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك) أو بحق البيت لأنه لا حق للخلق على الخالق تعالى، ولو قال لآخر بحق الله أو بالله أن تفعل كذا لا يلزمه ذلك، وإن كان الأولى فعله)[٣].

القول الثالث: فصل ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة، فذهب إلى أن التوسل بذات النبي ﷺ لا يجوز.

كما فصل في التوسل بغير الذات فقال: (ولفظ التوسل قد يراد به ثلاثة أمور: أمران متفق عليهما بين المسلمين: أحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به ﷺ وبطاعته.

---

(١) المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر، (٨/ ٢٧٤).

(٢) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، (٦/ ٣٩٦).

(٣) الدر المختار، (٦/ ٣٩٧).

والثاني: دعاؤه وشفاعته ﷺ ـ حال حياته ﷺ ـ وهذا أيضا نافع يتوسل به من دعا له وشفع فيه باتفاق المسلمين.

ومن أنكر التوسل به بأحد هذين المعنيين فهو كافر مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدا. ولكن التوسل بالإيمان به وبطاعته هو أصل الدين، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام للخاصة والعامة، فمن أنكر هذا المعنى فكفره ظاهر للخاصة والعامة. وأما دعاؤه وشفاعته وانتفاع المسلمين بذلك فمن أنكره فهو كافر أيضاً، لكن هذا أخفى من الأول، فمن أنكره عن جهل عرف ذلك، فإن أصر على إنكاره فهو مرتد... وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته.

والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به، كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقد فيه الصلاح، وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به السنة، ومن المعنى الجائز قول عمر بن الخطاب: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)[1] أي: بدعائه وشفاعته. وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[المائدة: ٣٥] أي: القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله طاعه له، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]فهذا التوسل الأول هو أصل الدين، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل به ﷺ فإنما هو توسلٌ بدعائه وشفاعته ـ كما قال عمر رضي الله عنه ـ لا توسل بذاته ﷺ وشخصه؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به ـ أي بعد وفاته ﷺ ـ

(١) سبق تخريجه صحيفة (٥٣).

إلى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلمّا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته. بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائماً.

والمعنى الثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أوعمن ليس قوله حجة... والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور، وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد، وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك. وقيل: هو مكروه كراهة تنزيه. والأول أصح. فالإقسام بالنبي ﷺ على الله ـ والسؤال به بمعنى الإقسام ـ هو من هذا الجنس.

فإن قيل: إذا كان التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته على وجهين: تارة يتوسل بذلك إلى ثواب الله وجنته وهذا أعظم الوسائل، وتارة يتوسل بذلك في الدعاء كما ذكرتم نظائره، فيحمل قول القائل: أسألك بنبيك محمد على أنه أراد: إني أسألك بإيماني به وبمحبته، وأتوسل إليك بإيماني به ومحبته ونحو ذلك، وقد ذكرتم أن هذا جائز بلا نزاع. قيل: من أراد هذا المعنى فهو مصيب في ذلك بلا نزاع، وإذا حمل على هذا المعنى لكلام من توسل بالنبي ﷺ بعد مماته من السلف، كما نقل عن بعض الصحابة والتابعين وعن الإمام أحمد وغيره، كان هذا حسنا وحينئذ فلا يكون في المسألة نزاع، ولكن كثير من العوام يطلقون هـذا اللفظ، ولا يريدون هذا المعنى، فهؤلاء الذين أنكر عليهم من أنكر هذا كما أن الصحابة

كانوا يريدون بالتوسل به التوسل بدعائه وشفاعته وهذا جائز بلا نزاع. والذي قاله أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم من العلماء من أنه لا يجوز أن يسأل الله تعالى بمخلوق لا بحق الأنبياء ولا غير ذلك يتضمن شيئين كما تقدم:

أحدهما: الإقسام على الله سبحانه وتعالى به، وهذا منهي عنه عند جماهير العلماء كما تقدم، كما ينهى أن يقسم على الله بالكعبة والمشاعر باتفاق الفقهاء.

والثاني: السؤال به فهذا يجوزه طائفة من الناس، ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف، وهو موجود في دعاء كثير من الناس، لكن ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة إلا حديث الأعمى الذي علمه أن يقول: (أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة) وحديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي ﷺ يقول: اللهم شفعه فيّ) ولهذا رد الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ وكان ذلك يعد من آيات النبي ﷺ ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله. وساغ النزاع في السؤال بالأنبياء والصالحين دون الإقسام بهم، لأن بين السؤال والإقسام فرقا، فإنّ السائل متضرع ذليل يسأل بسبب يناسب الإجابة، والمقسم أعلى من هذا فإنه طالب مؤكد طلبه بالقسم، والمقسم لا يقسم إلا على من يرى أنه يبر قسمه، فإبرار القسم خاص ببعض العباد، وأما إجابة السائلين فعام، فإن الله يجيب دعوة المضطر ودعوة المظلوم، وإن كان كافراً.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما

أن يدخرها له في الآخرة مثلها، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا: إذا نكثر، قال: الله أكثر)[١].

(وهذا التوسل بالأنبياء بمعنى السؤال بهم، وهو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم أنه لا يجوز ليس في المعروف من مذهب مالك ما يناقض ذلك، فمن نقل عن مذهب مالك أنه جوز التوسل به بمعنى الإقسام أو السؤال به فليس معه في ذلك نقل عن مالك وأصحابه. ثم يقول: ولم يقل أحد من أهل العلم: إنه يسأل الله تعالى في ذلك لا بنبي ولا بغير نبي. وكذلك من نقل عن مالك أنه جوز سؤال الرسول أو غيره بعد موتهم أو نقل ذلك عن إمام من أئمة المسلمين ـ غير مالك ـ كالشافعي وأحمد وغيرهما فقد كذب عليهم)[٢].

ثم يقرر ابن تيمية رحمه الله أن هذه المسألة خلافية وأن التكفير فيها حرام وإثم، ثم يقول بعد ذكر الخلاف في المسألة ولم يقل أحد: إن من قال بالقول الأول فقد كفر، ولا وجه لتكفيره، فإن هذه مسألة خفية ليست أدلتها جلية ظاهرة، والكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين بالضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها ونحو ذلك، بل المكفر بمثل هذه الأمور يستحق من غليظ العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله من المفترين على الدين، ولا سيما مع قول النبي ﷺ: «أيما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما»[٣][٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٦٣)، وقال: (حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه).

(٢) مجموع الفتاوى، (١/ ٢٠١ ـ ٢٢٥) بتصرف يسير.

(٣) اخرجه البخاري كتاب الادب باب من أكفر أخاه بغير تأويل (٥٧٥٣)، ومسلم ١/ ٧٩، (٦٠).

(٤) مجموع الفتاوى، (١/ ١٠٦).

٤ ـ دعاء غير الله تعالى مع الله.

وهذه كانت كثيرة الوقوع في المشركين، ولهذا حذر الله تعالى كثيراً من دعاء غيره معه كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام: ٤٠ ـ ٤١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الشعراء: ٢١٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[القصص: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨]. ومنها قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[فاطر: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾[الجن: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المؤمنون: ١١٧].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[يونس: ٢٢].

يقول الآلوسي في تفسير هذه الآية: (وظاهر الآية أنه ليس المراد تخصيص الدعاء فقط بـه سبحانـه بل تخصيص العبادة بـه تعالى أيضاً لأنهم بمجرد ذلك لا يكونون مخلصين له الدين. وأياً ما كان فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك الحال، وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع فمنهم من يدعو الخضر والياس ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس ومنهم من يستغيث

بأحد الأئمة ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة ولا ترى فيهم أحداً يخص مولاه بتضرعه ودعاه ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال فبالله تعالى عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلاً وأي الداعيين أقوم قيلاً؟ وإلى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة وتلاطمت أمواج الضلالة وخرقت سفينة الشريعة واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف، هذا وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[يونس: ٢٢])[١].

وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه ما يدل على وجوب إفراد الله بالدعاء والسؤال والاستعانة به: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[٢].

ومن السنة ما دل على أن من دعا غير الله تعالى يدخل النار دخول الخلود فيدل من هنا على كونه كفراً والعياذ بالله، من ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى، قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله نداً دخل الجنة»[٣].

(فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم ويسألهم

---

(١) روح المعاني، (٦/ ٩٣).

(٢) سبق تخريجه صحيفة (٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٩٧)، ومسلم (١/ ٩٤) (٩٢)، وأحمد في المسند: (١/ ٣٧٤، ٤٦٢، ٤٦٤).

جلب المنافع، ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين)(١).

وقال الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي: (نداءُ الأموات من بعيد أو قريب للدعاء ـ إشراكٌ في العلم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾[الأحقاف: ٥]، وقد دلت هذه الآية على أن المشركين قد أمعنوا في السفاهة فقد عدلوا عن الله القادر العليم إلى أناس لا يسمعون دعاءهم وإن سمعوا ما استجابوا وهم لا يقدرون على شيء فظهر من ذلك أن الذين يستغيثون بالصالحين الذين كانوا في الزمن السابق من بعيد، وقد يكتفي بعض الناس فيقولون: يا سيدنا ادع الله لنا يقضي حاجتنا ويظنون أنهم ما أشركوا فإنهم ما طلبوا منهم قضاء الحاجة وإنما طلبوا منهم الدعاء وهذا باطل فإنهم وإن لم يشركوا عن طريق طلب قضاء الحاجة فإنهم أشركوا عن طريق النداء، فقد ظنوا أنهم يسمعون نداءهم عن بعد كما يسمعون نداءهم عن قرب، وكان ذلك سواء في حقهم ولذلك نادوا من مكان بعيد مع أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾[الأحقاف: ٥])(٢).

ويقول الألوسي رحمه الله: (إن الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم، مثل يا سيدي فلان أغثني، وليس ذلك من التوسل المباح في شيء، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك وأن لا يحوم حول حماه، وقد عده أناس من العلماء شركاً، وإن لا يكنه فهو قريب منه، ولا أرى أحداً ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت

(١) مجموع الفتاوى، (١/ ١٢٤).

(٢) تقوية الإيمان، (١/ ١٠٥).

المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء، ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه ولا فتح فاه وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)[(١)].

وقال البيهقي رحمه الله: (ولا يصح أن يستعيذ بمخلوق من مخلوق)[(٢)].

وقال القاضي عياض رحمه الله: (إن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية، أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهو كفر)[(٣)].

وقد ذكر القرافي رحمه الله الأدعية التي تخرج عن الإسلام وبعضها أقل بكثير مما نحن فيه ثم قال: (فينبغي للسائل أن يحذر هذه الأدعية وما يجري مجراها حذراً شديداً لما تؤدي إليه من سخط الديانة والخلود في النيران، وحبوط الأعمال وانفساخ الأنكحة واستباحة الأرواح والأموال، وهذا فساد كله يتحصل بدعاء واحد من هذه الأدعية ولا يرجع إلى الإسلام ولا ترتفع أكثر هذه المفاسد إلا بتجديد الإسلام والنطق بالشهادتين فان مات على ذلك كان أمره كما ذكرناه نسأل الله العافية من موجبات عقابه)[(٤)].

---

(١) روح المعاني، (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨).

(٢) الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعةالأولى، ١٩٩٣م (١/ ٤٧٦).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء، عمان، الطبعـة الثانيـة، ١٤٠٧هـ، (٢/ ٦٠٤).

(٤) أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، (٤/ ٤٤٩).

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله في شرحه لحديث الأربعين عند الكلام على حديث: «إذا سألت فاسأل الله»[١] إن من اعتقد النفع والضر لغير الله كفر[٢].

وقال الحافظ بن رجب الحنبلي رحمه الله: (إن قول العبد ـ لا إله إلا الله ـ يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله هو الذي يُطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه وسؤالا منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك)[٣].

* * *

*** المطلب الثاني ـ أقسام الدعاء:**

اختلف أهل العلم في أقسام الدعاء إلى مذاهب:

فمنهم من قسمه الى ثلاثة أقسام ومنهم من قسمه الى قسمين:

أما الأول فقسمه الى ثلاثة اقسام وهي: دعاء توحيد وثناء، ودعاء أمر أخروي، ودعاء أمر دنيوي.

---

(١) سبق تخريجه صحيفة (٥٥).

(٢) الفتح المبين شرح حديث الأربعين للهيتمي، أحمد بن حجر (ت: ٩٧٤هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، صحيفة (١٧٤).

(٣) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ، (٢٣ ـ ٢٤).

وقد نص عليه أبو إسحاق الزجاج، فإنه قال: (معنى دعاء الله عز وجل على ثلاثة أضرب: فضرب منها توحيده والثناء عليه، كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، فقد دعوته بقولك: ربنا. ثم أتيت بالثناء والتوحيد. ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]. فهذا ضرب من الدعاء. وضرب ثان: هو مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه، كقولك: اللهم اغفرلنا. وضرب ثالث: هو مسألته من الدنيا، كقولك: اللهم ارزقني مالاً وولداً.

وما أشبه ذلك، وإنما سمي هذا أجمعُ دعاءً؛ لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله: يا الله، يا رب، ويا حي؛ فلذلك سمي دعاء)[١].

وعن طارق بن أشيم الاشجعي الصحابي رضي الله عنه قال: (كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات: اللهم إغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني فهذا الدعاء يجمع للمسلم دنياه واخراه فهو أجمع دعاء)[٢].

والثاني تقسيمه إلى قسمين: دعاء مسألة، ودعاء ثناء.

وممن ذهب إلى هذا التقسيم ابن تيمية رحمه الله فذكر هذا التقسيم في عدة مواضع من كتبه، فمن ذلك قوله: (لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، (ت: ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعةالأولى، ١٩٨٨م، (١/ ٢٥٥)، وينظر: لسان العرب، (٣/ ١٣٨٥)، وينظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الاسلامية، (١/ ٧٤).

(٢) أخرجه مسلم، ٤/ ٢٠٧٣(٢٦٩٧).

معنيين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة...)(١) ويسميه في مواضع دعاء العبادة، ودعاء المسألة والاستعانة(٢). وتبعه تلميذه ابن القيم رحمه الله(٣).

ودعاء المسألة هو: (طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه)(٤).

و دعاء الثناء: (هو ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه، إما إنشاء وإما إخباراً)(٥).

والتقسيم الذي ذكره الزجاج يرجع في الأصل إلى النوعين (الثناء والمسألة) فقط وذلك لأن الضربين الثاني والثالث كلاهما سؤال الله تعالى والطلب منه، وإن كان أحدهما يتعلق بالدنيا، والآخر يتعلق بالآخرة(٦).

وممن أشار إلى هذا التقسيم:

١ ـ ابن جرير الطبري، فذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦]، وجهين: الأول: مسألة العبد ربه ما وعدهم على العمل من الأجر، مستدلا على ذلك بحديث: (الدعاء هو

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٠/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى، (١/ ٦٩) و(٢/ ٤٥٦).

(٣) زاد المعاد، (١/ ٢٢٧).

(٤) بدائع الفوائد، (٣/ ٥١٣).

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، صحيفة (١١٧).

(٦) المخصص، (١٣/ ٨٨).

العبادة)، ثم قال: (فأخبر ﷺ أن الدعاء إنما هو عبادته ومسألته بالعمل والطاعة، ثم نقل عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠]، اعملوا وأبشروا؛ فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله)[١].

وقال أيضاً: (والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولاً وعملاً، وقد يكون بالعمل له بالجوارح)[٢].

٢ ـ وقال الإمام البغوي رحمه الله: (قيل: معنى الدعاء هاهنا: الطاعة، ومعنى الإجابة: الثواب)[٣].

٣ ـ وقال الدهلوي رحمه الله: (واعلم أن الدعوات التي أمرنا بها النبي ﷺ على قسمين:

أحدهما: ما يكون المقصود منه أن تملأ القوى الفكرية بملاحظة جلال الله وعظمته، أو يحصل حالة الخضوع والإخبات، فإن لتعبير اللسان عما يناسب هذه الحالة أثراً عظيماً في تنبه النفس لها وإقبالها عليها.

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، (٣/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، وينظر: بدائع الفوائد، (٣/ ٥١٤)، والدعاء ومنزلته من العقيدة الاسلامية، (١/ ٧٧).

(٢) تفسير جامع البيان، (١١/ ٣٨٧).

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، (١/ ٢٢٦).

والثاني: ما يكون فيه الرغبة في خير الدنيا والآخرة، والتعوذ من شرهما؛ لأن همة النفس وتأكد عزيمتها في طلب شيء يقرع باب الجود بمنزلة إعداد مقدمات الدليل لفيضان النتيجة، وأيضاً فإن الحاجة اللاذعة لقلبه توجهه إلى المناجاة، وتجعل جلال الله حاضراً بين عينيه، وتصرف همته إليه، فتلك الحالة غنيمة المحسن)(١).

ثم إن (كلا النوعين من خصائص الله تعالى، فلا يليقان بأن يصرفا لأحد كائناً من كان، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً، فالله هو المدعو دعاء المسألة للنفع والضر، كما أنه هو المدعو المعبود للرجاء والخوف)(٢). فهذان النوعان مختصان به تبارك وتعالى، ولا يصلحان أن يصرفا لغيره.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وكلا نوعي الدعاء مختصان بالله تعالى، حقان له لا يصلحان لغيره، بل دعاء غيره بأحد النوعين شرك، وذلك من معنى أنه الأحد الصمد، فإن كونه أحداً يوجب أن لا يشرك به في العبادة ولا الاستغاثة، فلا يدعى غيره.

والاسم (الصمد) جاء معرفاً يبين أنه هو الصمد الذي يستحق أن يصمد إليه بكلا نوعي الصمد، وهذان الاسمان ـ الأحد والصمد ـ لم يذكرا في القرآن إلا في هذه السورة ـ يعني سورة الإخلاص ـ والله هو المقصود لذاته ولما يطلب منه، فهو مقصود مدعو لنفسه، كما أنه مقصود مدعو لما يسأل عنه ويطلب منه،

---

(١) حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ الشاه ولي الله الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ)، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، (٢/ ١١٥).

(٢) بدائع الفوائد، (٣/ ٥١٣).

وهو الصمد في الأمرين، لا يصلح لغيره أن يكون هو المعبود، ولا أن يكون هو المتوكل عليه، المستعان به، المسؤول منه)[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن السعدي: (كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة، وهذه قاعدة نافعة؛ فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة دعاء المسألة فقط، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء)[٢].

فدعاء العبادة يشمل كل ما يطلق عليه اسم العبادة كالصوم، والصلاة، وغير ذلك من العبادات، فالمصلي أو الصائم، هو داعٍ ربه بلسان حاله أن يتقبل منه ويغفر له، وأن يجيره من عذابه، كما أنهما تتضمنان الدعاء بلسان المقال، ويدل على هذا القسم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]، فجعل الدعاء عبادة.

وهذا القسم هو الذي قد يقع فيه الشرك كله، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، فقد كفر كفراً مخرجاً له عن الملة، فلو ركع أو سجد لإنسان أو

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، (٤/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠).

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، صحيفة (١٢٧)، وينظر: بدائع الفوائد، (٣/ ٥١٥).

لشيء يعظمه كتعظيم الله في هذا الركوع أو السجود، لكان مشركاً، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[الحج: ٧٣].

أما دعاء المسألة، فهذا ليس كله شركاً، بل فيه تفصيل ذكره أهل العلم في موضعه، فإن كان المخلوق قادراً على ذلك، فليس بشرك، كقوله: اسقني ماء لمن يستطيع ذلك.

قال ﷺ: «من دعاكم فأجيبوه»(١)، فهذا دعاء ولكن المدعو حي قادر على الاجابة، وأما إن دعا المخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله، فإن دعوته شرك مخرج عن الملة.

ومنه قول النبي ﷺ: «من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم بالله فأعيذوه ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه ومن استجاركم فأجيروه»(٢).

يقول ابن تيمية رحمه الله: (وقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٢٣١ (٧٩٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٩٩)، وأبو داود: سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد إبن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (٥١٩٠)، وغيرهما. قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

يطلب منه سائر ما يقدر عليه. وأما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شيء)[١].

ودعاء المسألة ودعاء العبادة متلازمان؛ وذلك من وجهين:

الأول: من جهة الداعي؛ فإن دعاءه بنوعيه مبني على الخوف والرجاء.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وكل سائل راغب وراهب، فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له فهو أيضا راغب وراهب، يرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل عابد سائل، وكل سائل عابد، فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر، وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال. والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه، هو أيضا راج خائف راغب راهب، يرغب في حصول مراده، ويرهب من فواته، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[السجدة: ١٦]، ولا يتصور أن يخلو دعاء لله ـ دعاء عبادة أو دعاء مسألة ـ من الرغب والرهب، من الخوف والطمع)[٢].

والثاني: من جهة المدعو؛ فإنه لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر.

---

(١) قاعدة في التوسل والوسيلة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١هـ، صحيفة (٣٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٠/ ٢٤٠).

قال ابن القيم رحمه الله: (كل من يملك الضر والنفع، فإنه هو المعبود حقا، والمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً ولا نفعاً، وذلك كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[المائدة: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾[الفرقان: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾[يونس: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الأنبياء: ٦٦ ـ ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٦٩ ـ ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[الفرقان: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥]، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه النفع والضر، القاصر والمتعدي، فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم، وهذا في القرآن كثير، بيد أن المعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة)[1].

---

(١) بدائع الفوائد، (٣/ ٥١٤)، وينظر: مجموع الفتاوى، (١٥/ ١١)، والقواعدالحسان، صحيفة (١٥٤ ـ ١٥٥).

المبحث الرابع

شروط استجابة الدعاء، وعدم الإعتداء فيه

* المطلب الأول ـ شروط استجابة الدعاء:

ذكر أهل العلم أن للدعاء شروطاً يتوجب توافرها في الدعاء، وهي مظنة الاجابة، فروي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه دخل سوقاً من أسواق البصرة؛ فاجتمع إليه الناس، فقالوا: يا أبا إسحاق، إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠]، ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا؟ فقال إبراهيم: (يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء:

أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

والثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به.

والثالث: ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه.

والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها.

والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها.

والسابع: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم.

والتاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها.

والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم)[١].

وقال سهل بن عبد الله التستري: (شروط الدعاء سبعة: التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال)[٢].

وقال ابن عطاء: (إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح، فأركانه: حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار. وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ)[٣].

وأنشد ابن جماعة:

قالوا شروط الدعاء المستجاب لنا ... عشر بها بشر الداعي بإفلاح
طهارة وصلاة معهما ندم ... وقت خشوع وحسن الظن يا صاح
وحل قوت ولا يدعى بمعصية ... واسم يناسب مقرون بإلحاح[٤]

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار السعادة ـ مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، (٨/ ١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ٢٠٠٣م، (٢/ ٣١١).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)

ويمكن إجمال هذه الشروط بما يأتي:

١ ـ الإخلاص لله وحده في الدعاء، فلا يدعو إلا الله سبحانه، لأن الله لا يقبل من الدعاء إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[غافر: ١٤]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما المشهور، قال: «... إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، ...)(١).

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (واعلم أنّ سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على رفع هذا الضر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة)(٢).

٢ ـ حضور القلب، وتدبر معاني الدعاء، لقوله ﷺ: «واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ»(٣).

٧٧١هـ) تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، (٩/ ١٤٢).

(١) سبق تخريجه، صحيفة (٥٥).

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، (١/ ٤٨١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، وقال غريب لانعرفه.

٣ ـ حسن الظن بالله تعالى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(١).

قال الشوكاني: (فيه ترغيب من الله لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها؛ فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميع تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ عطياته، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى له هكذا)(٢).

٤ ـ طيب المكسب (المأكل والمشرب والملبس): فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لايقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[المؤمنون: ٥١]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم ٤/ ٢٠٦١(٢٦٧٥).

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد بن علي بن محمد ابن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، صحيفة (١٣).

حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[١].
فمن أين يستجاب لمثل هذا، وكيف يستجاب له[٢]؟.

قال ابن رجب في قوله ﷺ: «أنى يستجاب لذلك» معناه: (كيف يستجاب له؟ فهو استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد، وليس صريحا في استحالة الاستجابة، ومنعها بالكلية، فيؤخذ من هذا أن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الإجابة، وقد يوجد ما يمنع هذا المانع من منعه، وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعا من الإجابة أيضا، وكذلك ترك الواجبات كما في الحديث: أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع استجابة دعاء الأخيار، وفعل الطاعات يكون موجبا لاستجابة الدعاء. ولهذا لما توسل الذين دخلوا الغار، وانطبقت عليهم الصخرة بأعمالهم الصالحة التي أخلصوا فيها لله تعالى ودعوا الله بها، أجيبت دعوتهم)[٣].

٥ ـ العمل الصالح والتوبة من المعاصي.

قال وهب بن منبه: (مثل الذي يدعو بغير عمل، كمثل الذي يرمي بغير وتر)[٤].

وعنه قال: العمل الصالح يبلغ الدعاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر: ١٠].

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٣٠٧(١٠١٥).

(٢) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢، (٧/ ١٠٠).

(٣) جامع العلوم والحكم، (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (٤/ ٥٣).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح)(١).

وقال بعض السلف: (لا تستبطئ الاجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي)(٢).

٦ ـ عدم الاستعجال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل». قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء)(٣).

قال ابن بطال: (وقال بعضهم: إنما يعجل العبد إذا كان غرضه من الدعاء نيل ما سأل، وإذا لم ينل ما يريد ثقل عليه الدعاء، ويجب أن يكون غرض العبد من الدعاء هو الدعاء لله، والسؤال منه، والافتقار إليه أبداً، ولا يفارق سمة العبودية وعلامة الرق، والانقياد للأمر والنهي)(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: (ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء أن يتعجل العبد ويستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله)(٥).

---

(١) جامع العلوم والحكم، (١/ ٢٧٦).

(٢) جامع العلوم والحكم، (١/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٩٦، (٢٧٣٥).

(٤) شرح صحيح البخاري ١٠/ ١٠٠.

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار المعرفة، المغرب، الطبعة = = الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، صحيفة (١١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة؛ لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار)[١].

قال النووي رحمه الله: (واعلم أن مقصود الدعـاء هو حضور القلب، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر والعلم به أوضح من أن يذكر)[٢].

٧ ـ العزم في الدعاء: لايصح شرعاً قول من يدعو: اللهم أعطني إن شئت. أو: اللهم اغفر لي إن شئت. أو: اللهم ارحمني إن شئت. بل الصحيح أن يجزم في سؤاله ودعائه، ويسأل سؤال من يعلم أنه لا يفعل إلا أن يشاء. فكأن في قوله: (إن شئت) استغناء عن مغفرته وعطائه ورحمته.

ويسأل سؤال فقير مضطر إلى ما سأله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول اللهّ ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولنّ: اللهم إن شئت فأعطني. فإنه لا مستكره له»[٣].

٨ ـ الانكسار لله تعالى والتذلل بين يديه.

قال الحافظ ابن رجب: الانكسار والتذلل من أعظم أسباب إجابة الدعاء[٤].

وروى ابن عباس رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ خرج متبذلاً متواضعاً

---

(١) فتح الباري، (١١/ ١٤١).

(٢) شرح النووي (٥/ ٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٣٨)، ومسلم ٤/ ٢٠٦٣، (٢٦٧٨).

(٤) جامع العلوم والحكم، (١/ ٢٦٩).

متضرعا، حتى أتى المصلى، فلم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، وصلى ركعتين كما كان يصلي في العيد)(١).

وكان مطرف بن عبد الله قد حبس له ابن أخ، فلبس خلقان ثيابه، وأخذ عكازا بيده، فقيل له: ما هذا؟ قال: (أستكين لربي، لعله أن يشفعني في ابن أخي)(٢).

٩ ـ عدم الاعتداء في الدعاء، والاعتداء هو تجاوز حدَّه الذي حدَّه لعباده في دعائه ومسألته ربَّه، ورفعه صوته فوق الحد الذي حدَّ لهم في دعائهم إياه، ومسألتهم، وفي غير ذلك من الأمور)(٣). وقد افرد له مطلب خاص.

* * *

*** المطلب الثاني ـ عدم الإعتداء في الدعاء:**

كلمة الاعتداء تدل على: (تجاوز في الشيء، والتعدي: تجاوز ما ينبغي أن يقتصر عليه، والاعتداء مشتق من العدوان)(٤).

قال ابن منظور: (يُقَالُ: تَعَدَّيْتُ الحَقَّ، واعْتَدَيْتُهُ، وعَدَوْتهُ، أي: جَاوُزْتهُ، وفي الحديث: (سيكون قوم يعتدون في الدُّعَاءِ)، هو الخُرُوجُ فيه عن الوضع الشَّرْعِيِّ والسُّنَّةُ المأثورة، وقال: أصل هذا كلِّه: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ، وَالْقَدْرِ، وَالحَقِّ)(٥).

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٧٨، والترمذي (٥٥٨)، وغيرهما، وقال الترمذي عقبه: حسن صحيح.

(٢) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم بيروت، ١٤١٩هـ (٤/ ٤٦٦).

(٣) تفسير جامع البيان، (١٢/ ٤٨٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة، مادة (عدو) (٤/ ٢٤٩).

(٥) ينظر: لسان العرب، مادة (ع د ا)، (١٠/ ٦٢).

وقال القرطبي: (المعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر)(١).

وقال الفخر الرازي: (المعتدين، أي: المجاوزين ما أمِرُوا بِه)(٢).

وجاء عَنْ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهم قال: (إنه لا يحب المعتدين في الدعاء ولا في غيره)(٣).

وعن قتادة قال: (تعلموا أن في بعض الدعاء اعتداء فاجتنبوا العدوان والاعتداء إن أستطعتم ولا قوة إلا بالله)(٤).

وقال الطبري: (إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذي حده لعباده في دعائه ومسألته ربه، ورفعه صوته فوق الحد الذي حد لهم في دعائهم إياه ومسألتهم)(٥).

وقد حذر الله تعالى من الاعتداء عموماً في كل شيء، ونهى عن الاعتداء في الدعاء خصوصاً، فقال: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فالاعتداء في الآية يدل بصفة خاصة على أهمية عدم الاعتداء في الدعاء،

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٢٢٦).

(٢) مفاتيح الغيب، (١٤/ ٢٨٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (٣/ ٤٢٨).

(٤) الدُّرّ المَنْثُورِ في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، (٣/ ٤٧٥).

(٥) تفسير جامع البيان، (٣٣/ ٣٤٥).

لوروده بعد الأمر بالدعاء وإن كان يشمل كل اعتداء، وأن الدعاء الذي يتضمن الاعتداء لايحبه الله ولايرضاه، فلايستجيب له. ومن الأمور التي يشملها الاعتداء في الدعاء[١]:

١ ـ الشرك بالله تعالى في الدعاء[٢]، فإن أعظم العدوان هو الشرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها، فهذا العدوان داخل دخولاً أولياً في قوله تعالى: على لسان نبي الله إبراهيم في دعائه لربه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩]. فصرف الدعاء الذي هو من أهم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، إلى التقرب به لعبد فقير لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فهذا الصرف) من أعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان)[٣].

قال تعالى آمراً نبيه الكريم ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢]. فكل من دعا غير الله تعالى، مستقلاً، أو ليكون واسطة؛ فقد ارتكب إثماً عظيماً، وأبعد نفسه عن رحمة تعالى، فالذين يدعون غير الله تعالى، ويرجون قبول دعائهم قد ضلوا الطريق الصحيح لقبول الدعاء، وهو من الاعتداء في الدعاء.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[الأحقاف: ٥].

---

(١) ينظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الاسلامية، (١/ ١١٧ وما بعدها).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٥/ ٢٣)، وبدائع الفوائد، (٣/ ٥٢٤).

(٣) الرد على البكري، (١/ ٢١٠).

٢ ـ الابتداع في الدعاء: الدعاء عبادة توقيفية، فمن ابتدع عبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، واعتدى على حق الله الذي هو التشريع، ثم إنه عَبَدَ الله بما لم يشرعه، وتقرب إليه بما لم يأذن به، وسأل الله تعالى بما لم يأذن له بسؤاله به، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله، مثل: أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم، أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك، أو يسأله ما فيه معصية الله كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان(١).

٣ ـ سؤال الله تعالى مالا يجوز له سؤاله.

قال الإمام القرطبي: (ومن شرط المدعو فيه: أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعاً)(٢).

فمما ورد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أي بني! سل الله تعالى الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»(٣).

---

(١) جامع العلوم والحكم، (٢/ ٥٣٥)، والدعاء بين التضرع والاعتداء، مبروك عطية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، صحيفة (٤٩) فما بعد.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٢/ ٣١١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند، (٤/ ٨٧)، وأبو داود، (١/ ١٦٩) رقم (٩٦)، وسنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي (٢/ ١٢٧١) رقم (٣٨٦٤)، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٢٢) بعد أن ساق إسناده: (وهو إسناد حسن لا بأس به).

٤ ـ سؤال الله تعالى المعونة على الحرام.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل»(١). فجميع أنواع الحرام داخلة في هذا الحديث: (فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم)(٢).

٥ ـ الدعاء على المؤمنين باللعنة والخزي، ونحو ذلك، قال بعض أهل العلم في تفسير المعتدين: (هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل فيقولون: اللهم أخزهم.. اللهم العنهم)(٣). ومثل الدعاء على المؤمنين الدعاء على نفسه وأهله، وأمواله، وقد جاء النهي عن ذلك، قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»(٤). وقد عاد النبي ﷺ مريضاً صار كالفرخ من الضعف، فسأله: «هل كنت تدعو بشيء»؟ قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، لا تطيقه!!» أفلا قلت: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، (٤/ ٢٠٩٦) رقم (٢٧٣٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٢/ ٣١١).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ١٦٦)، تفسيرابن أبي حاتم (٥/ ١٥٠٠)، روح المعاني (٤/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٠٤)، رقم (٣٠٠٩).

(٥) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٦٨، (٢٦٨٨)، وأحمد في المسند، (٣/ ١٠٧، ٢٢٨).

٦ ـ ومنه الدعاء على النفس بالموت لضر نزل به، فمن هنا نُهي عن الدعاء بالموت وتمنيه فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لايزيد المؤمن عمره إلا خيراً»(١). ففي الدعاء على النفس بالموت اعتداء على النفس، وهي ليست من حق الإنسان، بل هي ملك لله تعالى، كما أنه اعتداء على الدعاء المشروع الذي هو طلب العافية في الدنيا والآخرة إلى الدعاء غير المشروع.

٧ ـ سؤاله تعالى ما يناقض حكمته، أويتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به(٢).

٨ ـ الدعاء بالمحال كالدعاء بدخول إبليس وأبي جهل وإضرابهما الجنة، والدعاء بمثل هذا يصل حكمه عند بعضهم إلى الكفر؛ لما في ذلك من طلب إكذاب الله تعالى لنفسه(٣).

٩ ـ الدعاء بما لا مطمع فيه، كمن يدعو بالخلود في الدنيا، وقد علم أن الله استأثر بالبقاء، وكتب الفناء على خلقه(٤).

١٠ ـ الدعاء برفع لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب، أو

---

(١) أخرجه مسلم، ٤/ ٢٠٦٥ (٢٦٨٢).

(٢) بدائع الفوائد، (٣/ ٥٢٤)، والفروق للقرافي، (٤/ ٤٥٠ وما بعدها)، وحاشية ابن عابدين، (١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣).

(٣) ينظر: حاشية ابن عابدين، (١/ ٥٢٣)، وروح المعاني، (٤/ ٣٧٩).

(٤) شأن الدعاء، صحيفة (١٥).

يسأله أن يهب له ولداً من غير زوجة(١).

١١ ـ الدعاء بما يناقض ما علمه الله تعالى، نحو: السؤال بأن لا يقيم الساعة(٢).

ونرى (أن الدعاء المشتمل على سؤال ما هو من خصائص الإلوهية، كطلب علم الغيب، والبقاء في الدنيا، أو طلب ما هو من خصائص النبوة كالوحي، أو طلب ما يناقض علم الله وشرعه أو خبره، هو من الاعتداء، ومن هذا ما يصل إلى الكفر والعياذ بالله، وتعد هذه الأمور من سؤال الرب تبارك وتعالى ما لم يكن يفعله)(٣).

١٢ ـ ومن جملة الاعتداء في الدعاء: سوء الأدب في خطاب الله ومناجاته، وذلك بأن يخاطب الداعي (ربه جل ثناؤه بما لو خاطب به كفؤه وقرينه ينسبه إلى قلة الحياء، وسوء الأدب، أو ركاكة العقل)(٤).

١٣ ـ رفع الصوت بالدعاء رفعاً يخل بالأدب، قال عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، (ت: ١٥٠هـ): (من الاعتداء رفع الصوت، والنداء في الدعاء والصياح)(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى، (١٥/ ٢٢)، وبدائع الفوائد، (٣/ ٥٢٤).

(٢) الرد على البكري، (١/ ٢٠٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (١/ ١٣٠).

(٤) المنهاج في شعب الايمان، أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي البخاري الجرجاني (ت: ٤٠٣)، تحقيق: حلمي فودة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، (١/ ٥٢٢).

(٥) تفسير البغوي، (٢/ ١٦٦).

وهذا في غير المواضع التي يشرع فيها رفع الصوت، فأخرج ابن حبان عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أخذ القوم في عقبة أو ثنيّة، فكلما علاها رجل قال: لا إله إلا الله والله أكبر، والنبي ﷺ على بغله يعرضها في الجبل، فقال: «يا أيها الناس إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا»، ثم قال: يا أبا موسى ـ أو يا عبد الله بن قيس ـ «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

قال ابن حبان عقبه: قوله ﷺ: «إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً»: لفظة إعلام عن هذا الشيء مرادها الزجر عن رفع الصوت بالدعاء(١).

وفي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[الإسراء: ١١٠]. أنها نزلت في الدعاء(٢).

وقال الحسن البصري رحمه الله: (رفع الصوت بالدعاء بدعةٌ)(٣).

وعن مجاهد بن جبر: (أنه سمع رجلا يرفع صوته بالدعاء، فرماه بالحصى)(٤).

---

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م (٨٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٧) ومسلم ٢/ ٣٤ (١٠٣٠)

(٣) فتح الباري، (٦/ ١٣٥).

(٤) أخرجـه ابن أبي شيبـة: المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبـد الله ابن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: =

وقال ابن جريج: (من الاعتداء رفع الصوت بالدعاء والنداء والصياح به)[١].

أما في المواضع التي ثبت فيها رفع الصوت بالدعاء، كما في خطبة الجمعة وغيرها فهو مشروع، بل الأقرب للإجابة لما فيه زيادة مزية اتباع النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح قوله ﷺ: (اربعوا): قال الطبري: (فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر، وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين). وتصرف البخاري يقتضي أن ذلك خاص بالتكبير عند القتال وأما رفع الصوت في غيره... حديث ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على العهد النبوي إذا انصرفوا من المكتوبة[٢].

ومد اليدين إلى السماء، وهو من آداب الدعاء التي يرجى بسببها إجابته، وليس فيه من الاعتداء شيء، ففي حديث سلمان عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى حيي كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين»[٣].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: أتى رجل أعرابي من أهل البدو إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة، فقال: يا رسول الله، هلكت الماشية، هلك العيال هلك

= كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، (٢٩٩٦٩).

(١) الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨، صحيفة (٥٥٣).

(٢) فتح الباري، (٦/ ١٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وقال: (هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه).

الناس، (فرفع رسول الله ﷺ يديه، يدعو، ورفع الناس أيديهم معه يدعون)(١).

وروى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: ٩]، فأمده الله بالملائكة(٢).

وهذا الحديث يدل صراحة على جواز رفع الصوت بالدعاء ولا سيما إذا كان لقصد التعليم.

كما نقل عن النبي ﷺ أنه جهر في أدعية؛ وذلك لتعليم أصحابه، فيكون له أجران: أجر الدعاء، وأجر التعليم(٣).

١٤ ـ دعاء الله تعالى بدون تضرع في دعائه تعالى وخطابه، فإن دعاء غير

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٦٩)، ومسلم ٢/ ٦١٢(٨٩٥)، وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم ٣/ ١٣٨٣(١٧٦٣)، والترمذي (٣٠٨١)، وغيرهما.

(٣) قواعد الأحكام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (ت: ٦٦٠هـ)، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩١م، (٢/ ٢١١).

المتضرع يشبه المستغني المدلي على ربه، وهذا من أعظم الاعتداء، لمنافاته لدعاء الذليل، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد(١).

ويدل على كون هذا من الاعتداء في الدعاء: أن الله تعالى قال أولاً: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥]. فعدم التضرع في الدعاء وكذلك عدم الخفية هومن الاعتداء في الدعاء.

١٥ ـ جعل بعض الصحابة تكثير الكلام الذي لا حاجة إليه، من الاعتداء في الدعاء، فقد روى أبو داود وغيره عن ابن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: (اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها، وبهجتها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار، وسلاسلها وأغلالها، وكذا وكذا). فقال: يا بني! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء. فإياك أن تكون منهم، إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر»(٢).

١٦ ـ تكلف(٣) السجع في الدعاء، وتكلف صنعة الكلام له، عن ابن عباس رضي الله عنه في وصيته لمولاه عكرمة: (فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب)(١).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٥/ ٢٣)، وبدائع الفوائد، (٣/ ٥٢٤).

(٢) أحمد، (١/ ١٧١) رقم (١٨٣)، أخرجه أبو داود، (٢/ ١٦١) رقم (١٤٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٣/ ٢١٨) رقم (٣٥٦٥).

(٣) عقد البخاري باباً فقال: باب ما يكره من السجع من الدعاء، البخاري مع الفتح، (١١/ ١٣٨).

عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب)[١].

وما وقع في الأحاديث الصحيحة من السجع كان يصدر من غير قصد إليه؛ ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام[٢]. ومما ورد من الأدعية مسجعاً قوله ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع»[٣]. وقوله ﷺ: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب»[٤].

ومما ذكره العلماء من معاني الاعتداء ينبغي أن يُعلم أنه ليس معنى الاعتداء الإكثار من الدعاء، خلافاً لما يتبادر من لفظ الاعتداء؛ فقد أمرنا بالإكثار من الدعاء[٥].

يقول ابن تيمية رحمه الله: (لا ريب إن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات. والعبادات مبناها على التوقيف والإتباع لا على الهوى والإبتداع فالأدعية والأذكار النبوية هى أفضل ما يتحراه المتحرى من الذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمان وسلامة والفوائد والنتائج التى تحصل لايعبر عنه لسان ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرما وقد يكون مكروها وقد يكون فيه شرك مما لايهتدى إليه اكثر الناس وهى جملة يطول تفصيلها،

---

(١) البخاري مع الفتح، (١١/ ١٣٨) رقم (٦٣٣٧).

(٢) فتح الباري، (١١/ ١٣٩).

(٣) أخرجه مسلم، (٤/ ٢٠٨٨) (٢٧٢٢).

(٤) أخرجه البخاري، (٢٩٦٦)، ومسلم، (٣/ ١٣٦٣) (١٧٤٢).

(٥) شأن الدعاء، صحيفة (١٤).

وليس لأحد أن يسن للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس بل هذا إبتداع دين لم يأذن الله به بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرما لم يجز الجزم بتحريمه لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب، وأما إتخاذ ورد غير شرعى وإستنان ذكر غير شرعى فهذا مما ينهى عنه ومع هذا ففى الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد)[1].

❑❑❑

(١) مجموع الفتاوى، (٢٢/ ٥١١).

المبحث الخامس

خصوصية بعض الأوقات والأماكن والأدعية والأعيان بالدعاء

جعل الله تعالى خصوصية في استجابة الدعاء لبعض الأوقات والأماكن دون بعض، ونبه تعالى على هذه الأوقات والأمكنة في كتابه الكريم تصريحاً وتلميحاً، وحث نبيه ﷺ على التعرض لهذه النفحات الربانية. وسنتعرض لبعض هذه النفحات. في المطالب الآتية.

*** المطلب الأول ـ خصوصية بعض الأوقات بالدعاء.**

وردت الآيات والأحاديث والآثار التي تؤكد على قبول الدعاء في أوقات معينة، ومنها:

١ ـ وقت السحر:

وصف الله تعالى عباده المتقين الذين سيرثون الجنان بأنهم كانوا يستغفرون بالأسحار: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

قال القرطبي: واختلف في معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ فقال أنس بن مالك: هم السائلون المغفرة. وقال قتادة: المصلون. قلت: ولا تناقض، فإنهم يصلون ويستغفرون. وخص السَحَر بالذكر لأنه مظان القبول ووقت

إجابة الدعاء. قال رسول الله ﷺ في تفسير قوله تعالى مخبرا عن يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٩٨]. (أنه أخر ذلك إلى السَحَر). وسأل النبي ﷺ جبريل «أي الليل أسمَع»؟ فقال: «لا أدري غير أن العرش يهتز عند السَحَر»[(١)].

وعن أبي أمامة قال: «قيل لرسول الله ﷺ أي الدعاء أسمع؟ قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات»[(٢)].

وعنه رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «من أوى إلى فراشه طاهراً يذكرُ الله حتى يُدرِكَه النُّعاس، لم يتقلَّبْ ساعةً من الليل يسألُ الله شيئاً من خيرِ الدُّنيا والآخرة، إلا أعطاه إيَّاه»[(٣)].

وعن كعب بن مرة البهزي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الليل أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر»[(٤)]. قال الخطابي: (يريد أن أي أوقات الليل أرجى للدعوة وأولى للاستجابة)[(٥)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٤/ ٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٩٩)، والنسائي، السنن الكبرى، الامام أبي عبد الرحمن أحمد ابن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، (٦/ ٣٢)، (٩٩٣٦). قال الترمذي: حديث حسن.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٢٦)، وقال: حسن غريب.

(٤) أخرجه أحمد، (٤/ ٣٢١)، وأبو داود (١٢٧٩). وقال الشيخ شعيب: صحيح لغيره.

(٥) معالم السنن، شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، الطبعةالأولى، =

فهذا الوقت هو وقت تجلي إلهي ونفحات ربانية، ينزل فيه ملك الملوك، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»(١).

قال ابن تيمية رحمه الله: (والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجه والتقرب والرقة ما لايوجد في غير ذلك الوقت)(٢).

٢ ـ ساعة الجمعة ويومها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه)(٣).

واختلف أهل العلم فى تعيين هذه الساعة على أربعين قولاً(٤)، وأقوى هذه الأقوال قولان.

١ ـ هو ما بين جلوس الإمام على المنبر إلى الفراغ من الصلاة.

٢ ـ هو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب.

وهاتان الساعتان قد صح في كل منهما ما يدل على ان الدعاء مستجابٌ

= ١٩٣٢م، (١/ ٢٧٦).

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١/ ٥٢١) رقم (٧٥٨)، وهو حديث متواتر كما قاله الذهبي في العلو، صحيفة (٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى، (٥/ ١٣٠ ـ ١٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٢/ ٥٨٣) رقم (٨٥٢).

(٤) ينظر: فتح الباري، (٢/ ٤١٦ ـ ٤٢١)، .

فيها، ولا تعارض بين ما ورد فيه؛ لاحتمال أن يكون ﷺ دل على أحدهما في وقت وعلى الآخر في وقت آخر[١].

٣ـ شهر رمضان المبارك وليلة القدر:

رمضان من الشهور التي فضلها الله تعالى على غيرها من الشهور، فخصه الله تعالى بخصال عدة، يضاعف فيه الأجر، وتكثر فيه الهبات من الله تعالى، ويكثر فيه عتقاء الله من النار، وإذا دخل الشهر فتحت أبواب الجنان، وغلقت أبواب النيران، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»[٢].

وفي هـذا الشهر ليلة هي خير من ألف شهر، ليلة القدر التي نزل فيها القرآن الكريم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يقم ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].

٤ ـ يوم عرفة:

قال النبي ﷺ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة»[٤]. يوم عرفة من أيام الله المباركة هو الموقف العظيم، يطلِع فيه الجليل على عباده في ذاك اليوم فيغفر لهم جميعاً.

---

(١) زاد المعاد، (١/ ٣٧٦)، وفتح الباري، (٢/ ٤٢٢)، وينظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الاسلامية، (١/ ١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٧٥٨) رقم (١٠٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥)، ومسلم ١/ ٥٢٣(٧٦٠).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ عن طلحة بن عبيدالله بن كريز مرسلاً، (١/ ٤٢٢) رقم (٢٤٦).

قال ابن عبد البر رحمه الله: (وفيه من الفقه أن دعاء يوم عرفة أفضل من غيره، وفي الحديث أيضاً دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب)[١].

وكان ابن الزبير يقول: (أفضل الدعاء يوم عرفة: التكبير)[٢].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (فإنه من المعلوم أن الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير عنه)[٣].

٥ ـ عند النداء إلى الصلاة، وعند التحام الصفوف:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثنتان لاتردان أو قلما تردان: الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا»[٤].

٦ ـ عند نزول المطر:

قال ﷺ: «ثنتان ما تردان الدعاء: عند النداء، وتحت المطر»[٥].

فدعاء من كان تحت المطر، ـ أي وهو نازل عليه ـ مستجاب؛ لأنه وقت نزول الرحمة والبركة.

قال المناوي: (وتحت المطر) أي دعاء من هو تحت المطر لايرد أو قلما يرد

---

(١) التمهيد لابن عبد البر، (٦/ ١٤١).

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعةالثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م (٤/ ٣٦٩).

(٣) مجموع الفتاوى شرح حديث النزول، (٥/ ٣٧٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٤٢)

(٥) أخرجه الحاكم (٣/ ١٦٩) بهذه الزيادة (وتحت المطر).

فإنه وقت نزول الرحمة ولا سيما أول قطر السنة والكلام في دعاء متوفر الشروط والأركان والآداب)[١].

٧ـ في السجود:

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «ألا إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء؛ قمن[٢] أن يستجاب لكم»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٤].

٨ـ دبر الصلوات المكتوبة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»[٥].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، (٣/ ٣٤٠).

(٢) قمن: حري وجدير، ينظر: غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، (٢/ ١٩٧)

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٣٤٨(٤٧٩).

(٤) أخرجه مسلم ١/ ٣٥٠ (٤٨٢)، وأحمد (٢/ ٤٢١)، وأبو داود (٨٧٥)،

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٩٩) وقال: حديث حسن.

٩ ـ ما بين الأذان والإقامة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدعاء لايرد بين الأذان والإقامة؛ فادعوا»[١]. وفي لفظ: «الدعاء بين الآذان والإقامة يستجاب فادعوا»[٢].

وفي هذا الحديث: (دليل على قبول الدعاء في هذا الوقت، إذ عدم الرد يراد به القبول، ولفظ الدعاء بإطلاقه شامل لكل دعاء، ولا بد من تقييده بما في الأحاديث الأخرى الصحيحة من أنه ما لم يكن دعاء بإثم أو قطيعة رحم، فالدعاء في هذا الوقت مستجاب لكن بعد جمع شروط الدعاء وأركانه وآدابه، فإن تخلف شيء منها فلا يلوم إلا نفسه. وقد ورد تعيين أدعية تقال حال الأذان وبعده، وهو ما بين الأذان والإقامة، منها ما تقدم، ومنها ما سيأتي. وقد عين ﷺ ما يدعى به أيضاً لما قال: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد». قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة». قال ابن القيم رحمه الله: هو حديث صحيح)[٣].

---

(١) أخرجه أحمد: (٣/ ١٥٥)، وأبو داود (٥٢١)، والترمذي: (٢١٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، صحيفة (١١٧) رقم (٦٧، ٧٢)، والطبراني في الدعاء، (٤٨٣ ـ ٤٨٨). قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان، (١٦٩٦).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد الرحماني المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م، (٢/ ٣٧٧).

١٠ ـ يومي العيدين:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه كان يقول في خطبتة في العيدين: «هذا يوم لا يرد فيه الدعاء، فارفعوا رغبتكم إلى الله عز وجل، ثم يرفع يديه ويدعو»(١).

١١ ـ عند حضور الجنازة:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين وأخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونور له فيه»(٢).

١٢ ـ عند قراءة الفاتحة في الصلاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج». ثلاثاً (غير تمام) فقيل لأبي هريرة رضي الله عنه: إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني

---

(١) أحكام العيدين، أبو بكر جعفر بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (ت: ٣٠١هـ)، تحقيق: مساعد سليمان راشد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، صحيفة (١٩٧).

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٦٤٣(٦٢٠)، وغيره.

عبدي. (وقال مرة: فوض إلي عبدي) فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[١].

١٣ ـ عند التأمين في الصلاة إذا وافق تأمين الملائكة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أمن القارئ فأمنوا فإن الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

١٤ ـ بعد الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم دعوت لنفسي فقال النبي ﷺ: «سلْ تُعطه. سلْ تُعطه»[٣].

ومنه مارواه عبد الله بن بريدة عن حنظلة بن على أن محجن بن الأدرع حدثه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد وهو يقول اللهم إنى أسألك يا الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لى ذنوبى إنك أنت الغفور الرحيم. قال فقال: «قد غفر له

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٩(٩٠٤)، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٢)، ومسلم ٢/ ١٧(٩٤٢)، وغيرهما.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٦ و٣٨)، والترمذي (٥٩٠٣)، وغيرهما، قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

قد غفر له» ثلاثا[١].

١٥ ـ عند الإجتماع في مجالس الذكر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عزوجل ـ وهو أعلم منهم ـ ما يقول عبادي؟ قال: يقولون يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، قال فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر لك تسبيحاً. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لوأنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافةً. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٨)، وأبو داود (٩٨٧)، والنسائي سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، الطبعةالخامسة، ١٤٢٠هـ، (٣/ ٦٠)، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم ٤/ ٦٩، (٢٦٨٩).

*** المطلب الثاني ـ خصوصية بعض الأماكن بالدعاء اوضحها فيما يلي:**

١ ـ عند رمي الجمرة الصغرى والوسطى أيام التشريق:

إذ (كان رسول الله ﷺ إذا رمى الجمرة التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها فوقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي الجمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات يكبر كلما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات اليسار مما يلي الوادي، فيقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو، ثم يأتي الجمرة التي عند العقبة فيرميها بسبع حصيات يكبر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف عندها)(١).

٢ ـ الدعاء داخل الكعبة أو داخل الحجر:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها)(٢).

٣ ـ الدعاء على الصفا والمروة للحاج وللمعتمر:

قال جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل في حجة النبي ﷺ: (ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] (أبدأ بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة. فوحَّد الله، وكبَّرهُ، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات.

(١) أخرجه البخاري (١٧٥٣).

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٩٦٨ (١٣٢٠).

الحديث. وفيه: (ففعل على المروة كما فعل على الصفا)[(١)].

٤ ـ الدعاء عند المشعر الحرام يوم النحر للحاج:

قال جابر رضي الله عنه عن حجة النبي ﷺ: (ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعاه وكبَّره، وهلَّله، ووحَّده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس)[(٢)].

* * *

*** المطلب الثالث: خصوصية بعض الأدعية والأذكار بالدعاء، ومنها:**

١ ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من تعارَّ[(٣)] من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»[(٤)].

٢ ـ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٨٨٨ (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٨٨٨ (١٢١٨).

(٣) تعار: استيقظ.

(٤) أخرجه البخاري، (١١٥٤).

(٥) أخرجه أحمد، (٢/ ١٧٠)، والترمذي، (٣٥٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى، (١٠٤٩٢). وقال الشيخ شعيب: حسن.

٣ ـ وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم). قال النبي ﷺ عندما سمع رجلاً يصلي يدعو بهذا الدعاء: «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى»[١].

* * *

*** المطلب الرابع ـ خصوصية بعض الأعيان بالدعاء:**

١ ـ دعاء النبي الشفيع ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ٦٤].

يقول ابن كثير رحمه الله: (يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ٦٤])[٢].

وقال الفخر الرازي رحمه الله: (إنما قال: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٩)، وابن ماجه، (٣٨٥٧) وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وقال الترمذي: حسن. وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٣٤٧).

[النساء: ٦٤] ولم يقل واستغفرت لهم إجلالا للرسول عليه الصلاة والسلام، وأنهم إذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيرا بينه وبين خلقه، ومن كان كذلك فان الله لا يرد شفاعته، فكانت الفائدة في العدول عن لفظ الخطاب إلى لفظ المغايبة...)[١].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: (فذكر سبحانه إستغفارهم وإستغفار الرسول لهم إذ ذاك مما أمر به الرسول حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولم يأمر الله مخلوقا أن يسأل مخلوقا شيئا لم يأمر الله المخلوق به بل ما أمر الله العبد أمر إيجاب أو استحباب ففعله هو عباده لله وطاعة وقربة الى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه وإذا فعل ذلك كان أعظم لإحسان الله اليه وإنعامه عليه بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم للإيمان)[٢].

٢ ـ دعوة المظلوم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ بعث معاذا إلى اليمن فقال: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»[٣].

٣ ـ دعاء الوالد لولده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب، (١٠/ ١٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى، (١/ ١٣٣).

(٣) أخرجه البخاري، (٢٤٤٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٨٦٢)، أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (٣٤٤٨).

٤ ـ دعاء الوالد على ولده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[١].

٥ ـ دعاء المسافر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[٢].

٦ ـ دعاء الصائم عند فطره:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويَفتَحُ لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٥٨، والترمذي (٣٤٤٨). وقال: حديث حسن، وقال الشيخ شعيب: حسن لغيره.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٥٨، والترمذي (٣٤٤٨). وقال: حديث حسن، وقال الشيخ شعيب: حسن لغيره.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، والترمذي (٣٥٩٨)، وابن حبان (٧٣٨٧). قال الترمذي: (حديث حسن). وقال الشيخ شعيب في تعليقه على ابن حبان صحيح بشواهده. وقد ضعف لفظة (الإمام العادل) الألباني: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م (٤/ ٤٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد»، قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي)[١].

٧ ـ دعاء المضطر:

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل: ٦٢].

وقصة الثلاثة أصحاب الغار الذين سألوا الله بصالح أعمالهم، وكانوا مضطرين مكروبين، ففرج الله عنهم قصة مشهورة[٢].

٨ ـ دعاء الولد البار لوالديه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٣].

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: (إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده وقال بيديه نحو السماء فرفعهما)[٤].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) أخرجه ابن ماجه، (١٧٥٣)، والحاكم، (١/ ٢٤٤)، وحسنة الحافظ في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، (٤/ ٣٤٢).

(٢) سبق تخريجه صحيفة، (٥١).

(٣) أخرجه مسلم، ٣/ ١٢٥٥(١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، وغيرهما.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، (رواية محمد بن الحسن)، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، برقم (٩١٥).

«يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»[١].

٩ ـ دعاء الحاج والمعتمر:

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الغازي في سبيل الله، والحاج، والمعتمر وفد الله: دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»[٢].

١٠ ـ دعاء الذاكرين لله كثيراً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يُردُّ دُعاؤُهم: الذاكر لله كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط»[٣].

هذه أغلب المواضع والأوقات التي جاء النص الصريح باستجابة الدعاء فيها أو الأمر به، وهناك مواضع أخرى فاضلة يستحب الدعاء فيها لما فيها من مظنة استجابة الدعاء[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٦٨ (٢٥٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، (٤/ ٤٣٣).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (٢/ ٣٩٩). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٣/ ٢١١).

(٤) ينظر: الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، صحيفة (١٨٢).

المبحث السادس

أقسام أدعية الأنبياء الواردة في القرآن الكريم

*** المطلب الأول ـ أمر الله تعالى انبياءه بالدعاء:**

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧].

قال السعدي: يأمر تعالى نبيه ﷺ أصلاً وغيره تبعاً، أن يقول عن ربه معلنا بتفرده بتصريف الأمور وتدبير العالم العلوي والسفلي، واستحقاقه باختصاصه بالملك المطلق والتصريف المحكم، وأنه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، فليس الأمر بأماني أهل الكتاب ولا غيرهم، بل الأمر أمر الله والتدبير له فليس له معارض في تدبيره ولا معاون في تقديره، وكما أنه المتصرف بمداولة الأيام بين الناس فهو المتصرف بنفس الزمان، وقوله: (بيدك الخير) أي الخير كله منك ولا يأتي بالحسنات والخيرات إلا الله، وأما الشر فإنه لا يضاف إلى الله تعالى لا وصفا ولا اسما ولا فعلا ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره، فالخير والشر كله داخل في القضاء والقدر، فلا يقع في ملكه إلا ما شاءه ولكن الشر لا يضاف إلى الله؛ فلا يقال بيدك الخير والشر بل يقال بيدك الخير، كما قاله الله وقاله رسوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[الحديد: ٦] أي: يدخل هذا على هذا ويحل هذا محل هذا ويزيد في هذا ما ينقص

من هذا ليقيم بذلك مصالح خلقه ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾[يونس: ٣١] كما يخرج الزروع والأشجار المتنوعة من بذورها والمؤمن من الكافر ﴿وَيُخْرِجُ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[يونس: ٣١] كما يخرج الحبوب والنوى والزروع من الأشجار والبيضة من الطائر فهو الذي يخرج المتضادات بعضها من بعض وقد انقادت له جميع العناصر وقوله: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٧] قد ذكر الله في غير هذه الآية الأسباب التي ينال بها رزقه كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق: ٢ ـ ٣]، (فعلى العباد أن لا يطلبوا الرزق إلا من الله ويسعوا فيه بالأسباب التي يسرها الله وأباحها)(١).

وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران: ١١٩].

قال الطبري: وخرَج هـذا الكلام مخرج الأمر، وهو دعاء من الله لنبيَّه محمدٍ ﷺ بأن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله، كمَداً مما بهم من الغيظ على المؤمنين، قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت في دينهم، والضلالة بعد هداهم، فقال لنبيه ﷺ: قل يا محمد: أهلكوا بغيظكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران: ١١٩]. (فعلى هذا يتجه أن يدعو عليهم بهذا، مواجهة وغير مواجهة بخلاف اللعنة)(٢).

---

(١) ينظر: القواعد الحسان، صحيفة (٥٢ ـ ٥٠)، وزهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (١/ ١١٦٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٤/ ١٨٣).

قال ابن عاشور: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾[آل عمران: ١١٩] كلام لم يقصد به مخاطبون معيَّنون لأنَّه دعاء على الَّذين يعضّون الأنامل من الغيظ، وهم يفعلون ذلك إذا خلوا، فلا يتصوّر مشافهتهم بالدّعاء على التَّعيين ولكنَّه كلام قصد إسماعه لكلّ من يعلم من نفسه الاتّصاف بالغيظ على المسلمين وهو قريب من الخطاب الَّذي يقصد به عموم كُل مخاطب نحو: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[السجدة: ١٢]، والدعاء عليهم بالموت بالغيظ صريحه فطلب موتهم بسبب غيظهم، هوكناية عن ملازمة الغيظ لهم طول حياتهم إن طالت أو قصرت، وذلك كناية عن دوام سبب غيظهم، وهو حسن حال المسلمين، وانتظام أمرهم، وازدياد خيرهم، وفي هذا الدعاء عليهم بلزوم ألم الغيظ لهم، وبتعجيل موتهم به، وكلّ من المعنيين المكني بهما مراد هنا، والتكنّي بالغيظ وبالحسد عن كمال المغيظ منه المحسود مشهور، والعرب تقول: فلان محسَّد، أي هو في حالة نعمة وكمال(١).

وقال تعالى آمراً نبيه الكريم ﷺ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٢٠٠].

فالله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يدعوه بما يشمل أموره الدنيوية والأخروية، بأن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[الإسراء: ٨٠]، والظاهرأنه عام في جميع موارده ومصادره دنيوية وأخروية(٢).

(١) تفسير التحرير والتنوير، (٤/ ٦٧).

(٢) ينظر: تفسير جامع البيان، (١٧/ ٥٣٣ ـ ٥٣٥)، تفسير البحر المحيط، (٦/ ٥٣)، =

(وهو دعاء يعلمه الله لنبيه ليدعوه به، ولتتعلم أمته كيف تدعو الله وفيم تتجه إليه. دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج، كناية عن صدق الرحلة كلها. بدئها وختامها. أولها وآخرها وما بين الأول والآخر.

وللصدق هنا قيمته بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنته عما أنزل الله عليه ليفتري على الله غيره)(١).

وقوله تعالى آمرا نبيه ﷺ: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾[الكهف: ٢٤]، أي: (يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد)(٢). وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[طه:١١٤].

وقوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾[المؤمنون: ٩٣].

قال ابن عطية: (أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة إن كان قضي أن يرى ذلك)(٣).

ومنها ماجاء في أمر الله تعالى نبينا ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[المؤمنون: ٩٧]. فأمْرُهُ تعالى بالتعوذ من همزات الشياطين مراداً به الاستمرار على السلامة منهم، فالنبي ﷺ معصوم من سائر أنواع أذى

= والتفسير القيم، (٢/ ٢٣)، وفتح القدير، (٣/ ٢٥٣).

(١) تفسير في ظلال القران، (٤/ ٢٢٤٧).

(٢) تفسير البغوي، (٥/ ١٦٤)، وينظر: البحر المحيط، (٦/ ١١٦).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٤/ ١٨٧).

الشياطين، في جسمه الشريف، وكذا من وسوسة الخاطر ﷺ(١).

ومنها: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[المؤمنون: ١١٨].

ومنها: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٤٦].

قال الآلوسي: (أمرٌ بالدعاء والالتجاء إلى الله تعالى لما قاساه في أمر دعوتهم وناله من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فإنه تعالى القادر على الأشياء بجملتها والعالم بالأحوال برمتها، والمقصود من الأمر بذلك بيان حالهم ووعيدهم وتسلية حبيبه الأكرم ﷺ وأن جده وسعيه معلوم مشكور عنده عز وجل وتعليم العباد الالتجاء إلى الله تعالى والدعاء بأسمائه العظمى، ولله تعالى در الربيع بن خيثم فإنه لما سئل عن قتل الحسين رضي الله عنه تأوه وتلا هذه الآية، فإذا ذكر لك شيء مما جرى بين الصحابة (قل اللهم فَاطِرَ السموات...)، فإنه من الآداب التي ينبغي أن تحفظ، وتقديم المسند إليه في (أَنتَ تَحْكُمُ) للحصر أي أنت تحكم وحدك بين العباد فيما استمر اختلافهم فيه حكماً يسلم له كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي أو الأخروي، والمقصود من الحكم بين العباد الحكم بينه ﷺ وبين هؤلاء الكفرة)(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق: ١]. قال الضحاك: (أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله)(٣). ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (٤/ ٣١٧)، والجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ١٤٨).

(٢) تفسير روح المعاني، (١٢/ ٢٦٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٥٣٥).

*** المطلب الثاني ـ دعاء الانبياء عليهم السلام لأنفسهم:**

الفرع الأول ـ الدعاء بطلب الصبر والثبات والنصر:

وهذه الثلاثة متلازمة مرتبطة، فالصبر من أهم الأسباب الموصلة إلى النصر (فالنصر صبر ساعة) ولا بد من الثبات على الصبر حتى يأتي نصر الله تعالى، لذا ارتبطت هذه الثلاثة بوضوح في دعاء نبي الله داود عليه السلام، ومن معه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٥٠].

وكذا في دعاء النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٧].

والصبر هو (حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما. وهو خُلق فاضل من أخلاق النفس، يُمتنع به من فعل ما لا يُحسن ولا يَجْمُل. وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها)(١).

قال ابن القيم رحمه الله: (الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر على الطاعات حتى يؤديها، وصبرٌ عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، صحيفة (١٥).

على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها)[١].

وقال القرطبي: (المراد تثبيت القلوب بالأمن، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة فالثبات يدور حول التمكن والاستقرار والدوام الذي هو ضد الحركة والارتجاج)[٢].

والتوبة من الذنوب من أسباب النصر، وكان عمر رضي الله عنه يوصي قائد جنده إلى القادسية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله عز وجل أفضل العدة على العدو، وأقوى العدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عُدَّتنا كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا إن عدونا شر منَّا ولن يسلط علينا وإن أسأنا، فرُبَّ قوم سلط عليهم شرٌّ منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولا، اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم...)[٣].

---

(١) المصدر نفسه، صحيفة (٢٨).

(٢) الجامع لأحكام القران، (١٦/ ٢٣٢).

(٣) الفاروق عمر بن الخطاب، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة =

لذا فقد أكد القرآن على الاستغفار والتوبة قبل الدخول إلى المعركة جاء مثل ذلك في دعاء نبينا الكريم ﷺ والمؤمنين معه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦].

وجاء طلب النصرة في دعاء نبي الله موسى: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾[طه: ٢٩]. وهذا سؤال من موسى في أمر خارجي عنه، وهو مساعدة هارون له(١).

وفي دعاء نبي الله نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

الفرع الثاني ـ طلب الفتح:

جاء في دعاء نبي الله شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[الأعراف: ٨٩]. (والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق)(٢). وجاءت في سورة الشعراء، في قوله تعالى: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي

= الرابعة، ١٩٨٧م، صحيفة (١١٩، ١٢٠).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٢٨٣).

(٢) مفاتيح الغيب، (٢٤/ ٥٢١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله=

وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء: ١١٨].

والفتح في اللغة: (الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق. يقال: فتحت الباب وغيره فتحا. ثم يحمل على هذا سائر ما في هذا البناء. فالفتح والفتاحة: الحكم. والله تعالى هو الفاتح، أي الحاكم)[١].

والفتح في الاصطلاح: هو فتح المغلق[٢].

الفرع الثالث ـ طلب التوبة والمغفرة والرحمة:

١ ـ طلب التوبة والمغفرة: إن الذنوب من أكثر ما يثقل كاهل العبد، لأن الضعف فطري في الإنسان فيخطئ، لكن رحمة الله تعالى تضع عنه هذا الوزر، لطفا به إذا استغفر لذنبه[٣].

وجاء طلب المغفرة في دعاء نبي الله موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾[الأعراف: ١٥١].

علما بأن استغفاره لنفسه، كان بسبب فعْلته مع أخيه وعجلته في إلقاء الألواح[٤].

= ابن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعةالأولى، ١٩٩٨م، (٢/ ٥٧٣).

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (فتح)، (٤/ ٤٦٩).

(٢) زاد المعاد، لابن القيم، (٣/ ٢٧٥).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، (٥/ ٢٦٨).

(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،=

وذكر لنا القرآن الكريم (توبات أنبيائه مما وقعوا فيه من زلات سارعوا بالندم عليها، والتوبة والاستغفار منها، عسى الله أن يغفر لهم ويتقبل توبتهم)[(١)].

فمن ذلك ما جاء في دعاء النبي الكريم محمد ﷺ مع المؤمنين وطلبهم التوبة والمغفرة قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٧].

وقوله تعالى في طلب الانبياء المغفرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ

= ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، (٤/ ٣٩٥).

(١) التوبة إلى الله، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، صحيفة (٢٦).

أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

وجاء في دعاء أبينا آدم عليه السلام وزوجه حين أسرعا في التوبة بمجرد أن بدت لهما سوءاتهما فقال تعالى:

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٢ ـ ٢٣]، إن آدم عليه السلام نسي وأخطأ... لكنه أدرك خطأه، وعرف زلته، فندم، وطلب من ربه العون والمغفرة، معترفا بخطئه وظلمه لنفسه(١).

كما ذكر لنا القرآن الكريم توبة نبي الله ابراهيم عليه السلام فقال: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤١].

وذكر لنا القرآن توجه نوح عليه السلام لربه بطلب المغفرة فقال: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[الممتحنة: ٥]، وكذلك قال: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا﴾[نوح: ٢٨].

وقال تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[ص: ٣٥].

---

(١) ينظر: تفسير في ظلال القرآن، (٣/ ١٢٧٠).

قال أبو السعود: (وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جريا على سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)(١)

وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فالأنبياء يسارعون إلى الاستغفار وكان ديدنهم، وما ذاك إلا من أجل (نيل أعلى الدرجات وأن يصير الدعاء سنة لمن بعدهم)(٢).

وهكذا فإن (الأنبياء لا يُقرّون على الذنب، ولا يؤخرون في التوبة، فالله عصمهم من ذلك، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها)(٣).

٢ ـ طلب الرحمة.

ومن الامور التي دعا بها الانبياء وطلبوها من ربهم هي الرحمة، كما جاء في دعاء نبينا ﷺ، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٧/ ٢٢٧).

(٢) الجامع لأحكام القران، (١٥/ ٣٢٤).

(٣) الرسل والرسالات: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، صحيفة (١١١).

وكذا في دعاء نبي الله موسى عليه السلام في طلب رحمة الله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٥].

وحين لم يتمكن أخوه هارون في أن ينهى قومه عن عبادة العجل دعا الله تعالى بالمغفرة والرحمة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأعراف: ١٥١].

ونرى نبي الله سليمان عليه السلام يطلب لنفسه الرحمة من ربه الرحيم: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

فتضرع إلى ربه وهو النبي الذي أنعم الله عليه وسخر له الجن والإنس والطير. غير آمن مكر الله حتى بعد أن اصطفاه. خائفاً أن يقصر به عمله، وأن يقصر به شكره، وكذلك تكون الحساسية المرهفة بتقوى الله وخشيته والتشوق إلى رضاه ورحمته في اللحظة التي تتجلى فيها نعمته كما تجلت والنملة تقول وسليمان يدرك عنها ما تقول بتعليم الله له وفضله عليه[١].

فالدخول في عباد الله الصالحين، رحمة من الله، وهي وسيلة النجاة، التي ندخل بها الجنة، وبدونها لن ينجو أحد، قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحد

---

(١) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٥/ ٢٦٣٧). وتفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧، (١٥/ ٩٦٠٥ـ ٩٦٠٦).

منكم الجنة بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله ﷺ؟ قال: ولا أنا إلا أنْ يتغمّدني الله برحمته»[١].

الفرع الرابع ـ طلب النجاة من النار:

طلب النجاة من النار من الامور التي دعا بها الانبياء لأنفسهم قال تعالى على لسان نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[الشعراء: ٨٧]، أي لا تعذبني يوم القيامة[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: (فسأل الله الجنة واستعاذ به من النار وهو الخزي يوم البعث)[٣].

الفرع الخامس ـ طلب الملك:

جاء دعاء نبي الله سليمان عليه السلام طالباً المُلك من مالِك الملك، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾

وتقوى هذه الدلالة على تقدير أن يكون طلبه للملك علامة على قبول استغفاره أولاً وإجابة دعائه[٤].

وكذلك جاء في دعاء يوسف عليه السلام مناجياً ربه قائلاً: ﴿رَبِّ قَدْ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم ٤/ ٢١٧٠ (٢٨١٦).

(٢) الجامع لأحكام القران، (١٣/ ١١٣)..

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، (٢/ ٧٦)

(٤) ينظر: روح المعاني، (١٢/ ١٩٢).

ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]، فالله سبحانه هو الذي أعطاه تلك السيادة، وهذا النفوذ والسلطان.

الفرع السادس ـ طلب الرزق:

جاء في دعاء عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤].

يقول الرازي: إن الحواريين لما سألوا المائدة، ذكروا في طلبها أغراضا، فقدموا ذكر الأكل فقالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾[المائدة: ١١٣]، وأخرّوا الأغراض الدينية الروحانية، فأما عيسى فإنه لما طلب المائدة وذكر أغراضه فيها، قدّم الأغراض الدينية، وأخر غرض الأكل، حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ ولمّا ذكر الرزق... لم يقف عليه، بل انتقل إلى الرزاق فقال ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(١).

الفرع السابع ـ طلب الذرية الصالحة:

جاء في دعاء نبي الله زكريا عليه السلام، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ ـ ٦]. (فيدل دعاء زكريا عليه السلام أن الله تعالى قد عوّده قبل

(١) مفاتيح الغيب، (١٢/ ٤٦٣)

هذا الطلب، أن يقضي حاجاته فطلب منه الذرية، مجاراة على عادته التي عوده، من قضاء حوائجه وإجابته مسألته)[١].

وكذلك اتجه ابراهيم عليه السلام إلى ربه، يسأله ذرية مؤمنة وخلفا صالحاً؛ يؤنسه في غربته قائلا: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الصافات: ١٠٠].

الفرع الثامن ـ طلب الحُكْم واللحوق بالصالحين:

وجاءت في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣].

قال ابن عباس: (حُكْماً) أي: (معرفة بك وبحدودك وأحكامك)[٢].

والحكمة أو الحكم بين الناس بالحق أو النبوة لأن النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله[٣]. وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

قال ابن القيم رحمه الله: (جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب وإظهار الافتقار إليه والبراءة من موالاة غيره سبحانه وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد والاعتراف بالمعاد وطلب مرافقة السعداء)[٤].

---

(١) تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ صحيفة (٢٤٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١٣/ ١١١).

(٣) تفسير الكشاف، (٣/ ٣٢٥)

(٤) بدائع الفوائد، (١/ ٢٠١).

الفرع التاسع ـ طلب الهداية والإسلام وشرح الصدر:

١ ـ طلب الهداية والإسلام:

جاء في دعاء نبي الله ابراهيم الخليل وولده اسماعيل، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٢٨].

فإبراهيم واسماعيل عليهما السلام (طلبا العون من ربهما في الهداية إلى الإسلام، فقد شعرا أن قلبيهما بين أصبعين من أصابع الرحمن، وأن الهدى هداه، وأنه لا حول لهما ولا قوة إلا بالله، فهما يتجهان ويرغبان والله المستعان)[١].

فإبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام دعوا لنفسيهما، وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته خضوع القلب وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح، إنه لم يدع نَبيٌّ إلا لنفسه ولأمته إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته لهذه الأمة في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾[البقرة: ١٢٨]، وهذه الأمة هي أمة محمد ﷺ، ولهذا قال عقب ذلك: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[البقرة: ١٢٩]، وهو النبي محمد ﷺ بالإجماع، فاستجاب الله دعاءه بالأمرين: ببعث النبي محمد ﷺ فيهم[٢] وتسميتهم مسلمين[٣].

---

(١) ينظر: تفسير في ظلال القران، (١/ ١١٤).

(٢) في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت»، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٤/ ١٢٧، ١٢٨)، والبزار والطبراني، قال الهيثمي، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح: مجمع الزوائد، (٨/ ٢٢٣).

(٣) ينظر: تفسيرالطبري، (٣/ ٧٤ ـ ٧٥)، وتفسيرالقرآن العظيم لابن كثير، (١/ ٤٢٥)، والحاوي للسيوطي، وتفسير أبي السعود، (٦/ ١٢٢) (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

وجاء دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام ـ بالهداية والتوحيد ـ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥].

فإبراهيم عليه السلام خاف على نفسه من عبادة الأصنام، مع أنه هو الذي كسّرها وحطّمها بيده، ولقي في ذلك العذاب والإهانة في سبيل الله تعالى، ومع هذا يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، فلم يأمن على نفسه، وخاف الفتنة، وطلب من الله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، فالإنسان يخاف دائماً من سوء الخاتمة، فكم من كافر أسلم، وكم من مؤمن كفر وارتد، وكم من مهتد ضل، وكم من مستقيم انحرف، وكم من ضال هداه الله،، فالأمر بيد الله سبحانه وتعالى.

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[الأنعام: ٧٧].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وكذا جاء طلب الهداية والدعاء به عن نبينا الأكرم محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

فهداية الصراط المستقيم غايةٌ يسعى إليها الحامدون، ومن حصَّلها طلب منها المزيد، قال البغوي: (هذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية؛ لأنَّ الألطافَ والهدايات مِن الله تعالى لا تتناهى)[1].

(١) تفسير البغوي، (١/ ٥٤).

٢ ـ طلب شرح الصدر:

وجاء طلب شرح الصدر في سؤال موسى عليه السلام ربه، قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾[طه: ٢٥].

أي: وسّعه للحق. قال ابن عباس رضي الله عنه: (يريد حتى لا أخاف غيرك. والسبب في هذا السؤال ما حكى الله تعالى عنه في موضع آخر فقال: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾[الشعراء: ١٣]، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً، لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدراً (بما كُلِّفَ) من مقاومة فرعون فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرته إلا بإذن الله تعالى، وإذا علم ذلك لم يَخَفْ فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده)[١].

وقد من الله على نبيه محمد ﷺ بأن شرح له صدره فقال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾[الشرح: ١].

الفرع العاشر ـ طلب الجنة ورفع الدرجات:

ذكر تعالى عن أنبيائه أنّهم يسألونه الجنَّة، ويستعيذون به من النَّار، وإمام الموحدين إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾[الشعراء: ٨٥]. وهو (دعاء بالجنة وبمن يرثها)[٢]. أي من السعداء في الآخرة الذين يستحقون

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، (١٣/ ٢٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القران، (١٣/ ١١٣).

ميراث جنات الخلد.

الفرع الحادي عشر ـ طلب زيادة العلم:

جاء في أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعاء فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وفيه (أدل دليل على نفاسة العلم وعلو مرتبته وفرط محبة الله تعالى إياه حيث أمر نبيه بالازدياد منه خاصة دون غيره وقال قتادة لو اكتفى أحد من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام ولم يقل: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: ٦٦])(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم انفعني بما علَّمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً، والحمد لله على كل حال»(٢)(٣).

الفرع الثاني عشر ـ طلب قبول العمل:

وجاء في دعاء نبي الله ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. ودعاه أيضاً فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢/ ٤٠٧)، وينظر: تفسير الكشاف، (٣/ ٩١ ـ ٩٠)، وينظر: تفسير النسفي، (٢/ ٣٨٥)، والجامع لأحكام القران، (٤/ ٤١)، وروح المعاني، (٨/ ٥٧٧)، وتفسير في ظلال القران، (٥/ ٢٢٧٩).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٥١) وسنن الترمذي برقم (٣٥٩٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٣١٩).

﴿وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[إبراهيم: ٤٠].

(إنه طلب القبول ... هذه هي الغاية ... فهو عمل خالص لله ... الاتجاه به في قنوت وخشوع إلى الله. والغاية المرتجاة من ورائه هي الرضى والقبول ... والرجاء في قبوله متعلق بأن الله سميع للدعاء. وعليم بما وراءه من النية والشعور)[1].

الفرع الثالث عشر ـ طلب صرف الفتنة وكشف الضر:

جاء في دعاء نبي الله يوسف الصديق عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[يوسف: ٣٤] أجاب دعاءه الذي تضمنه كلامه، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾[يوسف: ٣٤] حيث ثبته على العصمة حتى وطّن نفسه على مشقة السجن، وآثرها على اللذة الفانية؛ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤] لدعاء الملتجئين إليه، (العليم) بإخلاصهم أو بما يصلح بهم)[2].

(تعرض للدعاء، وكأنه قال: اللهم اصرف عني كيدهن؛ فاستجاب له دعاءه، ولطف به وعصمه عن الوقوع في الزنى)[3].

وجاء طلب كشف الضر في دعاء نبي الله أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار عالم الكتب، الطبعة السابعة، ١٩٩٩م، صحيفة (٣٥٧)، وتفسير في ظلال القران، (١/ ١١٥).

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، (٣/ ٣٨٠).

(٣) الجامع لأحكام القران، (٩/ ١٨٥).

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]. فأيوب عليه السلام ضُرب به المثل، في صبره على البلاء فناجى ربه، فقال عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾[الأنبياء: ٨٣]، والمسّ هو: (جس الشيء باليد)[١].

ثم قال الضُر ـ بالضم ـ، وهو خاص بما في النفس من مرض وهزال، ولم يقل الضَّر ـ بالفتح ـ لأنه يأتي شائعاً في كل ضرر، فوصف نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربه بغاية الرحمة[٢].

الفرع الرابع عشر ـ طلب شكر النعمة:

وجاء في دعاء نبي الله سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩]. وامتدح الله نبيه نوحاً لما شكر نعم ربه، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الإسراء: ٣].

قال ابن القيم رحمه الله: (الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة وعلى جوارحه انقياداً وطاعة)[٣].

(والشكر إعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقاراً إليها، فالاعتراف بالنعمة والاجتهاد في شكرها هو المطلوب، والله تعالى هو الذي يحب إذا أنعم على عبد أن يرى أثر نعمته عليه)[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (مس)، (٥/ ٢٧١).

(٢) ينظر: روح المعاني، (٩/ ٧٦)، وتفسير الكشاف، (٣/ ١٣١).

(٣) مدارج السالكين، (٢/ ٤٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق:=

والشكر شعبة من شعب الإيمان، وصفة من صفات الله، وخلق من أخلاق الأنبياء والمؤمنين، ومن خير ما تحلى به أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من الصفات الفاضلة هو شكرهم للنعمة وطلبهم التوفيق لذلك، قال الله تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

الفرع الخامس عشر ـ طلب اقامة الصلاة وتقبل الدعاء:

قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

فإبراهيم عليه السلام علم عظم شأن الصلاة فرفع كفه داعياً ضارعاً إلى ربه طالباً أن يجعله مقيم الصلاة، وأن يقبل دعاءه(١).

الفرع السادس عشر ـ طلب شرح الصدر وتيسير الأمر واطلاق اللسان:

جاء في دعاء نبي الله موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾[طه: ٢٥ ـ ٢٨]. فطلب موسى الكليم من ربه أن يشرح له صدره ... وانشراح الصدر يُحوِّل مشقة التكليف إلى متعة، وينقله من العناء إلى اللذة، ويجعل منه دافعاً للحياة لا عبثاً يثقل خطى الحياة. ثم طلب إلى ربه أن ييسر له أمره... وتيسير الله للعباد هو الضمان الأكيد

= عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، (١/ ٦٧٦).

(١) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٤/ ٢١١٠)

بالنجاح. فلا يملك الإنسان لنفسه شيئاً بدون هذا التيسير؛ لأن قوى الإنسان محدودة، وعلمه قاصر، والطريق طويل وشائك ومجهول، وطلب إلى ربه تعالى كذلك أن يحل عقدة لسانه ليفقه قوله... وقد روي أنه كانت بلسانه حبسة، والأرجح أن هذا هو الذي عناه. ويؤيده ما ورد في سورة أخرى من قوله: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾[القصص: ٣٤]. وقد دعا ربه في أول الأمر دعاءً شاملاً بشرح الصدر وتيسير الأمر، ثم أخذ يحدد ويفصل بعض ما يعينه على أمره وييسر له تمامه. وطلب أن يعينه الله بمعين من أهله؛ هارون أخيه. فهو يعلم عنه فصاحة اللسان، وثبات الجنان، وهدوء الأعصاب...»[١].

* * *

*** المطلب الثالث ـ دعاء الانبياء عليهم السلام لغيرهم:**

الفرع الأول ـ طلب إقامة الصلاة وتقبل الدعاء:

جاء في دعاء ابراهيم عليه السلام حين أسكن اهله وذريته في الوادي الجدب ليقيموا فيه، ان يعين ذريته على إقامة الصلاة، وهي التي يتحملون من أجلها هذه المشقة. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧]. أي: (اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة؛ لأن إقامة الصلاة من أخص وأفضل العبادات الدينية فمن أقامها كان مقيما لدينه)[٢].

(١) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٤/ ٢٣٣٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (١/ ٤٢٧).

(فهذا هو الذي من أجله أسكنهم هناك، وهذا هو الذي من أجله يحتملون الجدب والحرمان)[١]. قال ابن جرير: (هو متعلق بقوله: (المحرم) أي: إنما جعلته محرما ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده)[٢].

وقال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

أي: (محافظا عليها مقيما لحدودها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾[إبراهيم: ٤٠] أي: واجعلهم كذلك مقيمين الصلاة ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[إبراهيم: ٤٠] أي: فيما سألتك فيه كله)[٣].

(طلب الاستقامة له ولولده بقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] أي: مُتقناً لها، مواظباً عليها، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾[إبراهيم: ٤٠] فاجعل من يُقيمها. والتبعيض؛ لعلمه بالوحي أنَّ مِنْ ولده من لا يقيمها، أو باستقرار عادته في الأمم الماضية أن منهم من يكون كفاراً. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[إبراهيم: ٤٠]، أي: استجب)[٤].

الفرع الثاني ـ طلب محبة الناس:

كما سبق في دعاء ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن

---

(١) تفسير في ظلال القران، (٤/ ٢١٠٤).

(٢) جامع البيان، (٥/ ٢٢٠)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٥١٣).

(٣) تفسيرالقرآن العظيم، (٤/ ٥١٤)، وينظر: تفسير البغوي، (٤/ ٣٥٨)، وتفسير روح المعاني، (٧/ ٢٢٩). وتيسير الكريم الرحمن، (١/ ٤٢٧).

(٤) البحر المديد، (٣/ ٥٢٩)، وينظر: مفاتيح الغيب، (١٩/ ١٠٧ ـ ١٠٦).

ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[إبراهيم: ٣٧].

فقوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[إبراهيم: ٣٧] أي: (تحبهم وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه. فأجاب الله دعاءه فأخرج من ذرية إسماعيل محمداً ﷺ حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي وإلى ملة أبيهم إبراهيم فاستجابوا له وصاروا مقيمي الصلاة. وافترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم وجعل فيه سرا عجيبا جاذبا للقلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرا على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه وعظم ولعه وتوقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة)[1].

الفرع الثالث ـ طلب الاسلام والهداية:

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٢٨]. سأل ربه تعالى لذريته الهدى بالإسلام.

الفرع الرابع ـ طلب الرزق والأمن:

جاء على لسان عيسى عليه السلام حين اجاب طلب الحواريين في إنزال المائدة عليهم فدعا ربه قائلاً: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤] (فالرزق هو كل شيء تحتاج إليه وتنتفع به)[2].

وكذا طلب ابراهيم الخليل عليه السلام الرزق لذريته التي اسكنها في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٤٢٧).

(٢) تفسير الشعراوي، (٦/ ٣٤٦٤).

الوادي القفر: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧].

وجاء طلب الامن في دعاء ابراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[البقرة: ١٢٦]، فكان البلد كما طلب تماما بل وزيادة حيث قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾[آل عمران: ٩٧] فكان دعاؤه عليه السلام الأول عاماً، والثاني أكثر خصوصية [١].

الفرع الخامس ـ طلب النجاة لمن معه من المؤمنين:

جاء في دعاء نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الشعراء: ١١٨]. فدعا الله أن يفصل في القضية التي بينه وبين قومه بالحق وهو يعلم أن الله تعالى معه. (لذلك طلب منه النجاة لنفسه ولمن معه من المؤمنين)[٢].

وفي دعاء نبي الله لوط عليه السلام يدعو لأهله بالنجاة من عمل قومه للفاحشة والمعصية: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ﴾[الشعراء: ١٦٩]. (دعا الله لما أيس من إيمانهم ألا يصيبه من عذابهم)[٣]. فأجابه الله تعالى لذلك: ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾[الشعراء: ١٧٠].

الفرع السادس ـ تجنب عبادة الاصنام:

جاء في دعاء ابراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، (٣/ ١٦٣٦).

(٢) تفسير الشعراوي، (٨/ ٤٦٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القران، (١٣/ ١٣٢).

ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، أي أبعدني وإياهم عن عبادتها[١].

الفرع السابع ـ طلب التوبة والمغفرة والرحمة لغيره:

جاء في دعاء نبي الله الخليل إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[إبراهيم: ٣٦]، (وهذا من شفقة الخليل عليه السلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله والله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده لا يعذب إلا من تمرد عليه)[٢].

وقوله عليه السلام في موضع آخر: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[الشعراء: ٨٦].

وكذلك طلب موسى عليه السلام (المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك)[٣]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأعراف: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ

(١) ينظر: تفسير روح المعاني، (٧/ ٢٢٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٤٢٦).

(٣) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، (٢/ ٢٤٩)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٩/ ١١٨).

﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٥].

وقال تعالى على لسان نبي الله نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾[نوح:٢٨].

يقول ابن عاشور: (جعل الدعاء لنفسه ووالديه خاتمة مناجاته، فابتدأ نفسه ثم بأقرب الناس به وهما والداه، ثم عمم أهله وذويه المؤمنين، فدخل أولاده وبنوهم والمؤمنات من أزواجهم، وعبر عنهم بمن دخل بيته، كناية عن سكناهم معه، .. .ثم عمّم المؤمنين والمؤمنات)(١).

الفرع الثامن ـ الدعاء للذرية بالصلاح:

جاء في دعاء زكريا عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ـ٦]. (فالرضي الذي يرضى ويرضي، وينشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله)(٢).

الفرع التاسع ـ الدعاء بالاستسقاء:

جاء في دعاء موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[البقرة: ٦٠] (لقد طلب موسى لقومه السقيا. طلبها من ربه فاستجاب له)(٣).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٩/ ٢١٥).

(٢) تفسير في ظلال القران، (٥/ ٢٣٠٢).

(٣) تفسير في ظلال القران، (١/ ٧٤).

فموسى عليه السلام (سأل ربه وحده، لتظهركرامته عند ربه لدى قومه، وليشاهدوا بأعينهم إكرام الله ـ تعالى ـ له، حيث أجاب سؤاله، وفجر الماء لهم ببركة دعائه)(١).

ودعاء نبي الله موسى عليه السلام (جامع لنعم الدنيا والدين. أما في الدنيا فلأنه أزال عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء، ولولا هو لهلكوا في التيه، وهذا أبلغ من الماء المعتاد في الأنعام لأنهم في مفازة منقطعة. وأما في الدين فلأنه من أظهر الدلائل على وجود الصانع وقدرته وعلمه، وعلى صدق موسى عليه السلام، والاستسقاء طلب الماء عند عدمه وقلته)(٢).

* * *

*** المطلب الرابع ـ دعاء الأنبياء عليهم السلام على غيرهم وجاء في فرعين:**

الفرع الأول ـ الدعاء بالضلال:

ومن ذلك دعاء نوح عليه السلام حين قال: ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾[نوح: ٢٤]، والضلال ههنا معناه العذاب(٣)، ودعا عليهم بهذا الدعاء بعدما أعلم الله نوحاً أنهم لا يؤمنون، فقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[هود: ٣٦].

فنبي الله نوح عليه السلام (دعا عليهم هذا الدعاء عقوبة لهم وهو مثل دعاء

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعةالأولى، ١٩٩٧، (١/ ١٤٤).

(٢) تفسير البحر المحيط، (١/ ١٩١).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٨/ ٣١٠).

موسى على قوم فرعون ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[يونس: ٨٨].

الفرع الثاني ـ الدعاء بالعذاب والهلاك:

جاء في دعاء نبي الله موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[يونس: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[يونس: ٨٨]، أي: عاقبهم على كفرهم بإهلاك أموالهم. قال الزجاج: (طمس الشيء إذهابه عن صورته)(١).

وجاء في دعاء نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾[نوح: ٢٨]. قال السدي: إلا هلاكا. (أي: لا تزد المتصفين بالظلم إلاّ هلاكاً، وخسراناً ودماراً وقد شمل دعاؤه هذا كل ظالم إلى يوم القيامة، كما شمل دعاؤه للمؤمنين والمؤمنات كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة)(٢).

فالله تعالى (ألهم قلب نوح أن الأرض تحتاج إلى غسل يطهر وجهها من الشر العارم الخالص الذي انتهى إليه القوم في زمانه. وأحياناً لا يصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين ... وهي الحقيقة التي عبر عنها نوح، وهو يطلب الإجهاز على أولئك الظالمين إجهازاً كاملاً لا يبقي منهم دياراً أي صاحب ديار فقال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾[نوح: ٢٧]. ولفظة (عبادك) توحي بأنهم المؤمنون)(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٨/ ٣٧٤).

(٢) فتح القدير للشوكاني، (٧/ ٣١٨).

(٣) تفسير في ظلال القران، (٦/ ٣٧١٧).

وجاء دعاء نبي الله نوح عليه السلام بالهلاك على قومه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]. (لمّا قال ـ الله تعالى ـ لنوح عليه السلام: (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) حين استنفد ما في أصلاب الرجال وما في أرحام النساء من المؤمنين، دعا عليهم نوح بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]، فأجاب الله دعوته، وأغرق أمته)(١).

* * *

*** المطلب الخامس ـ طلب الأقوام من أنبيائهم الدعاء لهم:**

الفرع الأول ـ طلب الرزق:

قال الله تعالى على لسان بني إسرائيل وهم يحاورون نبي الله موسى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[البقرة: ٦١]. (هو على معنى الدعاء)(٢).

قال الشعراوي: (أي أطلب من الله... ولأن الدعاء لون من الطلب فإنك حين تتوجه إلى الله طالبا أن يعطيك... فإنك تدعو بذلة الداعي أمام عزة المدعو... والطلب إن كان من أدنى إلى أعلى قيل دعاء... ومن مساوٍ إلى مساوٍ قيل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٤٣) و(١٨/ ٣٢١)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٢٣٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٤٢٣).

طلب... ومن أعلى إلى أدنى قيل أمر... لقد طلب بنو إسرائيل من موسى أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يخرج لهم أطعمة مما تنبت الأرض... وعددوا ألوان الأطعمة المطلوبة... وقالوا: ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾ [البقرة: ٦١])[1].

الفرع الثاني ـ طلب المعرفة:

جاء في طلب بني اسرائيل من نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾[البقرة: ٦٨].

وقالوا له: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[البقرة: ٦٩].

ثم قالوا: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾[البقرة: ٧٠].

الفرع الثالث ـ كشف الرجز والعذاب:

وقال بنو اسرائيل عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[الأعراف: ١٣٤]. أي: (أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوّة)[2].

* * *

(١) تفسير الشعراوي، (١/ ٣٤٦)

(٢) تفسير الكشاف، (٢/ ١٤٨).

* المطلب السادس ـ دعاء الأنبياء عليهم السلام مع غيرهم:

الفرع الأول ـ الدعاء بالمغفرة والرحمة والصبر والنصر:

جاء في دعاء نبي الله داود عليه السلام ومن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٥٠].

وجاء في دعاء النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦].

وكذا في دعائه ﷺ، قال تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٧].

وجاء أيضاً عنه ﷺ ومن معه من المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

الفرع الثاني ـ الدعاء بالفتح:

جاء في دعاء نبي الله شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين، قال تعالى:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨ـ٨٩].

الفرع الثالث ـ الدعاء بطمس الاموال:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

❑❑❑

الفَصْلُ الثَّانِي

أثر أدعية الأنبياءِ في إثبات الألوهية

وفيه ثلاثة مباحث:

* المبحث الأول: إثبات وجود الله تعالى وتوحيده.

* المبحث الثاني: أثر أدعية الأنبياء في إثبات توحيد الأسماء والصفات.

* المبحث الثالث: أثر أدعية الأنبياء في إثبات الولاء والبراء.

الفَصْلُ الثَّاني

أثر أدعية الأنبياء في إثبات الألوهية

المبحث الأَوَّل

إثبات وجود الله تعالى وتوحيده وتحته مطلبان

* المطلب الأول ـ وجود الله تعالى:

معرفة الله تعالى أمرٌ بديهي في الإنسان، ووجوده تعالى قضية ضرورية لا مساغ للعقل في إنكارها، وهي لا تحتاج إلى إقامة دليل أو برهان، ولم يناقش القرآن الكريم هذه القضية حتى مع فرعون الذي أنكر تكبراً وعناداً وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء: ٢٣]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[القصص: ٣٨].

ولكن جاءت الآيات القرآنية الكريمة لتثبت وجود الله تعالى ووحدانيته وتفرّده بالإلوهية والربوبية. ومن تلك الآيات ما فيه إجابة للمضطرين وإغاثة للمستغيثين وإنقاذ المكروبين وإجارة المستجيرين.

ومن أدلة القرآن الكريم على وجوده تعالى ما جاء على ألسنة الأنبياء الكرام عليهم السلام في دعائهم.

فدعاء الأنبياء خير دليل على إثبات وجوده تعالى، ولا يكاد يخلو دعاء من أدعية الأنبياء من أثر يثبت وجود الله تعالى.

(وقد سلك الأنبياء عليهم السلام في إثبات وجود الله تعالى في دعائهم مسلك الإقناع بالحجة والبرهان وضرب الأمثال، فجمعوا بين مناجاة العقل

والتأثير على العاطفة، وما جُبلت عليه النفوس، وفُطر عليه الخلقُ من الإقرار بالحق جلّ وعلا، لقلة من أنكر وجوده تعالى، فلا يمكن أنْ يعدل عن هذه الفكرة إلاّ من إجتالته الشياطين عن فطرته)[١].

ومن خلال أدعية الأنبياء نجد أنَّهم استدلوا في إثبات وجوده تعالى بعدة أدلة:

أولها ـ دليل الفطرة:

ومعناه أنَّ كل مخلوق فُطر على الإيمان بخالقه من غير تفكير أو تعليم[٢]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقول النبي محمد ﷺ: «ما من مولودٍ إلاّ ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٣]. ولم يقل أو يسلمانه، لأنها الفطرة[٤].

قال ابن تيمية رحمه الله: (ولما كان الإقرار بالصانع فطريا كما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[٥] الحديث، فإنّ الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة

---

(١) مجموع الفتاوى، (٥/ ١٥).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٣٣)، العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة العاشرة، ١٩٩٥م، صحيفة (٦٩).

(٣) أخرجه البخاري، (١٣٥٩)، ومسلم ٤/ ٢٠٤٧(٢٦٥٨).

(٤) ينظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، صحيفة (٢٣٠).

(٥) سبق تخريجه، في الهامش الأول من الصحيفة نفسها.

إليه وهو معنى لا إله إلا الله؛ فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد)[١].

(وهذا الشعور هو الذي يشعر به كل انسان بأن كل أثر لابد له من مؤثر وكل موجود لابد له من موجد ولهذا لماسئل الاعرابي فقيل له كيف عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج ألاتدل على اللطيف الخبير؟)[٢].

فكل إنسان يحسّ من تلقاء نفسه أنَّ له رباً خالقاً، ويشعر بالحاجة إليه إذا وقع في مأزق عظيم، فيتجه قلبه ويداه وعيناه إلى الله تعالى يطلب الغوث من ربه تعالى.

فالفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها هي الحنفية السمحة (التوحيد)، ودليله من حديث عياض بن حمار المجاشعي عن النبي ﷺ: فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم أي غير مشركين وأنهم أتتهم الشياطين فأجالتهم عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحلَلْتُ لهم وأمَرَتهُم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»[٣].

فلم يُطل القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الله تعالى؛ لأنّ القرآن قرّر ابتداءً أنّ الفطرة الإنسانية السليمة والنفس السوية التي تُقرّ بوجود خالقها وتعترف به من غير دليل، فتوحيد الله سبحانه أمر فطري بدهي، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢/ ٦).

(٢) من مقال للاستاذ محمد سلام مدكور بعنوان (الايمان بالله أدلته وأثره)، من خطب الجمعة والعيدين، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، صحيفة (١٢ ـ ١٣).

(٣) أخرجه مسلم ٤/ ٢١٩٧(٢٨٦٥).

ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم: ٣٠].

(وهذه الفطرة هي التي تفسر الظاهرة التي لاحظها الباحثون في تاريخ الأديان، وهي أنّ الأمم جميعاً اتخذت معبودات تتجه إليها وتقدّسها. وقد يقال هنا: لوكان التوجه إلى الله أمراً فطرياً لما عبد النّاس في مختلف العصور آلهة شتى؟ والجواب: أنّ الفطرة تدعو المرء إلى الاتجاه إلى الخالق، لكنّ الإنسان تحيط به مؤثرات كثيرة تجعله ينحرف حينما يتجه إلى المعبود الحق)[1].

فها نحن نرى الفطرة السليمة عند نبينا إبراهيم عليه السلام، الذي يجادل قومه ليوصلهم الى وجود رب دائم لايزول بعد أن أيقنت نفسه بالإله الحق وهو مؤمن يقيناً[2].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام: ٧٦ ـ ٧٨]، أي: (قصدت بعبادتي وتوحيدي لله عزّ وجلّ وحده. وذكر الوجه لأنّه أظهر ما يعرف به الانسان صاحبه)[3]، وقال قتادة: (علم ان ربه دائمٌ لا يزول)[4].

وهنا يتم الاتصال بين الفطرة الصادقة والله الحق، حيث يجد إبراهيم عليه السلام إلههُ، يجده في وعيه وإدراكه كما هو في فطرته، حيث يقع التطابق بين

---

(١) ينظر: العقيدة في الله، عمر الأشقر، صحيفة (٦٩).

(٢) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٢/ ١١٣٨)

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٢٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٢٩١).

الإحساس الفطري المكنون والتصور العقلي الواضح [1].

ودليل الفطرة هذا هو ما يطلق عليه المتكلمون (دليل الحدوث)، والذي يقوم على مقدمتين رئيستين[2]:

المقدمة الأولى: كل ما سوى الله عالم، وكل عالم متغير من وجود إلى عدم ومن عدم إلى وجود، ومن سكون إلى حركة ومن حركة إلى سكون، فكل متغير حادث.

المقدمة الثانية: كل حادث لابد له من محدث، والقول بخلافه يلزم ترجح وجوده على عدمه بلا مرجح، وهو مستحيل بالبداهة. والنتيجة منهما: أن الله تعالى موجود.

وفيما سبق من مناظرة ابراهيم عليه السلام ثم دعائه ما يتناسق وهذا القول: فإبراهيم عليه السلام أثبت أولاً أن الكواكب والأقمار والشمس في عظمتها وجمالها متغيرة (آفلة)، من حال إلى حال، فهي حادثة، وهذا التغير لم يكن صدفة، ولابد له من فعّال ومحدث وهو الله تعالى. لذا فقد لفت أنظارهم الى دليل الفطرة، فجاء دعاؤه بخشوع واعتراف: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩].

---

(١) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٢/ ١١٤١)

(٢) ينظر: أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، صحيفة (٢٠)، والمواقف، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل ـ لبنان ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، (١/ ٣٧٤)، والمسايرة، صحيفة (١٧)، وأصول الدين الإسلامي، صحيفة (٧٦).

يقول أبو الحسن الأشعري: (إن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن للخلق صانعا صنعه ومدبرا دبره؟ قيل: الدليل على ذلك أن الانسان الذي هو في غاية الكمال والتمام، كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحماً وعظاماً ودماً، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال، لأنا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعاً ولا بصراً، ولا أن يخلق لنفسه جارحة، يدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز؛ لأن ما قدر عليه في حال النقصان فهو في حال الكمال عليه أقدر، ومما عجز عنه في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعجز، ورأيناه طفلا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب الى حال الكبر والهرم لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك فدل ماوصفنا على أنه ليس هو الذى ينقل نفسه في هذه الأحوال وأن له ناقلا نقله من حال الى حال ودبره على ما هو عليه، لأنه لا يجوز انتقاله من حال إلى حال بغير ناقل ولا مدبر)[1]. ويؤيد هذا التحول قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةً ۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾[الروم: ٥٤].

(إنَّ الشعور الفطري في الإنسان بوجود قوة كبرى مهيمنة على هذا الكون، خالقة عليمة حكيمة، من الدلائل الصادقة على وجود الخالق، فهذه القوة الكبرى هي التي تنظمه وتدبره وتتصرف به وفق علم وحكمة الهية)[2].

---

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: د. حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م، صحيفة (٦).

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، د. عبد الرحمن الميداني حبنكة، دار القلم، دمشق -=

وهذا ما أحسّه نبي الله موسى عليه السلام حين أدركه قوم فرعون، وأصبح البحر أمامه، فقال لقومه وبيقين: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، وكان نبي الله إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة لنبي الله موسى عليه السلام في هذا القول: حين ألقاه قومه في النار وأرادوا الكيد به فقال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[الشعراء: ٦٢].

فـ (عقيدة وجود الله تعالى موجودة في نفس الإنسان كلما شعر بالفرق بين الشك واليقين أو بين الجهل والعلم)[١].

وفي هذا تأكيد وردٌّ على من خالف هذه الفطرة السليمة، فراح ينكر وجود الله تعالى ويتنكل لداعي الفطرة في نفسه بعد أنْ أوهمه ابليس لعنه الله أنَّه لا إله.

فالإنسان أياً كان مسلماً أم كافراً مفطور على اللجوء إلى الله تعالى عند الشدائد، فإذا وقع في مأزق أو مكروه ذهب كل شيء من ذهنه ولم يبق إلاّ ما فطر عليه، فيعلوا صوته مستجيشاً من قرارة نفسه وعميق قلبه لينادي ربّه تعالى لتفريج همّه.

فهاهم قوم موسى عليه السلام يعترفون في لحظة ضعف سجلها القرآن الكريم، إذ طلبوا من نبي الله موسى عليه السلام الدعاء لهم لكشف الضُرّ عنهم، قال تعالى في تصوير حالهم: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤].

= بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، صحيفة (٩٧).

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة الاديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٩٧٠، صحيفة (٨٢).

وكذلك جاء دعاء ابراهيم عليه السلام ليحاكي الفطرة السليمة فتوجه الى الباري الفاطر المصور الذي لا تنكره الا النفوس والعقول المريضة فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩]، فقد أراد إخراج النفوس التي تلوثت بلوثة الوثنية من عبادة الأرباب والانداد الى عبادة رب الارباب ليعيد لها فطرتها السليمة ويضعها على جادتها القويمة.

ثانيها ـ دليل العقل:

المخلوقات أولها وآخرها لابدّ لها من خالق أوجدها على ما هي عليه من النظام البديع، وذكر تعالى الدليل العقلي والبرهان القطعي على هذا المقال: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾[الطور: ٣٥ ـ ٣٧]. فهذا الخلق بكل ما فيه، شاهدٌ على وجود الله تعالى.

قال أبو العتاهية:

فيا عجبا كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له شاهد ... يدل على أنه واحد(١)

وقد جاءت أدعية الأنبياء واضحة جليّة تثبت أنَّ لهذا الكون خالقاً يجده الأنسان في وعيه وإدراكه كما هو في فطرته وضميره.

قال ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا أمر أهل العقل بتدبره وأهل السمع بسمعه فدعا فيه إلى التدبر والتفكير والتذكر والعقل والفهم وإلى الاستماع والإبصار

(١) الأرجوزة ذات الأمثال، إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية (ت: ٢١١هـ)، صحيفة (٢).

والإصغاء والتأثر بالوجل والبكاء وغير ذلك وهذا باب واسع)[١].

قال تعالى على لسان نبينا إبراهيم عليه السلام:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩].

فإبراهيم لم يجد إلههُ في كوكب يلمع، او قمر يطلع، او شمس تسطع، بل يجده في عقله ووعيه وفي الوجود كله، فهو يجد الله خالقا لكل ما تراه العين، ويحسه الحس وتدركه العقول[٢].

وقوله تعالى على لسان نبيه الكريم ﷺ محمد: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٤٦] أي: (خالقها ومدبّرها)[٣].

وفي قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

فخلْقُ الله تعالى للسماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار والإحياء والإماتة كلها أدلة لا ريب فيها على وجود الله تعالى.

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢/ ٦).

(٢) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٢/ ١١٤١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٧٢٦).

وقوله تعالى على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو يجادل قومه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٧ ـ ٨١].

وفي دعوة نبي الله نوح عليه السلام لقومه خاطب عقولهم وحاججهم بما يحرك غريزة التفكر في خلق الله تعالى، فقال مخاطباً قومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٩].

وكذلك أمَرَ الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

ومن هنا يتبين لنا ان العدم لا يخلق شيئاً والطبيعة لا قدرة لها، ولا توجد الصدفة العمياء حياة، لذا ركزت أدعية الانبياء على إثبات وجود الله تعالى من خلال مخاطبة العقل السليم وإثارة تساؤلات، من خلق الخلق؟ فجاءت الاجابة كبيرة وواضحة إنه الله تعالى الخلاق الكبير!

الدليل الثالث ـ دليل الشرع:

إرسال الله تعالى للرسل وإنزال الكتب، وكون الأنبياء عليهم السلام أعلى مرتبة من غيرهم في الإقرار بوجود الله تعالى، فهم يدعونه في كل وقت وحين لتحصيل مطلوب أو دفع مكروه، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا

رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء: ٩٠].

فدعاء الأنبياء واستجابة الله تعالى لهم خير دليل ذكرته الآيات الكريمات لإثبات وجوده تعالى.

الدليل الرابع ـ دليل الحس:

الحس دليلٌ واضح على وجود الله تعالى، فالله تعالى يُدعى ويُجيب، وآثار الحس على وجود الله تعالى من خلال دعاء الأنبياء فيه وجوه:

الوجه الأول ـ إستجابة الدعاء:

دعا الأنبياء عليهم السلام الله تعالى في كل أحوالهم في عسرهم ويسرهم في نصرهم وهزيمتهم، في رخائهم وشدّتهم، دَعوه تعالى ملهوفين للتقرب إليه فاستجاب الله تعالى لهم، والأمثلة كثيرة على ذلك، منها:

قال تعالى مخبراً عن دعاء نوح عليه السلام: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[الأنبياء: ٧٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾[الصافات: ٧٥]. وقوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ⑩ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[القمر: ١٠ ـ ١٢].

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ⑱ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران: ٣٨ـ٣٩].

فزكريا عليه السلام دعا ربّه تعالى أنْ يهب له من لدنه ذرية طيبة تكتمل بهم نعمة الدين والدنيا، فجاءت الاستجابة للدعوة المنطلقة من القلب الطاهر

الذي علق رجاءهُ بمن يسمع الدعاء، ويملك الإجابة حيث يشاء، الاجابة التي لا تتقيد بسن، أو بمألوف؛ لأنّها انطلقت من المشيئة المطلقة التي تفعل ما تريد[(١)].

وما قَصّهُ الله تعالى عن نبيّه يونس عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

أي: استجاب الله تعالى دعاءه ونجّاه من الكرب، وهي آية تشمل كل مسلم مؤمن يدعو الله تعالى بهذا الدعاء[(٢)].

ودلالة الحس في أدعية الأنبياء كثيرة، وقد يكون أغلبُ دعاء الأنبياء أو كلّه ذا دلالة حسّية على وجود الله تعالى، ففي دعاء سيدنا أيوب عليه السلام ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

فهنا (تطلّف في السؤال، فذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه تعالى بغاية الرحمة ولم يصرّح بالمطلوب، أي أنَّ الله تعالى أهلٌ للرحمة وأيوب عليه السلام أهل لأنْ يُرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسّه. وهذا الطلب لا يكون إلاّ إذا أحس الطالب بقدرة ورحمة ووجود مَنْ يطلب منه)[(٣)].

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنهم: أنَّ إعرابياً دخل المسجد والنبي ﷺ

---

(١) ينظر: تفسير في ظلال القران، (١/ ٣٩٤)، وتيسير الكريم الرحمن، (١/ ١٢٩).

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، (١٥/ ٩٦٢٥).

(٣) تفسير البحر المديد، (٤/ ٥٤٧)، وينظر: تفسير النسفي، (٢/ ٤١٦).

يخطب الجمعة فقال: (يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع لنا، فرفع النبي ﷺ يديه فدعا، فثار السحاب كأمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، وفي الجمعة الثانية قام ذلك الإعرابي أو غيره، فقال: يا رسول الله تهدّم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: (اللهم حوالينا ولا علينا)، فما يشير إلى ناحية إلاّ انفرجت)[١].

فإجابة الدعاء أثر من آثار الخلق، ولا يجيب الدعاء إلاّ الله تعالى، فاستجابة الدعاء دليل حسي على وجوده تعالى[٢]، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل: ٦٢].

الوجه الثاني ـ إرسال الرسل وتأييدهم بالمعجزات:

الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم أكمل خلق الله تعالى من البشر، اصطفاهم الله تعالى واختارهم من بين الخلق، لما جُبِلوا عليه من كريم الخلال، وحميد الخصال، بلّغوا عن الله تعالى رسالاته، فنصرهم وجعل الغلبة لهم، وخذل أعداءَهم، فأيّدهم بالمعجزات والآيات، وأكرمهم بخوارق العادات، التي هي أمور خارجه عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم، وإجابتهُ برهان حسي قاطع على إثبات وجود الخالق العظيم سبحانه وتعالى.

فكل ذلك يدلّ على صدقهم وأنّهم ـ عليهم السلام ـ مبعوثون من عند الله عزّ وجلّ، وأنّه تعالى حق وعبادته حق، ومن المعجزات التي أيد الله تعالى بها أنبياءه ـ عليهم السلام ـ بعد دعائهم وتضرعهم قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ

(١) أخرجه البخاري، (١٠٣٣)، ومسلم ٢/ ٦١٤ (٨٩٧).

(٢) العقيدة الإسلامية الميسرة، محمد عياش، صحيفة (٧١).

لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

فطلب نبي الله موسى عليه السلام ـ وحده ـ السُقيا لقومه، واستجابةُ الله تعالى بقوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب﴾ نعمة نفعتهم في حياتهم؛ لأنّها أزالت عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء، ولولاه لهلكوا، ونفعتهم في دينهم؛ لأنّها من أظهر الأدلة على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته، وليشاهدوا بأعينهم إكرام الله تعالى له، حيث أجاب سؤاله، وفجّر السماء ببركة دعائه عليه السلام(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، (فيها الإدلال على الله تعالى)(٢)، فأراد نبي الله إبراهيم عليه السلام من الله تعالى أنْ يريه معجزة، ليطمئن قلبه، ويصح بها ايمانه، لأن صحة الايمان مقرونة باطمئنان القلب.

وهذا نبي الله عيسى عليه السلام يدعو الله تعالى أنْ يؤيده بمعجزةٍ من السماء، بعد أنْ طلبها منه قومه لحاجتهم البشرية المادية لها، ولتطمئن قلوبهم برؤيتها بعد أنْ رأوا الآيات الأرضية، ولتكون دليلاً وشاهداً لهم على صدق نبوته ورسالته، فأنزل الله تعالى مائدة من السماء، إجابة لدعاء نبيه عيسى عليه السلام وإثباتاً لنبوته ودلالة قاطعة ومعجزة وحجّة باهرة، وأنّ ما جاء به من

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط، (١/ ١٠٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٣/ ٢٩٨).

عند الله تعالى[١].

قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤].

وابتهج نبي الله سليمان عليه السلام (ابتهاجاً بما خصّه الله تعالى به من إدراك ما هو همسٌ بالنسبة إلى البشر وفهم مرادها ـ النملة ـ منه)[٢] فشكر نعمة الله عليه، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩]، وفي موضع آخر في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[ص: ٣٥]، (فقد طلب نبي الله سليمان عليه السلام من ربّه معجزة لتكون دليلاً على نبوّتهِ تقهر مَنْ بُعِثَ لهم)[٣].

فما أيد الله تعالى به أنبياءه من المعجزات الحسية التي أظهرها الله تعالى على أيديهم، فشاهدها الناس ممّن بُعثَ إليهم هؤلاء الرسل عليهم السلام، هي دليل ساطع وبرهان قاطع على أنَّ هنالك مُرْسِلٌ لهم، وهوالله تعالى[٤].

* * *

*** المطلب الثاني ـ التوحيد في أدعية الأنبياء:**

للدعاء عموماً ولأدعية الأنبياء خصوصاً علاقة قوية وثيقة بالتوحيد بأنواعه الثلاثة، توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٢٢٥).

(٢) تفسير روح المعاني، (١٠/ ١٧٥).

(٣) ينظر: تفسير الكشاف، (٦/ ٢٢).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، (٢١/ ١٩٦)، وروح المعاني، (٣/ ٢٥٥).

ونرى ذلك من خلال آثار هذه الأدعية في هذه الأنواع:

النوع الأول ـ توحيد الربوبية:

الربوبية: نسبة لاسم الله جل وعلا: (الرب)، ولها عدة معانٍ في اللغة منها: المربي، المالك، السيد، المدبر، الوالي، المنعم، المتمم، القيم. ولا يقال الرب ـ بالألف واللام ـ لغير الله تعالى إلا بالإضافة، فيقال: رب كذا(١).

وفي الاصطلاح: هو الاعتقاد الجازم والإقرار بأنّ الله تعالى وحده ربّ كلّ شيء ومالكه وخالقه ومدبّر أمره ورازقه، وهو وحده الذي ينفعُ ويضرّ ويحيي ويميت، ويجيب الدعاء عند الاضطرار، وهو وحده المتصرّف بهذا الكون والقادر عليه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، بيده الخير، وله الخلق، وإليه تُرجع الأمور كلها، وهو على كل شيء قدير(٢).

وقد أقرّت جميع الخلائق بهذا التفرد، مؤمنهم وكافرهم، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الروم: ٤٠].

فدعاء الأنبياء وما فيه من الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه والالتجاء إليه والسؤال له بمقتضى ربوبيته هو السرّ في كثرة ورود لفظ الرب في دعوات الأنبياء والمرسلين(٣)، كون صفات الفعل والقدرة، والتفرّد بالضرّ والنفع

---

(١) ينظر: لسان العرب، (١/ ٣٩٩)، وتاج العروس، (٢/ ٤٥٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، (١١/ ٥١ و١٤/ ٣٧٧)، والإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد نعيم ياسين، الندوة العالمية للشباب، الرياض، صحيفة (٦ ـ ٧).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (٢/ ٤٣٦)، وتيسير الكريم الرحمن، (١/ ٣٩).

والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة وتدبير الخليقة أخصّ باسم الربّ، ولما في هذا الوصف من الصلة بين الربّ والمربوب مع ما فيه من العطف والرحمة، والافتقار في كل حال(١).

إنّ أغلب أدعية الانبياء، ـ إنْ لم يكن كلها ـ فيها أثر من توحيد الربوبية، يتجلى هذا الأثر واضحاً جليّاً من خلال مقتضيات هذا التوحيد، ومن هذه المقتضيات:

١ ـ الخلق: فقد ظهرت آثار توحيد الربوبية في الخلق في دعاء نبي الله زكريا عليه السلام حين سأل الله تعالى ذرّية طيّبة بعد أنْ رأى قدرة الله تعالى في رزق مريم: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[آل عمران: ٣٨]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[مريم: ٥].

فلما نادته الملائكة وأخبرته بالبشارة الإلهية تعجّب قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[آل عمران:٤٠]، وفي موضع آخر: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[مريم: ٨].

وقد ذكر نبي الله زكريا عليه السلام بعض الموانع والعوائق الطبيعية التي قد تمنع من حصول المراد، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم: ٤] (وهو استبعاد من حيث العادة، واستعظام القدرة لا التشكيك)(٢).

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١/ ١٣٧)، ومدارج السالكين، (١/ ١٣٣).

(٢) تفسير الكشاف، (١/ ٣٨٨)، وتفسير النسفي، (١/ ٢٥٤).

وكذلك قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات: ١٠٠ ـ ١٠١]. وكذا قوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. أي: (الذي دلّت هذه المحدثات على أنّه مبدؤها ومبدعها)(١).

ومنها قوله تعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

وقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٤٦].

وقول الله تعالى له ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[الناس: ١]. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨].

فالخلق من أظهر الأدلة الدالّة على ربوبيته تعالى، (فما تميز به من إتقان، وبديع صُنع، لا يكون إلاّ من ربّ العالمين، فالله تعالى خالق الخلق، سنّ له قوانين وسُنناً ثابتة لا يمكن إضافتها لغيره تعالى، كونه المتفرد بالربوبية وحده لا شريك له)(٢).

٢ ـ الإحياء والإماتة: أمّا الإحياء فهو من مقتضيات الربوبية، وظهر أثره في قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾[البقرة: ٢٦٠].

---

(١) تفسير الكشاف، (٣/ ١٣٧).

(٢) مع الله الاسم الأعظم، د. محمد علي الصلابي، (٧٩).

فإبراهيم عليه السلام (عَلِمَ عِلْـم اليقين بأنّ الله تعالى قادر على إحياء الموتى، ولكن أراد الوصول إلى عين اليقين، وأراد أنْ يرى ذلك مشاهدة)(١).

قال الأخفش: (لم يُرد رؤية القلب، بل أراد رؤية العين، لأنّ مقصود خليل الله تعالى هو أنْ يشاهد إحياء الموتى بعينه لتحصيل الطمأنينة)(٢). فإبراهيم عليه السلام مؤمن يقيناً أنَّ الله تعالى قادر على ذلك، ولكن طلب ذلك ليطمئن قلبه باجتماع دليل العيان إلى دليل الإيمان لقوله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»(٣).

وقولـه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

(فما يجريه الله تعالى على عباده في حياتهم، وما يقدّر عليهم في مماتهم هو لله ربّ العالمين، فلا شريك له في الملك والتدبير، ولا مُربيَ ولا مدبّرَ غيره فهو ربّ كل شيء، والخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقادون لأمره)(٤). قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٦٤].

فيتعيّن عليهم أنْ يتخذوا الله تعالى ربّاً ويرضون به، ولا يتعلقوا بأحدٍ من

---

(١) ينظر: مدارج السالكين، (٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٢)، وتفسير القرآن العظيم، (١/ ٦٨٩)، وتيسير الكريم الرحمن، (١/ ٤٩٠).

(٢) النكت والعيون، الماوردي، (١/ ٣٣٤)، وفتح القدير، الشوكاني، (١/ ٤٢٥).

(٣) طرف من حديث ابن عباس أخرجه أحمد، (١/ ٢٧١)، وابن حبان صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، (٦٢١٣)، وقال الشيخ شعيب عقبه: إسناده صحيح.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٢٨٢).

المربوبين الفقراء العاجزين[(١)].

وقوله تعالى على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام في دعائه لإثبات ربوبيته تعالى، كونه وحده سبحانه الذي يحيي ويميت، (فالإماتة والإحياء هما من الحق سبحانه، فلا أحد يسأل عمن يملك الإماتة والإحياء)[(٢)]، ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[الشعراء: ٨١].

وقول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام وهو يحاجج قومه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[نوح: ١٧]. فيه دلالة على أنَّ الله تعالى خلق آدم من أديم الأرض، وهي من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته، فهو الخلاق العليم، الفاطر المنشئ. تعالى الله عما يشركون.

٣ ـ المُلك والتصرّف: إنَّ من معاني توحيد الربوبية الإقرار بتفرد الله تعالى بالتصرف المطلق في الملك والملكوت وأنَّه تعالى بيده كل شيء، فلولا اعتقاد الداعي أنَّ لله تعالى التصرف المطلق في الكون، فهو القادر على أنْ يغير ليسهل الصعب، ويوسع الضيق، وييسر العسير.

ونلحظ أثر هذا التصرف، حين أمر الله تعالى نبينا الكريم ﷺ أنْ يتوجه بدعائه لله تعالى وبقدرته على التصرف بالكون، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٢٨٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٦/ ١٤٧)، وينظر: تفسير الشعراوي، (١٠/ ٥٩٢٤).

فالله سبحانه وتعالى خالقٌ متصرّفٌ في خلقه كيف يشاء، (يملكُ جنس المُلك فيتصرف فيه تصرّف المُلاّك فيما يملكون)[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾[آل عمران: ٢٦] نداءٌ فيه كل معاني الإحساس بالربوبية والضعف أمام قدرة الله تعالى وسلطانه[(٢)].

(وفيها ردٌّ على بعض المعتزلة القائلين بأنّه يجب على الله تعالى إعطاء الثواب للمطيع وأنْ لايعاقبه، وأنْ لا يُدخل العاصي الجنة وأنْ يعاقبه)[(٣)]، فالمُلك لله تعالى، وليس لأحدٍ عليه استحقاق أو اعتراض، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويُكرم من يشاء ويذلّ من يشاء، وليس لأحدٍ سلطانٌ على الله تعالى.

٤ ـ النفع والضرّ: إفرادُ الله تعالى بالنفع والضرّ من مقتضيات ربوبيته تعالى، ويتجلى أثر هذا في دعاء الأنبياء عند تعرّضهم للبلاء، فطلب نبي الله شعيب عليه السلام النُصرةَ من الله تعالى دلالة على أنّه عليه السلام يعلمُ يقيناً أنّه لايدفعُ الضُّرَّ إلاّ الله تعالى، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾[الأعراف: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[العنكبوت: ٣٠]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[المؤمنون: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾[القمر: ١٠].

وكذلك قوله تعالى على لسان النبي نوح عليه السلام: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الشعراء: ١١٨].

ومنها دعاء نبينا الكريم ﷺ الذي أمره الله تعالى به، قال تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا

---

(١) تفسير الكشاف، (١/ ٥٤٢).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، (١/ ٥٨١).

(٣) مفاتيح الغيب، (١٢/ ٣٩٦)، وينظر: اللباب، (٧/ ٤٣١).

تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المؤمنون: ٩٣ ـ ٩٤]، أي: (إنْ كان لابدّ من أنْ تريني ما تعدُهم من العذاب، فلاتجعلني قريناً لهم بغضبك علي ولا تعذبني بعذابهم)(١).

ودعاء النبي أيوب عليه السلام بكشف الضرّ ودفعه عنه، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص: ٤١]. فاستجابةُ الله تعالى له، دليل على تفرّده تعالى وحدهُ بكشف الضّر، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[الأنبياء: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧].

وقول الله تعالى في دفع الضّر وصرف الفتنة عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[يوسف: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

وقوله تعالى على لسان جيش طالوت ومعهم نبي الله داود عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

---

(١) تفسير الكشاف، (٣/ ٢٠٣)، وينظر: مفاتيح الغيب، (٢٣/ ٢٩١)، وتفسير النسفي، (٢/ ٧٠)، وروح المعاني، (٩/ ٢٦٠).

[البقرة: ٢٥٠]. ودعاء نبي الله آدم عليه السلام بدفع الضّر: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣].

وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[يونس: ٨٨].

وقوله عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾[الدخان: ٢٠].

وفي هذه الآيات أثر واضح ودلالة عميقة على يقين الأنبياء عليهم السلام أنّ الله تعالى هو المتفرّد بالتصرّف بالعباد، واستجابة دعاء الأنبياء بكشف الضّر عنهم وجلبُ الخير والنفع لهم.

٥ ـ التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه والاستعانة به وحُسن الظنّ به تعالى.

التوكل: قال سعيدُ بنُ جبير: (التوكل جِماع الإيمان)[1].

وقال ابن حنبل: (التوكل عمل القلب)[2].

قال ابن القيم رحمه الله: (ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات)[3]. وقال سهل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (٢٩٥٨٩).

(٢) مدارج السالكين، (٢/ ١١٤).

(٣) المصدر نفسه.

التستري: (التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد)[١].

والتوكل هو (الاعتقاد الجازم والإقرار التام؛ بأن الله تعالى وحده رب كل شيء ومليكه، لا شريك له، وهو الخالق وحده، وهو مدبر العالم والمتصرف فيه والقادر عليه، وأنه خالق العباد، ورازقهم، ومحييهم، ومميتهم، ولا معقب لحكمه، والإيمان بقضاء الله وقدره، وبوحدانيته في ذاته، وخلاصته (توحيد الله تعالى بأفعاله) [٢].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: (هو صدقُ اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفعِ المضارِّ من أمور الدنيا والآخرة كُلِّها، وكِلَةُ الأمور كلّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنعُ ولا يَضرُّ ولا ينفع سواه)[٣].

والتوكل على الله وحده، هو من مقتضيات الربوبية، ومن أهم الآثار التي نلحظها في توكل نبي الله يوسف على ربّه تعالى حين وقع في يد امرأة العزيز والنسوة، فسلّم أمره وتوكل على الله تعالى في صرف أذاهم ومكرهم. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[يوسف: ٣٣].

وها هو نبي الله يعقوب عليه السلام يُحسنُ الظنّ بالله تعالى ويتوكل عليه في استرداد يوسف عليه السلام وأخيه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ [يوسف: ٨٣]، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ [يوسف:

---

(١) شرح مسلم، النووي ٢(/ ٩١)، ومدارج السالكين، (٢/ ١١٤).

(٢) مدارج السالكين، (٢/ ١١٤).

(٣) جامع العلوم والحكم، (٢/ ٤٩٧).

١٨]، فاستعان بالله تعالى على هذه المحنة، وسأل الله تعالى صبراً سالماً من السخط والتشكّي للخلق[١].

وقوله تعالى على لسان الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾[المؤمنون: ٢٦]، حيث التوكل على الله تعالى في مواجهته للطغيان.

وفي قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[القصص: ٢١]، وهو التوكل على الله تعالى في الكرب.

وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الممتحنة: ٥].

ولا تنافي بين تحقيق معنى التوكل والسعي في العمل بالأسباب، التي قدرها الله سبحانه وتعالى، إذ أمر الله تعالى بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالعمل بالأسباب طاعة لله تعالى، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركنّ سنته[٢].

ومن ذلك نستخلص أمراً مهماً هو أنَّ معنى التوكل على الله تعالى هو: (أنْ تستنفد الأسباب التي مدّتها يدُ الله تعالى إليك، وإياك أنْ تيأس؛ لأنّ لك رباً هو تعالى رُكنٌ شديد تَرْكنُ إليه)[٣].

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٣٩٤).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، (٢/ ٤٩٨).

(٣) دعاء الانبياء والصالحين، محمد متولي الشعراوي، جمع واعداد: سعيد عثمان، =

وتوكُل الأنبياء عليهم السلام لم يكن محصوراً على جوارحهم، بل توكلتْ قلوبهم على الله سبحانه وتعالى، وهذا ما نراهُ في صيغة دعائهم، حيث كانت دعواتهم بـ(عليه توكلت)، وهذا فيه تنزيهٌ لله تعالى، ولا يتوكلُ على أحدٍ غيره(١).

فحقيقٌ على الناس ومنهم الأنبياء التمسك بقاعدة التوكل على الله عزّ وجلّ وحده، ولا يتوكل على غيره من الأحياء الذين يموتون، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨].

وفي دعاء سليمان عليه السلام أثرٌ واضح في التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه، والاستعانة به على شُكر النعمة، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

وقد أمر الله تعالى نبيّهُ ﷺ بالتوكل عليه في مواجهة من تولّى، فقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٩].

أي: اعتمدتُ عليه ووثقتُ به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر وفوضتُ جميع أموري إليه، وعليه يتوكل المتوكلون، لعلمهم أنَّ كل ما سواهُ تحت ملكوته وقدرته(٢).

٦ ـ التذلل لله والافتقار إليه: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾[فاطر: ١٥]، (فالإنسان وكل مخلوق فقير إلى الله بالذات، وفقره من لوازم

= الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، صحيفة (١٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: روح المعاني، (٢٤/ ٣٨).

ذاته، يمتنع أن يكون إلا فقيرا إلى خالقه، وليس أحد غنيا بنفسه إلا الله وحده، فهو الصمد الغني عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، فالعبد فقير إلى الله من جهة ربوبيته ومن جهة إلهيته، . والإنسان يذنب دائما فهو فقير مذنب، وربه تعالى يرحمه ويغفر له، وهو الغفور الرحيم، فلولا رحمته وإحسانه: لما وجد خير أصلا، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولولا مغفرته لما وقى العبد شر ذنوبه، وهو محتاج دائما إلى حصول النعمة، ودفع الضر والشر ولا تحصل النعمة إلا برحمته، ولا يندفع الشر إلا بمغفرته، فإنه لا سبب للشر إلا ذنوب العباد)(١).

وجاء دعاء الانبياء واضحاً جلياً يبين افتقارهم لله تعالى، ومن ذلك دعاء موسى عليه السلام ربّه مفتقراً إليه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[المائدة: ٢٥] وقال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾[طه: ٢٥ ـ ٢٦]. فطلب موسى عليه السلام من ربّه سبحانه أنْ يشرح صدره ويرزقه الحلمَ على ما قد يردُ عليه في طريق الدعوة إلى الحق من الشدائد التي تذهب بصبر الصابر، جميل الصبر وحسن الثبات، (وفي طلب ذلك إظهارٌ لكمال الافتقار إلى الله عزّ وجلّ، وإعراض عن الأنانية بالكلية)(٢).

وقال عليه السلام: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤].

وفي هذا الدعاء بين عيسى عليه السلام إفتقاره لله تعالى وحاجته اليه فلا

(١) مجموع الفتاوى، (١/ ٤٢).

(٢) روح المعاني، (٨/ ٤٩٦).

يملك ان ينزل بعض الطعام ويحضره لهم إلا بأذن الله تعالى وقدرته. فطلب من ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[المائدة: ١١٧ ـ ١١٩].

هنا بيّن عيسى عليه السلام إفتقاره وذله بين يدي الله تعالى ربه وانه عبدٌ فقير ومخلوق، بين يدي عليم قوي متين حي لايموت، (فاستدل عليه السلام بتوحيد الربوبية الذي يقرّ كل أحدٍ على توحيد الإلوهية الذي ينكره المشركون، فكما أنَّ الله تعالى هو خالقنا ورازقنا فهو معبودنا الذي نُؤلهُ بالحبّ والرجاء والدعاء والاستعانة وجميع أنواع العبادة)(١).

(والإنسان فقير إلى الله من جهة عبادته له ومن جهة استعانته به للاستسلام والانقياد لمن أنت إليه فقير وهو ربك وإلهك)(٢).

ومن أثر الحاجة والافتقار إلى الله تعالى ما أمر الله تعالى به نبيّه الكريم ﷺ بالدعاء، فقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٩].

وحين نُمعن النظر في دعاء الأنبياء، نجد أنَّ كل دعاء دعا به الأنبياء الكرام

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، (١/ ١٣١).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٤/ ٣١).

عليهم السلام فيه سمةُ الافتقار إلى الله تعالى والتذلل له تعالى، فهم متوكلون عليه مستعينون به لا يعتمدون إلاّ عليه تبارك وتعالى، ولا يحسنون الظنّ إلاّ به في استجابة دعائهم.

٧ ـ تفرّده تعالى في الرزق: من مقتضيات ربوبية الله تعالى تفرّدهُ بالرزق، ويظهر هذا الأثر واضحاً جليّاً في دعاء الأنبياء والمرسلين، ففي دعاء إبراهيم عليه السلام قال تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: ١٢٦].

وقوله عليه السلام في موضع آخر: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٣٥ ـ ٤١].

فطلب إبراهيم عليه السلام في الدعاء الأول الأمن والرزق، وفي الدعاء الثاني طلب الهداية وقبول العمل، وفي كل ذلك تأكيد على ربوبية الله عز وجل.

فإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾[البقرة: ١٢٦]، خصّ المؤمنين بطلب الرزق حرصاً على شيوع الإيمان

وتأدباً مع الله؛ لأنّه علم بعد أنْ أخبره الله تعالى بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[البقرة: ١٢٤]، فقال عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[البقرة: ١٢٤] فقَالَ الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٢٤]، فعلم أنَّ الإمامة لا تكون إلاّ للمؤمنين؛ ظناً منه أنَّ غير المؤمنين ليسوا أهلاً للرزق، فحصر الدعاء بالرزق لهم فقط، فقال له الحق تبارك بعد ذلك: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: ١٢٦]. إنَّ الله تعالى يرزق المؤمن والكافر؛ لأنَّ الرزق من مقتضيات الربوبية، وأمّا الإمامة فهي من عطاءات الإلوهية، فهو ربٌّ لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، فهو الذي استدعاهم جميعاً إلى الوجود فلا يمنعهم الرزق(١).

وذكر عليه السلام في دعائه نعمة الأمن لأنّها من أعظم نعم الله تعالى، فإذا فقدها الإنسان، اضطربت أفكاره، وصعُب عليه أنْ يتفرغ لدعوته أو حتى لدنياه بنفسٍ مطمئنة.

قال ابن عاشور: (واستدلّ بعض المعتزلة والماتريدية والباقلاني بهذه الآية على أنَّ الكفار مُنعمٌ عليهم بنعم الدنيا، وقال الأشعري لم ينعم على الكافر لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإنّما أعطاهم الله تعالى في الدنيا ملاذاً على وجه الاستدراج، والمسألة معدودة في مسائل الخلاف اللفظي بين الأشعري والماتريدي)(٢).

ومنه دعاء النبي محمدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٧].

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، (١/ ١٨٣).

(٢) التحرير والتنوير، (٢/ ٥٤).

فمن مقتضيات ربوبية الحق سبحانه وتعالى (قدرته المطلقة على الرزق بغير حساب، فيأتي الرزق على ما هو فوق أسباب الخلق، ومن غير حساب، فيأتيهم رزقهم من حيث لم يقدروا)[١].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]. (فأنت خير الرازقين وخير المعطين وكل عطاءٍ من سواك لا يُغني ولا يشبع، فأنت خالق الرزق ومعطيه بلا ملاحظة عوض)[٢].

إنَّ توحيد الربوبية هو أعظم برهان ودليل على توحيد الإلوهية، فهو كالمقدمة بالنسبة للنتيجة، فمن اعتقد أنَّ لهذا الكون العظيم الواسع خالقاً ومدبّراً ومتصرفاً فيه، يفعل ما يشاء وله القدرة الكاملة على تبديله وتغييره، وأنَّه الرازق لجميع المخلوقات، بيده النّفع والضرّ، ويعطي ويمنع، ويحيي ويُميتُ، يجيبُ دعوة المضطرّين، ويغيث الملهوفين، ينجّي عند الشدائد والكربات، (ومن اعتقد ذلك صدقاً في قلبه، تولّد في قلبه حُب الخالق العظيم، وهذه المحبة لا بدّ من أنْ تُثمر خضوعاً وانكساراً وتذللاً، وانقياداً وطاعة وعبودية ورقاً لمالك هذا الكون، ويُذكِّرَ الله تعالى في كتابه الكريم الناس جميعاً بأنّه هو المُنعم عليهم، فيرشدهم بذلك لعبادته وحده)[٣].

---

(١) تفسير الشعراوي، (٣/ ١٤٠٨).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٢/ ١٦٢).

(٣) الإيمان بالله تعالى للصلابي، صحيفة (٥٣).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[فاطر: ٣].

النوع الثاني ـ توحيد الإلوهية:

الإلوهية في اللغة: من (أله إلاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولا، وأصحها أنه علم غير مشتق، وأصله إله، كفعال، بمعنى مألوه. وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه، بين الإلاهة والألهانية، بالضم)(١).

وفي الإصطلاح: يسمى أيضاً توحيد العبادة، عرفه الإمام الطحاوي بأنه: (إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة الظاهرة والباطنة)(٢).

وعرفه ابن تيمية رحمه الله: (وهو أن لا تجعل معه ولا تدعو معه إلهاً غيره)(٣)، أي: (إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات وإخلاصها له تعالى وحده لا شريك له ظاهراً وباطناً توحيده بالعبادة، فالإلوهية والعبودية بمعنى واحد، فالإله

---

(١) القاموس المحيط، مادة (أله)، صحيفة (١٢٤٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٤٤)، وينظر: مجموع الفتاوى، (١٠/ ٦٦٩)، وتطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: عبد المحسن ابن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، صحيفة (٢)، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت: ١٤١٥هـ)، المجلس العلمي بالجامعةالإسلامية المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، صحيفة (٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى، (٢/ ٢٧٧).

معناه: المعبود)[١]. قال ابن عباس رضي الله عنهم: (الله ذو الإلوهية والعبودية على خلقه أجمعين)[٢]، وتوحيد الإلوهية هو من أعظم أنواع التوحيد وأهمها، وهو متضمن لها، ولا يصير العبد مؤمناً بدونه، فهذا التوحيد هو الذي خلق الله تعالى من أجله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[النحل: ٣٦].

يقول ابن تيمية رحمه الله: (إنّ حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده. فلا يدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يُتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم)[٣].

فتوحيد الإلوهية يعني عبادته وحده لا شريك له، وطاعة الله ورسوله وفعل ما يحبه الله ويرضاه بإتباعهما، وهو ما أمر الله تعالى به ورسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب وترك ما نهى الله عنه ورسوله، وتحقيق الولاء والبراء، بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان. فمن لم يكن مع أهل الحقيقة الدينية، فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى، فإنّ المشركين يقرون بالحقيقة

---

(١) الإيمان بالله للصلابي، صحيفة (٨٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، (١/ ١٧١).

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، (٣/ ٤٩٠).

الكونية، إذ هم يقرون بأن الله رب كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[الزخرف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦].

ويبين ابن القيم رحمه الله حاجة البشرية إلى توحيد الله، وإلى هذا القسم من أقسامه خاصة فيقول: (إعلم أن حاجة العبد أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب، أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به. فإن حقيقة العبد وروحه وقلبه لا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها)[(١)].

وهذا التوحيد هو معنى قول: لا إله إلاّ الله، والتي معناها: لا معبود بحق إلاّ الله[(٢)].

---

(١) طريق الهجرتين، محمد بن أبي بكر، ابن القيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، (١/ ٩٩).

(٢) ينظر: الإيمان بالله، الصلابي، (٨٢).

فتوحيد الالوهية قاعدة العقيدة منذ أنْ بعث الله تعالى الرسل إلى الناس، فلا تبديل ولا تحويل، ولا مجال للشرك في الإلوهية والربوبية، وكل نبي بعثه الله تعالى كان يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة على ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

ونلحظ هـذا التوحيـد من خلال أدعيـة الأنبياء واضحاً جليّاً في قوله تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، (نـداءٌ خاشعٌ، في لفظـه ايقاع الدعاء، وإشارة إلى حقيقة الإلوهية الواحدة القوّامة على هذا الكون والناس، فالدينونة لله وحده هي شأن الكون كله كما هي شأن الناس، والانحراف عن هذه القاعدة شذوذٌ وسفهٌ وانحراف)(١).

وفي قوله تعالى في دعاء عيسى عليه السلام بإنزال المائدة لقومه: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤].

إذ نادى عيسى عليه السلام ربّه تعالى مرتين، مرّة: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾، بوصف الإلوهية الجامعة لجميع الكمالات، ومرّة: ﴿رَبَّنَآ﴾ بوصف الربوبية المنبئة عن التربية إظهاراً لغاية التضرّع ومبالغة في الاستدعاء(٢).

---

(١) تفسير في ظلال القران، (١/ ٤٨٣).

(٢) ينظر: روح المعاني، (٤/ ٥٨).

(وفي دعاء عيسى ابن مريم أدب العبد المجتبى مع إلهه ومعرفته بربه. فهو يناديه: يا الله، يا ربنا، إنني أدعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء، تعمنا بالخير والفرحة كالعيد، فتكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا؛ وأن هذا من رزقك فارزقنا وأنت خير الرازقين... فهو إذن يعرف أنه عبد؛ وأن الله ربه. وهذا الاعتراف يعرض على مشهد من العالمين، في مواجهة قومه، يوم المشهد العظيم!)(١).

وتنزيهه تعالى عن الشريك من مقتضيات توحيد الإلوهية، لهذا نجد أن نبي الله عيسى عليه السلام لما واجه استجواباً عن إدعاء الإلوهية، سارع إلى التبرؤ المطلق واستشهد بذات الله سبحانه على براءته؛ مع التصاغر أمام الله وبيان خصائص عبوديته عليه السلام وخصائص إلوهية ربّه عزّ وجلّ(٢).

قال وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة: ١١٦ـ١١٧].

فنفى عيسى عليه السلام الإلوهية عن نفسه وعن أمّه، وأثبتها لله عزّ وجلّ(٣).

ويظهر أثر تنزيه الله تعالى عن الشركاء وإثبات وحدانيته بيّناً حين أمر الله تعالى نبيّه الكريم ﷺ بالإقرار بها بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٩].

---

(١) تفسير في ظلال القران، (٢/ ١٠٠٠).

(٢) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٢/ ١٠٠٠).

(٣) ينظر: روح المعاني، (٤/ ٦١).

لأنّ المتوحد بالإلوهية هو الله وحده، وأثبتت هذه الآية الإلوهية لله عزّ وجلّ ونفتها عن غير الله تعالى. وكذا في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[الإسراء: ١١١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[الإسراء: ١١١]، أي لا شريك له: (في الإلوهية)(١).

وفي موضع آخر قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد: ٣٠].

وها نحن نرى نبي الله يونس عليه السلام يستغيث ربّه تعالى بكلمة التوحيد: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧].

فأقرّ لله تعالى بكمال الإلوهية (المتضمن نوعي الدعاء، فالإله هو المستحق لأنْ يدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة وهو الله لا إله إلاّ هو)(٢).

ومن مقتضيات توحيد الإلوهية:

١ ـ الإخلاص لله عزّ وجلّ، فالإخلاص لله تعالى في الأفعال والأقوال والعبادة من مقتضيات الإلوهية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]. (فهو أحدٌ في إلوهيته والكلّ له عبيد)(٣). وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة: ٥].

---

(١) تفسير البيضاوي، (٣/ ٤٧٣).

(٢) دقائق التفسير، ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد السعيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية، (٢/ ٣٦١)، وينظر: تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٥٢٩).

(٣) تفسير في ظلال القران، (٦/ ٤٠٠٤).

والإخلاص: (النية في التقرّب إلى الله تعالى، والقصد له بأداء ما افترض على عباده المؤمنين)(١).

ونلحظ أثر الإخلاص لله تعالى فيما جاء على لسان خليل الله إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨].

وقوله عليه السلام في موضع آخر: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩].

يقول القاسمي: (ففي دعائه توجه لله تعالى بقلبه وروحه في المحبة والعبادة وسؤاله ربه تعالى أنْ يجعله مسلماً مائلاً عن الانحراف والشرك، وعن الأديان الباطلة، والعقائد الزائفة، منزهاً مقامه عن الشك والحيرة)(٢).

وفي أمره تعالى نبيّه الكريم ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[الإسراء: ٨٠]، أثر واضحٌ فهو دعاء يعلّمه الله تعالى لنبيّه عليه السلام ليدعوه به ويُعلم أمّته كيف تدعو الله تعالى وفيم تتجه إليه، دعاء بصدق المدخل والمخرج، فللصدق آثار يظلل بها، منها الثبات والاطمئنان والإخلاص(٣).

وقوله تعالى على لسان نبيه الكريم إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٥/ ٢١٣).

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٦/ ٢٣٧٦).

(٣) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٤/ ٢٢٤٧).

مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾[إبراهيم: ٤٠].

ونظيره قول نبي الله نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧].

فنبي الله نوح عليه السلام (يرتجف ارتجافه العبد المؤمن يخشى أنْ يكون قد زلّ في حقّ ربه تعالى، فيلجأ إليه، ويعوذ به، ويطلب غفرانه ورحمته، فينجو العبد من أنْ يكون من الخاسرين)[1].

ودعاء موسى عليه السلام بالهداية: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

وتوسل نبي الله يعقوب عليه السلام بربّه تعالى في عودة ولديه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾[يوسف: ٨٣]، وفي نداء يونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٢ ـ من مقتضيات الإلوهية الخوف والرجاء والطمع: فالخوف والرجاء والطمع بما عند الله تعالى من مقتضيات توحيد الإلوهية، وها نحن نجد أثر ذلك في دعوة إبراهيم عليه السلام وهو يدعو ربّه تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧]. كانا (في عمل صالح وهما يسألان الله تعالى أنْ يتقبل منهما)[2].

ومثله في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ

---

(١) تفسير في ظلال القران، (٤/ ١٨٨٠)، وتيسير الكريم الرحمن، (١/ ٣٨٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (١/ ٤٢٧).

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦].

(ومع إعلان السمع والطاعة بلا عناد أو نكران، فهم يشعرون بالتقصير والعجز عن توفية آلاء الله تعالى حقّ شكرها، وفرائض الله تعالى حقّ أدائها، والالتجاء إلى رحمة الله تعالى لتتدارك تقصيرهم وعجزهم بسماحتها ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾)(١). ويملأ الخوف والرجاء قلب سيدنا آدم فيظهر على لسانه، فيلجأ إلى ركن الأمان، ويتوسل إليه بإلوهيته، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣].

٣ ـ إثبات الحاكمية لله تعالى (الحكم لله): من أهم مقتضيات الإلوهية الخالصة لله تعالى والتي يجب الاعتقاد بها هي أن الحاكمية لله وحده، (فيكون الله تعالى وحـده هو المشرّع للعباد؛ ويجيء تشريع البشر مستمداً من شريعته تعالى فلا شرعية لوضع أو تقليد أو تنظيم يخالف منهج الله)(٢). قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. فقرن وحدانيته في الإلوهية بوحدانيته في الحكم. فالإشراك بالله تعالى في حكمه كالإشراك في عبادته قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾

(١) تفسير في ظلال القران، (١/ ٣٤٣).

(٢) تفسير في ظلال القران، (١/ ٢٨٦).

[الكهف: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠].

فحاكمية الله تعالى وحده في حياة البشر وحاكميته تعالى وحده في تدبير أمور هذا الكون، يلغي وجود الأرباب، ويحرر الناس في الأرض من عبوديتهم، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤].

ونرى أن مفهوم الحاكمية لله تعالى قد فهمه الأنبياء والرسل عليهم السلام وأدركوه إدراكاً عميقاً، وتجلى ذلك واضحاً بيناً في دعائهم قال تعالى على لسان نبينا الكريم محمد ﷺ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[الشورى: ١٠]. أي (فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر، فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم)(١).

وفي أمره تعالى نبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٤٦].

فعن سعيد بن جبير قال: (إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه)(٢). فالله تعالى وحده هو الحَكم، وحُكم الله هو الاحتكام إلى كتابه وإلى رسوله ﷺ في حياته، فأخرج الإمام الترمذي وغيره من حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث معاذا إلى اليمن فقال: (كيف تقضي؟ فقال أقضي بما في كتاب الله قال فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟ قال أجتهد رأيي، قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ)(٣).

---

(١) روح المعاني، (١٣/ ١٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١٥/ ٢٦٥).

(٣) جامع الترمذي، (١٣٢٧) و(١٣٢٨)، وأخرجه أحمد ٥/ ٢٣٠ وغيره، وإسناده =

وليس لأحد في الآخرة الحكم سوى الله تعالى، وهو الذي يتولى الفصل بين عباده. وفي قول نبي الله يعقوب عليه السلام في دعائه يقول تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[يوسف: ٦٧]، فالقضاء قضاء الله، والأمر أمره، فما قضاه سبحانه وحكم به لا بد أن يقع، ولا راد لأمره[١].

ونلحظ كذلك نبي الله نوحاً عليه السلام في دعائه وهو يُسلِم أمر غرق ولده إلى أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[هود: ٤٥].

ويتجلى فهم مبدأ الحاكمية في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقد صبغ أوامر دولته وإجراءاته في كل شؤون الدولة بصبغة الله تعالى، وأعلن ذلك في الساعات الأولى لتولية أمر المسلمين، فقال أيها الناس: (إنه ليس بعد نبيكم نبي، وليس بعد الكتاب الذي أنزل إليكم كتاب، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله تعالى على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا لست بقاضٍ وإنما أنا منفّذ لأمر الله تعالى، ولست بمبتدع، ولكني متّبع إلّا أنه ليس لأحد أن يطاع بمعصية الله عز وجل)[٢].

= ضعيف، قال الإمام الترمذي: (وليس إسناده عندي بمتصل).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٤٠١).

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، (٥/ ٢٦٢)، وسنن الدارمي، عبد الله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، صحيفة (٤٣٣).

فها هو عمر رضي الله عنه متفهم، وأدرك مفهوم الحاكمية فعزم على تطبيق حكم الله تعالى في كل أمر، وأنه منفذ لأمر الله ولذلك حقق الخلافة في الأرض بتطبيق شرعه في خلقه وتلك غاية ما بعث الله تعالى من أجله رسله.

وهكذا يظهر الاثر الواضح لأدعية الانبياء في إثبات توحيد الألوهية وإقرار العبادة لله تعالى وحده، فهم اعرف الخلق بالله تعالى واعرف الناس بمقتضيات توحيده وتنزيهه، فصلى الله تعالى عليهم أجمعين.

❐❐❐

المبحث الثاني

أثر أدعية الأنبياء في إثبات توحيد الأسماء والصفات

تمهيد

إنّ أسماء الله الحسنى توقيفية وَهي مما اتفق عليه أهل العلم، فلابد في كل اسم من دليل نصي صحيح يذكر فيه الاسم بلفظه، فدورنا حيال الأسماء الجمع والإحصاء ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء، والذين قالوا بأن الأسماء الحسنى مشتقة من الصفات إنما يقصدون أنها تدل على الصفات والأفعال، وأنها تلاقي مصادرها اللغوية في اللفظ والمعنى من حيث الاشتقاق، وأن الاسم في اللغة يشتق من الوصف والفعل أو العكس، لكن لا يحق لأحد أن يشتق هو بنفسه من الفعل الذي يراه أو الوصف الذي يختاره اسما لله عز وجل ؛ فلا نسمي الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ.

قال ابن حزم الأندلسي: (لا يجوز أن يسمى الله تعالى ولا أن يخبر عنه إلا بما سمى به نفسه أو أخبر به عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ أو صح به إجماع جميع أهل الإسلام المتيقن ولا مزيد، وحتى وإن كان المعنى صحيحا فلا يجوز أن يطلق عليه تعالى اللفظ، وقد علمنا يقينا أن الله عز وجل بنى السماء فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾[الذاريات: ٤٧]، ولا يجوز أن يسمى بناء، وأنه تعالى خلق أصباغ النبات والحيوان وأنه تعالى قال: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾[البقرة: ١٣٨]، ولا يجوز أن يسمى صباغا، وأنه تعالى سقانا الغيث ومياه

الأرض ولا يسمى سقاء ولاساقياً وهكذا كل شيء لم يسم به نفسه)(١).

وسأل الجبائي أبا الحسن الأشعري: (لم منعت أنت أن يسمى الله عاقلا وأجزت أن يسمى حكيما؟ قال الأشعري: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله عز وجل الإذن الشرعي دون القياس اللغوي؛ فأطلقت حكيما لأن الشرع أطلقه ومنعت عاقلا لأن الشرع منعه ولو أطلقه الشرع لأطلقته)(٢).

وقال النووي: (أسماء الله توقيفية لا تطلق عليه إلا بدليل صحيح)(٣).

واحتج الإمام الغزالي على أن الأسماء توقيفية: بالاتفاق على أنه لا يجوز لنا أن نسمي رسول الله ﷺ باسم لم يسمه به أبوه ولا سمى به نفسه، وكذا كل كبير من الخلق، قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أولى(٤).

وقال ابن الوزير: (فأسماء الله وصفاته توقيفية شرعية، وهو أعز من أن يطلق عليه عبيده الجهلة ما رأوا من ذلك، فلا يجوز تسميته رب الكلاب والخنازير ونحو ذلك من غير إذن شرعي، وإنما يسمى بما سمى به نفسه)(٥).

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبومحمدعلي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، بلا سنة طبع، (٢/ ١٠٨)، (٣/ ٤٣).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسُبكي، (٣/ ٣٥٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (٧/ ١٨٨).

(٤) ينظر: فتح الباري، (١١/ ٢٢٣).

(٥) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (ت: ٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، (١/ ٣١٤).

وقال عضد الدين الإيجي: (تسميته تعالى بالأسماء توقيفية، أي يتوقف إطلاقها على الإذن فيه وذلك للاحتياط احترازا عما يوهم باطلا لعظم الخطر في ذلك)[١].

يقول البيهقي: (فلله عَزَّ اسمه، أسماء وصفات، وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه)[٢].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة[٣]، فإنه يدل دلالتين أخريين بالتضمن

---

(١) المواقف، (٣/ ٣٠٦)، وينظر: العقيدة السفارينية «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية»، محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، صحيفة (٥٢).

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسي، أبو بكرالبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، صحيفة (٧٠)

(٣) أنواع الدلالة اللفظية الوضعية: تنقسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الدلالة المطابقية: هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث أنه وضع له، وذلك مثل لفظ (البيت) على الجدار والسقف معاً، ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم الله (العليم) مثلاً على ذات الله وعلمه أي دلالة الاسم على المسمى والصفة المشتقة من الاسم نفسه. وسميت مطابقية لتطابق اللفظ والمعنى، وتوافقهما في الدلالة.

٢ ـ الدلالة التضمنية: هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى، مثل دلالة لفظ البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده، وسميت وضعية لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل، فالجزء داخل ضمن الكل أي في داخله، ومن هذا النوع مثلاً دلالة اسم الله (السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، =

واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم، فإن اسم (السميع) يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها، وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم (الحي) وصفة الحياة بالالتزام وكذلك سائر أسمائه وصفاته)[1].

لذا فنحن نورد ههنا الأسماء والصفات التي جاءت صريحة في دعاء الأنبياء، أو ضمنية مشتقة من أحدهما، شريطة ان يكون قد دعا بها نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

* * *

* المطلب الأول ـ الأسماء والصفات في اللغة والاصطلاح:

أولاً ـ الاسم في اللغة والإصطلاح:

جاء في لسان العرب: (وَاسْمُ الشيءِ وسَمُه وسِمُه وسُمُه وسَماهُ: علامَتُه، والإِسم أَلفُه أَلفُ وصلٍ، والدليل على ذلك أنك إذا صغرت الإسم قلت سُمَيٌّ، والعرب تقول: هذا اسمٌ موصول وهذا أسم. وقال الزجاج معنى قولنا اسم هو

= بصرف النظر عن استعمال (الجزء والكل) بل يقال على الصفة والموصوف.

٣ ـ الدلالة الالتزامية: هي دلالة اللفظ على معنى خارج عن معناه الذي وضع له، مثل دلالة لفظ (الأربعة) على الزوجية، ودلالة لفظ (إنسان) على قبول التعليم مثلاً وعلى التعجب والحركة والسكون، ودلالة اسم الله (القدير) على صفة (الحياة) وعلى العلم وغيرهما من صفات الله تعالى. ينظر: الفروق للقرافي، (٣/ ١٠٧)، الصفات الالهية في الكتاب والسنة النبوية، (١٧٨).

(١) مدارج السالكين، (١/ ٥٤).

مشتق من السُّموِّ وهو الرفعة، قال: والأَصل فِيهِ سِمْوٌ مثلُ قِنْوٍ وأَقْناءٍ. قال الجوهري: والاسمُ مشتق مِنْ سَموْتُ لأَنه تنويه ورِفْعَةٌ، وتقديرُه إفْعٌ، والذاهب منه الْوَاوُ لأَنَّ جمعَه أَسْمَاءٌ وتصغيرهُ سُمَيٌّ)[1].

وقال ابن سيده: (مُشْتَقّ من السُّمُوّ، وجمعه أسماءٌ على ردِّ لَام الْفِعْل وتصغيره سُمَّيٌّ، ويُقال سَمَا يَسْمُو سُمُوّاً إِذا علا، وقيل اسْم: أَي مَا علا وظهَرَ فصار عَلَماً للدلالة على مَا تَحْتَهُ من الـْمعْنى.

والاسْمُ: كلمة تدل على الـْمسَمّى دلَالَة الإشارةِ دون الإفادةِ، وذلك أنك إذا قلت زيد فكأنك قلت: هذا. وإذا قلت: الرجل فكأنك قلت ذاك. فَأَما دلالةَ الإفادة فَهُوَ مَا كَانَ الْغَرَض أَن تفِيد السَّامع بِهِ معنى أَو أخرجته ذَلِك الـْمخْرج كَقَوْلِك قَامَ وَذهب فَأَما الأول فإنما الغرض فيه أَن تُشِير إِلَيْهِ ليتنبه عَلَيْهِ أَو تُخْرجَه ذَلِك الـْمخْرج.

قَالَ سِيبَوَيْهِ: هو كما تقول: عَرَّفْتُه بِهَذِهِ الْعَلامَة)[2].

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني: (ما دلَّ على معنى في نفسه، غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وهو ينقسم إلى: اسم عين، وهو الدال على معنى يقوم بذاته، كزيد وعمرو، وإلى اسم معنى، وهو ما لا يقوم بذاته، سواء كان معناه وجوديّاً كالعلم أو عدميّاً كالجهل)[3].

ثانياً: الصفة في اللغة: (من صفا، الصفو والصفاء ممدود، نقيض الكدَر،

---

(١) لسان العرب، مادة (سما)، (١٤/ ٣٩٧).

(٢) المخصص، (٥/ ٢١٥).

(٣) التعريفات، صحيفة (٢٤).

وصفوة كل شيء خالصه)[١].

وقال ابن فارس: (الصفة: الأمارة اللازمة للشيء)[٢]، وقال أيضاً: (النعت: وصفك الشيء بما فيه من حسن)[٣].

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني: (هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات... وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يُعرف بها)[٤].

وقال أبو البقاء: (وأما معتقد أهل الحق فالصفة هي ما وقع الوصف مشتقاً منها، وهو دالٌ عليها، وذلك مثل العلم والقدرة ونحوه)[٥].

والفرق بين اسم الله تعالى وصفته هو أن: (أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به؛ مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير؛ فإن هذه الأسماء دلَّت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، أما الصفات؛ فهي نعوت الكمال القائمة بالذات؛ كالعلم والحكمة والسمع والبصر؛ فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال: الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم...)[٦].

---

(١) لسان العرب، (١٩/ ٥٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (وصف)، (٥/ ٤٤٨).

(٣) المصدر نفسه، (٦/ ١١٥).

(٤) التعريفات، صحيفة (١٣٣).

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، صحيفة (٥٤٦).

(٦) فتاوى اللجنة الدائمة، (٣/ ١١٦) ـ فتوى رقم (٨٩٤٢).

فلابد من الاعتقاد الجازم أن الله تعالى متصف بصفات الكمال كلها، وهو تعالى منزه عن صفات النقص كلها، وانه متفرد بهذا عن جميع الكائنات، فنثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ له من الأسماء والصفات، من غير تحريف، ولا تعطيل أو نفي بعضها عن الله عز وجل ولا تكييفها بتحديد كنهها، واثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهاً بصفات المخلوقين سبحانه وتعالى علواً كبيراً(١).

إنّ مبحث الصفات يرتكز على أسس ثلاثة، من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل. وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها القرآن العظيم:

ومن هذه الأسس(٢):

أولاً: تنزيه الله عليه السلام عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[الإخلاص: ٤].

ثانياً: الإيمان بكل ما وصف الله تعالى به نفسه؛ لأنه أعلم من يصف نفسه،

---

(١) ينظر: الإيمان، د محمد نعيم ياسين، صحيفة (٢٧)، والإيمان بالله تعالى، د. الصلابي، صحيفة (٤٥).

(٢) ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: عطية محمد سالم، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ، صحيفة (٩) فما بعد.

قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ١٤٠]، والإيمان بما وصفه به رسول الله ﷺ الذي قال تعالى في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[النجم: ٣]. فيلزم أن ننزهه تعالى جل وعلا عن أن تشبه صفته صفات المخلوقين.

ثالثاً: قطع أطماع النفس عن إدراك الكيفية؛ لأن إدراك حقيقتها مستحيل، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠].

* * *

*** المطلب الثاني ـ أقسام الصفات:**

تنقسم الصفات باعتبار ورودها إلى قسمين:

١ ـ **صفات ثبوتية:** هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، والصفات الثبوتية كثيرة جداً منها: العلم، الحياة، والعزة، والقدرة، والحكمة، والكبرياء، والقوة، ...إلخ(١).

وهذه صفات مدح وكمال، تُظهر كمال الموصوف بها، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية(٢).

---

(١) ينظر: المواقف، (١/ ٤٧٧)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، (١/ ١١٨)، وأصول الدين الإسلامي، رشدي عليان، صحيفة (١١٥).

(٢) ينظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، صحيفة (٥٧).

٢ ـ صفات سلبية (أي منفية): هي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ(١).

والصفات المنفية كلها صفات نقص في حقه، ومن أمثلتها: النوم، والموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، والظلم. وهي عند الأشاعرة خمسة: (القدم، والبقاء، والوحدانية، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس)(٢).

والصفات السلبية لا تنحصر بهذه الخمسة، وإنما اقتُصر على هذه الخمسة لأنها أمهاتها (٣).

وصفات الله تعالى ـ الثبوتية ـ يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين: صفات عقلية، وصفات خبرية(٤):

أولا: ـ الصفات العقلية: وهي صفات يستدل عليها بالعقل أي أن طريق ثبوتها يكون عن طريق السمع والبصر(٥).

وهي أيضاً على قسمين:

أ ـ ذاتية: التي لاتنفك عن الذات الإلهية وهي لازمة له أزلاً وأبداً، ولا تتعلَّق

---

(١) ينظر: المواقف، (٣/ ١٥٠)، وشرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (ت: ٧٩٣هـ)، دار المعارف النعمانية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، (١/ ١٧)، ومجموع الفتاوى، (١٧/ ١١٢).

(٢) ينظر: شرح المقاصد، (١/ ١٠)، والمواقف، (١/ ٣٥).

(٣) أصول الدين الإسلامي، د. رشدي عليان، صحيفة (١١٧)، وينظر: رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة، كمال الدين الطائي، صحيفة (٢٥).

(٤) ينظر: الاعتقاد، للبيهقي صحيفة (٧٠)، وصفات الله، علوي سقاف، صحيفة (١٧).

(٥) ينظر ما سبق.

بها مشيئته تعالى وقدرته، كالحياة، والعلم، والقدرة، والملك، والعظمة والكبرياء(١).

ب ـ فعلية: فهي تسميات مشتقة من أفعاله ورد السمع بها مستحقة له فيما لا يزال دون الأزل؛ لأن الأفعال التي اشتقت منها لم تكن في الأزل(٢).

ومن هذه الأفعال: الخلق والرزق والإماتة والإحياء والعطاء والمنع، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[الفرقان: ٥٩].

ثانياً: الصفات السمعية (الخبرية): فهي ماكان طريق إثباته الكتاب والسنة فقط(٣)، أي الصفات التي لا يمكن للعقل أن يدركها إلا عن طريق النصوص، فطريق إثباتها ورود الخبر الصادق من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة فقط، ومنها الوجه واليدين والعين.

وتسمى النقلية أو السمعية، وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع، والخبر عن الله، أو عن رسوله ﷺ، فلا سبيل للعقل إلى إثباتها على انفراده، إلا عن طريق الأخبار المنقولة عن الله، وعن رسوله ﷺ، وهي وإن كانت خبرية محضة بيد أن العقل السليم لا يعارض فيها الخبر الصحيح كما هو معروف.

وتنقسم ـ أيضاً ـ إلى قسمين:

أ ـ صفات ذاتية: وهي التي تتعلق بذات الله تعالى، ومن أمثلتها: الوجه،

---

(١) ينظر: الاعتقاد، للبيهقي، صحيفة (٧٠).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأسماء والصفات، (٢/ ١٥٨).

اليد، العين، القَدَم، والنفس، والذات ...إلخ(١).

ب ـ صفات فعلية: وهي التي تتعلق بفعل الله تعالى كالغضب، والرضا، والفرح، والاستواء، والنزول، والمجيء، والضحك(٢).

ومن الصفات الخبرية التي وردت في أدعية الانبياء ما أمر الله تعالى نبيه الكريم محمد ﷺ به في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]. وقوله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦].

وقد اختلف العلماء في إثبات الصفات الخبرية لله تعالى على مذاهب رئيسة:

المذهب الأول: التشبيه، وهو تمثيل الله تعالى وتشبيهه بخلقه، ـ تعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ، إذ جعل هؤلاء المشبهة صفاته سبحانه من جنس صفات المخلوقين، ولذلك سموا (بالممثّلة أو المشبّهة)، ومنهم مشبهة الروافض، ومنهم حشوية المشبهة الذين قالوا إن لله دماً ولحماً(٣)! وأول من قال هذه المقالة هشام ابن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وغيرهما(٤).

---

(١) ينظر: التمهيد، الباقلاني، صحيفة (١/ ٢٤٦)، ونهاية الأقدام في علم الكلام، للشهرستاني، صحيفة (١٠٥)، ولوامع الأنوار البهية، (١/ ٢٥٧)، والصفات الإلهية، صحيفة (١٥٥).

(٢) ينظر ماسبق.

(٣) ينظر: الإنصاف، الباقلاني، صحيفة (٣٩)، والملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، (١/ ١٠٠)، والمواقف، (٣/ ٧١٤)، ولوامع الأنوار البهية، (١/ ٩١).

(٤) ينظر: خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو =

المذهب الثاني: التعطيل، وهو مذهب نفاة الصفات، وهم الجهمية والمعتزلة إذ ينكر الجهمية والمعتزلة صفات الله عز وجل، فهم لا يعترفون بإضافة الصفة إلى الموصوف، إذ (يرون امتناع قيام الصفات به، لاعتقادهم أن الصفات أعراض، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثه، فردوا جميع ما يضاف إلى الله إلى إضافة خلق، أو إضافة وصف من غير قيام معنى به؛ لأنهم يقولون إنما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بها عن الموصوف، وينفون أن يكون لله وصف قائم به علم أو قدرة أو إرادة أو كلام)[1].

= عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دارالمعارف السعودية، الرياض، صحيفة (٣٤)، أقاويل الثقات، في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (ت: ١٠٣٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، صحيفة (٢٠٢)، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب ـ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، صحيفة (١١٩)، ونهاية الاقدام في علم الكلام، للشهرستاني، صحيفة (٣٥)، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت: ٧٣٣هـ)، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، صحيفة (٢٥)، والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧، صحيفة (٢١٤).

(١) ينظر: خلق أفعال العباد، البخاري، صحيفة (٨٥)، ونقض الدارمي، (٢/ ٧٢٤)، والإبانة عن أصول الديانة، صحيفة (١٤١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي =

يقول ابن خزيمة: (والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله وصف بها في محكم تنزيله أو على لسان نبيه لجهلهم بالعلم وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماء من أسماء صفاته على بعض خلقه فتوهموا ـ لجهلهم بالعلم ـ أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه قد شبهه بخلقه)[١].

وهذه الفرقة حكم أهل العلم عليها بالبدعة، بل ذهب بعضهم إلى تكفيرهم، فعن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يقول: ما كنت أعرض أحدا من أهل الأهواء على السيف إلا الجهمية. وقال حفص بن عمرو الربالي: هم كفار. وقال سلام بن أبي مطيع: (كفار ولا يصلى خلفهم)[٢].

وقال عبد الله بن المبارك: (كل قوم يعرفون ما يعبدون إلا الجهمية)[٣].

المذهب الثالث: التأويل، وهو مذهب الماتريدية والأشاعرة.

وتسمى طريقة الخلف ـ وهم المتكلّمون ـ وتقوم على تفسير نصوص

= (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، (٣/ ٥٣٢)، والصفات، الدارقطني، صحيفة (٦٣)، ونهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، صحيفة (٤٣)، ومنهاج السنة، ابن تيمية، (٢/ ٥٦٣ ـ ٥٦٥)، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، إبن جماعة، صحيفة (٣٤)، واجتماع الجيوش الإسلامية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، صحيفة (٨٥).

(١) التوحيد، لابن خزيمة، (١/ ٥١).

(٢) السنة، عبد الله بن احمد بن حنبل، (٢/ ٥٢٧)، واعتقاد أهل السنة، (٢/ ٣١٦).

(٣) خلق أفعال العباد، البخاري، صحيفة (٣٨).

الصّفات بما ينفي حقيقتها عن الله؛ اعتقادا أن إثبات الصفات على حقيقتها يوهم التشبيه، ولهذا جعلوا الحقّ دائراً بين التّفويض والتأويل في كلّ نصّ يوهم التّمثيل، ولهذا قالوا: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أحكم[(١)].

فذهبوا إلى تأويل الصفات الخبرية ونفي معانيها الحقيقية وأنها مجازات، فالاستواء بمعنى الاستيلاء، واليد: القدرة أو النعمة، والنزول: نزول الملائكة، والوجه: الذات، والعين الحفظ، معتقدين أن إثبات هذه الصفات على ظاهرها يؤدي إلى التشبيه والتجسيم[(٢)].

وإنما أُطلق عليهم المتكلمون نسبة إلى علم الكلام، ويعرفوه: (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية؛ بإيراد الحجج، ودفع الشبه)[(٣)].

وفي سبب تسميته بهذا الاسم يذكر المتكلمون عدة أقوال منها: أنهم يعنونون للمسائل بقولهم الكلام في كذا، وقيل لأن أشهر مباحثه الكلامية صفة الكلام، وقيل لكثرة الكلام فيه مع المخالفين والرد عليهم[(٤)].

---

(١) اعترض كثير من أهل العلم على هذه العبارة، ولعل الصواب: أن طريقة السلف هي أحكم وأسلم، وطريقة الخلف (علم الكلام) هي الحصن الذي يحمي العقيدة من هجمات الخصوم، والله أعلم.

(٢) ينظر مثلاً: الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ٢٧٦)، وتفسير البيضاوي، (١/ ٢٧٤) و(٥/ ٢٠١)، مفاتيح الغيب، (٢٢/ ٩) و(٢٥/ ١٣٧)، وتفسير النسفي، (٢/ ٣٥٧)، وشرح المقاصد، (٢/ ٦٧) و(٢/ ١١٠)، والمواقف، (٣/ ١٤٥).

(٣) المواقف، (١/ ٣١)، وينظر: مقدمة ابن خلدون، صحيفة (٤٠٠)، والتعريفات، صحيفة (٢٣٦).

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام، (١/ ١٦٤)، مقدمة ابن خلدون، صحيفة (٤٠٠)، المدخل إلى دراسة علم الكلام، للدكتور حسن الشافعي، صحيفة (١٣ ـ ٢١) و(٢٧ ـ ٢٨)، =

المذهب الرابع: (مذهب السلف[1] الصالح)[2].

فالأصل في الصفات ـ عندهم ـ الإيمان بجميع ما جاء من عند الله تعالى، وصح عن رسول الله ﷺ وإمراره على ما جاء واعتبار فهمه هو قراءته، ولا يجوز الخوض فيه بشيء من الكلام قط.

فمن ذلك ما جاء عن الإمام سفيان بن عيينة قال: (ما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره، ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية)[3].

= ودرء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتورمحمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعةالثانية، ١٩٩١م، (١/ ٢٣٢)، وبيان تلبيس الجهمية، (١/ ١٠١).

(١) قال ابن جماعة: (السلف: هم العلماء العدول الوارثون عن رسول الله ﷺ الحقائق والمعارف والعقائد ويمكن أن يقال هم السادة الأخيار إلى نهاية المائة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة المباركة وانتهى إليه تقريبا دور تدوين الحديث الشريف والكلام على رجاله وأعني بأولئك السادة الأخيار كبار الأئمة الفقهاء والمحدثين والأصوليين والمفسرين وأمثالهم من علماء الإسلام وتلامذتهم وأتباعهم في عصرهم وبعدهم وعليه الكثير من العلماء وأتباعهم إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله تعالى). ينظر: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، صحيفة (٤٠).

(٢) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)، والإبانة، الأشعري، صحيفة (٢٠)، وشرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١٨٩)، وأقاويل الثقات، الكرمي، صحيفة (٩٧)، والتبصير في الدين، الاسفرايني، صحيفة (١٥٣)، والإنصاف للباقلاني، صحيفة (٤٢)، وإرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد، الشوكاني، صحيفة (٥٢).

(٣) أخرجه اللالكائي، (٣/ ٤٣١)، والدارقطني في الصفات برقم (٦١)، والأسماء والصفات، البيهقي، (٢/ ١١٧).

وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي: (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فإنهم لم ينفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه وصفه بصفة لا شيء)[١].

فمذهب السلف هو تفويض الكيف لا المعنى، كما روي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]. الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، والبحث عنه كفر[٢].

قال ابن جماعة: (وهذا له حكم الحديث المرفوع لأن مثله لا يقال من قبيل الرأي)[٣].

---

(١) أخرجه اللالكائي، (٣/ ٤٣٣)، وينظر: العلو للذهبي، صحيفة (١٥٣)، ولوامع النوار البهية، (١/ ٢١٩). وينظر: أصول اعتقاد أهل السنة، (٢/ ٤١٧)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية، (٤/ ٤، ٥)

(٢) ذم التأويل، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعةالأولى، ١٤٠٦هـ، صحيفة (٢٦)، وأقاويل الثقات، صحيفة (٦١)، ولوامع الأنوار البهية، (١/ ١١٩)، واللباب، (١٥٠ ـ ١٥١)، ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، (١٢٢)، وتحفة المريد، على جوهرة التوحيد، إبراهيم ابن محمد البيجوري (ت: ١٢٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، (١/ ٨٢).

(٣) أقاويل الثقات، صحيفة (٦١).

وقال الإمام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[١].

أما تفويض المعنى فذهب إليه قلة من المتقدمين أعني في القرن الثاني والثالث، وشاع عند طائفة من المتأخرين ويسمون المفوضة[٢].

هذا باختصار بعض من مذاهب العلماء في صفات الله جل جلاله، وهناك تقسيمات أخرى، لسنا بصدد الحديث عنها، لضيق المقام، وإنما تحدثنا عنها بقدر يسير توضيحاً وبياناً حسب[٣].

والذي نريد قوله: أن الدعاء بالأسماء الحسنى والصفات العلا أمرٌ من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠]، أي: (تعبَّدوا لله تعالى بدعائه بأسمائه وصفاته، واطلبوه بكل اسم مناسب لمطلوبكم)[٤].

يقول ابن القيم رحمه الله: (ومن عَلِمَ عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها وسر ارتباطها بالخلق والأمر وبمطالب العبد وحاجاته عرف ذلك وتحققه فإن كل مطلوب يسأل بالمناسب له فتأمل أدعية القرآن والأحاديث النبوية تجدها كذلك)[٥].

---

(١) أقاويل الثقات، صحيفة (١٠٣).

(٢) ينظر: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي، تحقيق: بدربن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، صحيفة (٤٥)، وأقاويل الثقات، صحيفة (٦١).

(٣) ينظر للمزيد: الملل والنحل، (١/ ١٤)، والفرق بين الفِرق، للبغدادي، صحيفة (٩١)، ولوامع الأنوار البهية، السفراييني، (١/ ١٤١)، والصفات الخبرية، د. محمد عياش، صحيفة (٤٤).

(٤) ينظر: القواعد الحسان، صحيفة (٥٧).

(٥) مدارج السالكين، (١/ ٤٤٨).

فإن كان الدعاء بالأسماء الحسنى والصفات العلا مطلوباً في كل زمان ومكان إلا أنه في بعض المواطن التي تضيق فيها الأسباب بالإنسان أقوى مسألة وأسرع استجابة، فالله عز وجل يحب العبد المُلحّ في الدعاء، والإلحاح فيه يزداد مع الاضطرار وصدق الالتجاء، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]. فحين تضيق بالعبد السبل وتنقطع بالمكروب الحيل، فأول أمرٍ يفعله أن يستغيث بربه، ويلجأ بما يناسب حاله من الأسماء والصفات، ويتضرع ويبتهل إليه بالدعاء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

لقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بأن يدعوه بأسمائه فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وفي القرآن الكريم في مواضع عدة أخبر الله سبحانه وتعالى عن جمع من أنبيائه أنهم يدعونه عز وجل بأسمائه وصفاته، ونرى ذلك في السنة فيما نقل عن النبي ﷺ من أدعية دعا بها أو أمرنا أن ندعو بها، نجد كثيراً من هذه النصوص فيها الدعاء بالأسماء والصفات، ومن ذلك قوله ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي»(١).

---

(١) أخرجه أحمد، (١/ ٤٥٢)، وابن حبان في صحيحه، (٩٧٢)، وقال الشيخ شعيب في =

والدعاء نوعان: دعاء ثناء، ودعاء مسألة، فحينما يقول المسلم ـ مثلاً ـ : (أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له)[1]، فهذا دعاء لكنه دعاء ثناء على الله سبحانه وتعالى.

فالأنبياء ذاقوا طعم العبودية والخضوع لله والافتقار بين يدي الله تعالى حين عاشوا آثار الأسماء والصفات ومعانيها، فتعبدوا الله تعالى بالدعاء له والتوسل إليه تعالى بأسمائه وصفاته عز وجل.

ولدعاء الأنبياء اثر واضحٌ بينٌ في أثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا، فلا يكاد يخلو أي دعاء من أدعيتهم عليهم السلام من ذكر اسمٍ أو صفةٍ لله تعالى، تليق بجلاله وكماله، كونهم عرفوا أن لهم رباً يجب أن يعبدوه حق عبادته، ويتوجهوا إليه وحده في كل أمورهم بغير شريك. فلا يكون ذلك إلا إذا عرفوا أسماءه التي يتسمى بها وصفاته التي يتصف بها، حتى تكون عبادتهم عن معرفة وعلم، وفي ذلك ردٌ على من نفى هذه الأسماء والصفات.

ويمكننا تقسيم الصفات الواردة في أدعية الأنبياء إلى:

أولاً: صفات اقترنت بأسماء الله الحسنى التي تدل على صفات معينة لله تعالى، اشتقت من الأسماء فهي بذلك تكون أسماءً وصفات. وهذا يشمل الصفات التي تدل على الربوبية والخلق أو العلم أو القدرة أو الرحمة أو العظمة، كما في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧]، فهنا جاءت صفة (السمع) وصفة

= تعليقه عليها: إسناده صحيح.

(١) طرف من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٨٨ (٢٧٢٣).

(العلم) مقترنة بالاسم (السميع)[١].

ثانياً: صفات تحمل معاني الأسماء، غير أنها لم تأتِ بصيغة الاسم بل جاءت صفة مؤكدة لهذه الأسماء[٢]، كما في دعاء النبي ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٤٦]، فاسم الله تعالى (الحكم) دلت عليه صفة فعله تعالى: (تحكم).

وسنورد الاسم أو الصفة حسبما جاءت في الدعاء ثم نذكر ما اشتق منه اسماً من صفة أو صفةٍ من اسم شريطة ثبوتها من وجه صحيح في القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة.

١ ـ لفظ الجلالة (الله):

هو الاسم الجامع لجميع معاني أسماء الله الحسنى، والمتضمن لسائر صفات الله تعالى يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ويقال: (الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم) من أسماء الله، ولا يقال: (الله) من أسماء (الرحمن)، ولا من أسماء (العزيز) ونحو ذلك فعلم أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دالٌ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله)، واسم (الله) دالٌ على كونه مألوهاً معبوداً، تُألِهُهُ الخلائق محبة،

(١) ينظر: أسماء الله الثابتة في الكتاب، (١/ ٩٧).

(٢) ينظر: الصفات الالهية في الكتاب والسنة، صحيفة (٣٠٦).

وتعظيماً، وخضوعاً، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمن لكمال الملك والحمد. وإلهيته، وربوبيته، ورحمانيته، وملكه مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله)، وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة: أخص باسم (الرب). وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان والمنة، والرأفة واللطف أخص باسم (الرحمن) وكرر إيذاناً بثبوت الوصف وحصَول أثره، وتعلقه بمتعلقاته)[(١)].

واختُلف في أصل اشتقاقه فقيل: إنه من (إله) مثل: (فعال) فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة مثل: الناس أصله: أناس، فقيل: (الله) فإله (فعال) بمعنى: مفعول كأنه مألوه أي: معبود مستحق للعبادة، يعبده الخلق ويؤلهونه، والتأله: التعبد. وهذا معروف في كلام العرب فهو دال على صفات الإلوهية[(٢)].

وذهب بعض آخر إلى أنه اسم جامد غير مشتق علم على الذات المقدسة وقالوا: أن الألف واللام من بنية هذا الاسم ولم يدخلا للتعريف. والدليل على ذلك: دخول حرف النداء عليه. وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام اللتين للتعريف فأنت تقول: (يا ألله) ولا تقول: (يا الرحمن)، ولا (يا البصير)

---

(١) مدارج السالكين، (١/ ٣٢ ـ ٣٣).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (أله)، (١/ ١٢٧)، لسان العرب، (١٣/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩)، القاموس المحيط، صحيفة (١٢٤٢).

فدل على أن الألف واللام من بنية الاسم. والصواب أنه مشتق، لأن أصله (إله) بمعنى مألوه، أي معبود، فهو دال على صفات الإلهية[1].

فالله: (هو المألوه المعبود، ذو الإلوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الإلوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الإلوهية وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الإلوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده، المحمود وحده، المشكور وحده، المعظم المقدس ذو الجلال والإكرام، وهو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى)[2].

فهو الله الذي لا تسكن القلوب إلاّ به ولا تطيب النفس إلاّ بذكره، ولا تكمل العقول إلا بمعرفته، لأنه سبحانه الكامل على الإطلاق دون غيره. وهو من تفزع الخلائق إليه ويلجأ، فلا مجير حقيقة إلا هو، ولا ناصر إلا هو. وهو ملجأ العباد.

يقول ابن تيمية رحمه الله في معنى (الإله): (والإله: هو المألوه أي: المستحق لأن يؤله؛ أي يعبد. ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده. وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل، وفعال بمعنى مفعول مثل: لفظ الركاب والحمال؛ بمعنى: المركوب والمحمول... فهو الإله الحق لا إله غيره،

---

(١) ينظر: الأسماء والصفات، للبيهقي، (١/ ٥٦)، والعين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ابن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٤/ ٩٠ ـ ٩١)، لسان العرب، (١٣/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩)، القاموس المحيط، صحيفة (١٢٤٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، (٥/ ٦٢٠)، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين الكافية الشافية الشيخ عبد الرحمن السعدي، نشر دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، صحيفة (١٠٤).

فإذا عبده الإنسان فقد وحّده ولم يجعل معه إلهاً آخر ولا اتخذ إلهاً غيره: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٣]. وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[الإسراء: ٢٢]، وقال إبراهيم لأبيه آزر: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٧٤]، فالمخلوق ليس بإله في نفسه، لكن عابده اتخذه إلهاً وجعله إلهاً وسماه إلهاً، وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره... فغير الله لا يصلح أن يُتخذُ إلهاً يُعبد ويُدعى، فإنه لا يخلق ولا يرزق، وهو سبحانه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد... فغير الله لا مالك لشيء، ولا شريك في شيء، ولا معاون للرب في شيء؛ بل قد يكون له شفاعة إن كان من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، ولكن لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع، وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له، ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة، فلا يصلح من سواه لأن يكون إلهاً معبوداً كما لا يصلح أن يكون خالقاً رازقاً، لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)(١).

ويقول ابن القيم رحمه الله: ((الإله) فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى)(٢).

واسمه تعالى (الله) هو الاسم الأعظم على الأرجح:

يقول القرطبي رحمه الله: (وهذا الاسم هو أكبر أسمائه وأجمعها حتى قال

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، (١/ ٤١١)، وينظر: بدائع الفوائد، (٢/ ٤٧٣).

(٢) مدارج السالكين، (١/ ٣٢ ـ ٣٣).

بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم، ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن، ولم يجمع وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥]، أي: هل تعلم من تسمى باسمه الذي هو (الله)، (فالله) اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلوهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد الحقيقي لا إله إلا هو سبحانه)[١].

وأكثر ما يدعى الله ـ تبارك وتعالى ـ بلفظ: (اللهم)، ومعنى: اللهم، يا الله، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني وقد كان الرسول يدعو ربه كثيراً بقوله (اللهم)[٢]. وقد جاء هذا الاسم في قوله تعالى امرا نبنه الكريم محمد ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٤٦]. وفي طلب موسى عليه السلام من ربه إنزال المائدة قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤].

٢ ـ اسم الله الرب وصفة الربوبية:

قال ابن الأثير: (يطلق (الربّ) في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره

---

(١) الجامع لأحكام القران، (١/ ١٠٢).

(٢) ينظر: أسماء الله الحسنى، د. عمر الأشقر، (٣٣ ـ ٣٤).

أضيف، فيقال: ربّ كذا، وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله، وليس بالكثير)[(١)].

وقال الراغب: و(الربّ) في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال: ربّه ورباه، وربَّبه، وقيل: لأن يربني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يربني رجل من هوازن. ولا يقال (الرب) مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ: ١٥]، وبالإضافة يقال له ولغيره، نحو قولهم: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الشعراء: ٢٦]. ويقال: ربّ الفَرَس، وربّ الدار، وعلى ذلك قال الله تعالى: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢].

وقوله: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[يوسف: ٥٠].

قال الحليمي في معنى الرب: (هو المبلغ كل ما أبدع حد كماله الذي قدره له، فهو يسيل النطفة من الصلب، ثم يجعلها علقة، ثم العلقة مضغة، ثم يخلق المضغة عظاما، ثم يكسو العظام لحما، ثم يخلق في البدن الروح ويخرجه خلقا آخر، وهو صغير ضعيف، فلا يزال ينميه وينشيه حتى يجعله رجلا، ويكون في بدء أمره شابا، ثم يجعله كهلا)[(٢)].

وقال ابن كثير: (والرب) هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، (٢/ ١٧٩).

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي، (١/ ١٨٥).

وعلى المتصرف للإصلاح. وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى)(١).

(فربوبيته للعالم تتضمَّن تصرفه فيه، وتدبيره له، ونفاذ أمره كلَّ وقتٍ فيه، وكونه معه كلَّ ساعةٍ في شأنٍ، يخلق ويرزق؛ ويُميت ويُحيي؛ ويخفض ويرفع؛ ويُعطي ويمنع؛ ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُصرِّف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك إنكارٌ لربوبيته وإلهيته وملكه)(٢).

واسم (الرب) من أعظم المدائح التي مجد الله عز وجل نفسه به فامتدح نفسه بأنه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، كما مدح نفسه بأنه رب كل شيء كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام: ١٦٤]. ومجد نفسه جل جلاله بأنه رب العرش العظيم كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[النمل: ٢٦].

يقول الشيخ السعدي: (و(الرب) هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأَخَصُّ من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم، وأخلاقهم. ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة)(٣).

وقد جاء أكثر أدعية الأنبياء عليهم السلام، بهذا الاسم فجاء في دعاء نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾[نوح: ٢٨]، وقوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (١/ ١٣١).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (٤/ ١٢٢٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، (٥/ ٤٨٦).

ودعاء موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، و﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾[الأعراف: ١٥٥].

ودعاء يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾[يوسف: ٣٣]، وقوله أيضاً: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

ودعاء زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨].

ودعاء سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[ص: ٣٥].

وثبت الاسم الكريم في القرآن والسنة، فقد سمى الله تعالى نفسه بالرب على سبيل الإطلاق والإضافة، وكذلك سماه به رسوله ﷺ، فالإطلاق الذي يفيد المدح والثناء على الله بنفسه فكما ورد في قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. وكقوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[سبأ: ١٥].

وأخرج مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم»(١)

والرب سبحانه هو المتكفل بخلق الموجودات وإنشائها والقائم على هدايتها وإصلاحها وهو الذي نظم معيشتها ودبر أمرها، ودليل هذا المعنى ما ورد في

---

(١) أخرجه مسلم، ١/ ٣٤٨ (٤٧٩).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤]؛ فالرب سبحانه هو المتكفل بالخلائق أجمعين إيجادا وإمدادا ورعاية وقياما على كل نفس بما كسبت، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾[الرعد: ٣٣].

أما صفة الربوبية: فاسم الرب جل جلاله يدل عليها، ويدل على الصفات اللازمة لقيام الربوبية كالحياة والقيومية والعلم والمشيئة والقدرة، والملك والغنى والقوة، والإحياء والإبقاء والهداية، والرزق والإمداد والرعاية، والإفناء والإماتة والإعادة، والهيمنة والعزة والإحاطة، ويدل أيضا على تدبير أمر المخلوقات وتقدير أحوالهم، والقيام على شؤونهم، والعناية واللطف بهم، والهداية إلي ما يصلحهم، والفصل والقضاء والحكم بينهم، وتهيئة الكون لتحقيق الغاية من خلقهم(١).

٣ ـ اسم الله الملك وصفة المُلك.

قال ابن سيده: المَلْك، المُلك، والمِلْك: احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد بة وتملكه: أي ملكه قهراً، وأملكه الشيء ومَّلكه إياه تمليكاً: جعله مِلكاً له. واملكوه زوجوه، شبه الزوج بملك عليها في سياستها. والملكوت مختص بملك الله تعالى وهو مصدر ملَكَ، أدخلت فيه التاء نحو: جبروت ورهبوت ورحموت. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف: ١٨٥](٢).

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٩٢)، وأسماء الله الحسنى للرضواني، (٣/ ١٩٣).

(٢) المخصص، (١/ ٣٢٢)، وينظر: النهاية، (٤/ ٣٥٨)، ولسان العرب، (٦/ ٤٢٦٦)، والمفردات للراغب، (٤٧٢).

وفي المعنى الاصطلاحي قيل في مالك الملك: (هو الذي ينفذ مشيئته في مملكته كيف شاء، وكما شاء، إيجاداً وإعداما وإيقاعاً وإفناءاً، المُلْك هنا بمعنى المملكة، والمالك بمعنى القادر التام القدرة، والموجودات كلها مملكة واحدة وهو مالكها وقادرها وإنما كانت الموجودات كلها مملكة واحدة لأنها مرتبطة بعضها ببعض فإنها وإن كانت كثيرة من وجه، فلها وحدة من وجه، ومثال بدن الإنسان، فإنها مملكة لحقيقة الإنسان وهي أعضاء كثيرة مختلفة، ولكنها كالمتعاونة على تحقيق غرض مدبر واحد، وكانت مملكة واحدة، فكذلك العالم كله كشخص واحد، وأجزاء العالم كأعضائه وهي متعاونة على مقصود واحد، هو إتمام غاية الخير الممكن وجوده على ما اقتضاه الجود الإلهي ولأجل انتظامها على ترتيب متسق وارتباطها برابطة واحدة كانت مملكة واحدة، والله تعالى هو مالكها فقط)(١)، فهو تعالى مالك لجنس الملك(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: (الفرق بين الملك والمالك أن المالك هو المتصرف بفعله، والملك هو المتصرف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرف بفعله وأمره)(٣).

أي أن مالك الشيء لا يلزم أن يكون ملكا؛ لوجود من هو أعلى منه رتبة ويمنع تصرفه في ملكه، أما الملك الذي له الملكية والملك فله التدبير والأمر

(١) ينظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفاف والجابي، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، قبرص، صحيفة (١٤١).

(٢) ينظر: تحقيق المنى شرح أسماء الله الحسنى، الشنقيطي، صحيفة (١٤٧).

(٣) بدائع الفوائد، (٤/ ٩٧٢).

مطلقه. وقال ابن جرير: (المَلِك: الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا دونه)[١].

وقد وردت لفظة ـ مالك ـ في القرآن الكريم مضافة في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤]. أُضيفت إلى يوم الدين.

والثاني: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ﴾[آل عمران: ٢٦]. إذ أضيفت إلى المُلْك ففي الآية أمر من الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ والمسلمين أن يعتقدوا اعتقاداً جازماً من أغوار نفوسهم، وأعماق قلوبهم، أن الملك الحق والتصرف المطلق إنما هو لله تعالى وحده. فلله تعالى مُلكاً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله، دالاً على كمال القوة والمتانة، والقدرة والعزة والغنى، كما أن للمخلوقين مُلكاً مناسباً لحالهم وافتقارهم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا﴾[الكهف: ٧٩][٢]، وقد ذهب العلماء إلى أن اسم ـ الملك ـ أبلغ من ـ المالك ـ لعدة أسباب منها:

إن الملك لا يطلق إلا في حق من مملوكاته[٣].

إن الله تعالى امتدح نفسه بأنه مالك المُلك ـ بضم الميم ـ ولم يمتدح نفسه تعالى بمالك المِلك ـ بكسر الميم ـ فالملك مشتق من الملك ـ بالضم ـ والمالك مشتق من الملك بالكسر، فيثبت أن الملك أشرف من المالك[٤].

---

(١) تفسير الطبري، (٢٨/ ٣٦).

(٢) العقيدة في الله، صحيفة (٢٣٤).

(٣) شأن الدعاء، صحيفة (٤٠)، ولوامع البيانات للرازي، صحيفة (١٨٦ ـ ١٨٧).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، صحيفة (٣٠)، ولوامع البيانات، =

فـ (مالك الأرض يطيع ملكها، وملكها لا يطيعه)[١]

وجاء اسم ـ الملك ـ وحده، وجاء اسم ـ المالك ـ مضافاً إلى شيء آخر، فوجب أن يكون الملك أبلغ[٢].

وذهب فريق آخر من العلماء إلى إن اسم ـ المالك ـ أبلغ لأن ـ المالك ـ قسم بالقدرة التامة[٣].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: (وهو الله الذي لا إله إلا هو الملك أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة)[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: (إن من أسمائه: (الملك)، ومعناه الملك الحقيقي ثابت له ـ سبحانه ـ بكل وجه، وهذه الصفات تستلزم سائر صفات الكمال. إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة، ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به، وكيف يُوصف بالمُلك مَنْ لا يأمر ولا ينهي؛ ولا يُثيب ولا يُعاقب؛ ولا يُعطي ولا يمنع؛ ولا يُعِزُّ ولا يذل؛ ولا يُهين ولا يُكرم؛ ولا يُنعم ولا ينتقم؛ ولا يخفض ولا يرفع، ولا يُرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ولا يتقدَّم إلى عبيده بأوامره ونواهيه؟ فأيُّ مُلكٍ في الحقيقة لمن عدم ذلك؟ وبهذا يتبين أن المعطِّلين لأسمائه وصفاته: جعلوا مماليكه أكمل منه،

= الرازي، صحيفة (١٨٧)، والجامع لأحكام القرآن، (١/ ١٤١).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١/ ١٤٠ ـ ١٤١).

(٢) ينظر: لوامع البيانات، الرازي، صحيفة (٩٨٧).

(٣) ينظر: لوامع البيانات الرازي، صحيفة (١٨٧ ـ ١٨٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٧٩).

ويأنف أحدُهم أن يُقال في أمره وملكه ما يقوله هو في ربِّه)[١].

وورد الدعاء بالاسم المضاف من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك قل يا معاذ اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»[٢].

وجاء مفرداً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنّ أخنع[٣] اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله عز وجل)[٤].
وكذلك بين صفات عدة لله تعالى: (تعز من تشاء، تذل من تشاء، تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، تخرج الحي من الميت يعني صفة الخلق النشأة، البعث، القدرة، الرزق)، وهي من الصفات العقلية الذاتية.

٤ ـ اسم الله الولي وصفة الولاية:

اسم الله تعالى (الولي) ثابت بالكتاب والسنة، وإن لم يرد في دعاء الأنبياء، ولكننا على ما اشترطنا على أنفسنا أننا نذكر الاسم الذي يشتق من الصفة إن لم

---

(١) شفاء العليل، صحيفة (٢٢٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الجامع الصغير، (١/ ٣٣٦) (٥٥٨)، صحيح الترغيب والترهيب، (١٨٢١).

(٣) أخنع: الأذل والأوضع. ينظر: غريب الحديث، (٢/ ١٨).

(٤) أخرجه مسلم، ٣/ ١٦٨٨ (٢١٤٣).

يرد في دعاء الانبياء شريطة ثبوته بالدليل الصحيح، وكذا الصفة المشتقة من الاسم بالشرط نفسه.

فـ (الوَلْي): القرب والدنو، يقال: تباعد بعد ولي. وهو: ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة، يقال فيه: تولاه. (والمَوْلى): المُعتِقُ والمُعتَقُ، وابن العم، والناصر، والجار، والصديق، والتابع، والمحب، والحليف، والشريك، وابن الأخت.

(والوَلِيُّ): الصِهر، وكل من وَلِيَ أمر أحد فهو وَليُّه. والولاية بالكسر: السلطان، والوَلاية والوِلاية: النُّصرة[١].

وأما (الولي) اصطلاحاً:

فقال الخطابي: (والولي المتولِّي للأمر والقائم به، كولي اليتيم، وولي المرأة في عقد النكاح عليها، وأصله من الوَلْي، وهو القُرْبُ)[٢].

والله جل شأنه مولى الخلق أجمعين بمعنى أنه سيدهم ومالكم وخالقهم ومعبودهم الحق، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾[الأنعام: ٦٢]. وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾[يونس: ٣٠]. ولا تتعارض هذه الآيات مع قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾[محمد: ١١].

ويجيب الشيخ الشنقيطي عن هذا بقوله: (والجواب عن هذا: أن معنى كونه

---

(١) ينظر: لسان العرب، (٦/ ٤٩٢٠ ـ ٤٩٢٦).

(٢) شأن الدعاء، صحيفة (٧٨).

مولى الكافرين أنه مالكهم المتصرف فيهم بما شاء، ومعنى كونه مولى المؤمنين دون الكافرين، أي: ولاية المحبة والتوفيق والنصر، والعلم عند الله تعالى)[١].

وقد جاءت صفة الله الولي في دعاء الأنبياء بصيغ متعددة، فمنها ما جاء في دعاء موسى عليه السلام: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٥].

وفي دعاء يوسف الصديق: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

ومن معانيها (القرب)[٢]، ولما كانت متعلقات القرب بالمكانة مختلفة. جاءت على ثلاثة أوجه[٣]:

أ ـ الوجه الأول: قرب المحبة، وهي إرادة الخير، كما في قوله تعالى على

---

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، صحيفة (١١٦).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت: ٣٤٠هـ)، تحقيق عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، صحيفة (٥٥).

(٣) نقلها الإمام القرطبي عن ابن العربي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (١/ ٣٠٠).

لسان نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٥]. والقرب هنا من صفات الذات.

ب ـ الوجه الثاني: قرب النصرة، وهو بالظهور على الأعداء وهذا ما جاء في دعاء النبي ﷺ والمؤمنون معه، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا﴾ إلى قوله: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦]. ودل القرب هنا على صفات الفعل.

ج ـ الوجه الثالث: متابعة المولى ومناصرته.

وجاء القرب بهذا المعنى في دعاء يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]. وجاء القرب هنا دالاً على صفات الفعل، واختصت هذه الصفة بمصالح العباد، وحسن النظر لهم عموماً في جميع الخلف، وخصوصاً في المؤمنين، وخصوص الخصوص في المرسلين والنبيين والصديقين. وهي من الصفات العقلية الذاتية(١). والصفة هذه مشتقة من اسمه تعالى (الولي).

وجاء ذكر هذا الاسم صريحاً في القران الكريم مرتين وهو اسم صريح في الموالاة، ويختص بمصالح العباد وحسن النظر لهم عموماً في جميع الخلق، وخصوصاً في المؤمنين، وخصوص الخصوص في المرسلين والنبيين والصديقين(٢). قال

(١) ينظر: ولله الأسماء الحسنى، د عبد العزيز الجليل، (١/ ٢٣٠).

(٢) الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، (١/ ٣٠٠).

تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البقرة: ٢٥٧]. وعلاوة على ذلك فلا يجوز القول في حق الله تعالى: ولي الكافرين[١]. وإن كان قد أنعم الله عليهم، كون هذا الاسم يتناول المؤمن دون الكافر.

وقد جاءت هذه الصفة في دعاء النبي ﷺ ودعائه مع المؤمنين، قال عليه السلام: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦]. فـ (العبد إذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى)[٢].

ويظهر أثر ولاية الله عليه السلام لعبادة المؤمنين في دعاء نبي الله موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٥]. (فلا ولي ولا ناصر ولا هادي لنا إلا أنت، القائم بأمورنا الدنيوية والأخروية لا غيرك)[٣].

وها نحن نرى سيدنا يوسف عليه السلام قد توجه إلى ربه ليس له سواه يدعوه ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

٥ ـ اسم الله العليم وصفة العلم:

قال ابن منظور: (وعَليمٌ فَعِيلٌ من أبنية المبالغة ويجوز أن يقال للإنسان الذي

---

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى، صحيفة (١٤٤)، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (١/ ٣٠١).

(٢) مفاتيح الغيب، (٧/ ١٢٤).

(٣) روح المعاني، (٥/ ٧٢).

عَلَّمه اللهُ عِلْماً من العُلوم عَلِيم كما قال يوسف للمَلِك ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] فأَخبر عز وجل أن مِنْ عبادِه مَنْ يخشاه وأنهم هم العُلَماء وكذلك صفة يوسف عليه السلام كان عليماً بأَمْرِ رَبِّهِ وأنه واحد ليس كمثله شيء إلى ما عَلَّمه الله من تأْويل الأَحاديث الذي كان يَقْضِي به على الغيب فكان عليماً بما عَلَّمه اللهُ)(١).

وقال الحليمي في معناه: إنه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكه، من غير أن يكون موصوفا بعقل أو حس، وذلك راجع إلى أنه لا يعزب ولا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه إدراك شيء، كما عجز عن ذلك من لا عقل له ولا حس له من المخلوقين، ومعنى ذلك أنه لا يشبههم ولا يشبهونه.

قال أبو سليمان ـ الخطابي ـ : (العليم: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم)(٢).

قال السعدي في تفسيره: (وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء)(٣).

(فعلوم الخلائق على سعتها وتنوعها إذا نسبت إلى علم الله اضمحلت، وتلاشت، وعلمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي، وما فيه من المخلوقات

---

(١) لسان العرب، مادة (علم)، (١٢/ ٤١٦ ـ ١١٧)، وينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (علم)، (٤/ ١٠٩).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ١٢١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، (٥/ ٢٩٩).

ذواتها، وأوصافها، وأفعالها، وجميع أمورها، فهو يعلم ما كان، وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم، وبعد ما يميتهم، وبعد ما يحييهم، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها خيرها، وشرها، وجزاء تلك الأعمال، وتفاصيل ذلك في دار القرار)[(١)].

والعلم كله بجميع وجوهه واعتباراته لله تعالى؛ فيعلم تعالى الأمور المتأخرة أزلاً وأبداً، ويعلم جليل الأمور وحقيرها، وصغيرها وكبيرها، ويعلم تعالى الظواهر والبواطن، غيبها وشهادتها، ما يعلم الخلق منه وما لايعلمون، ويعلم تعالى الواجبات والجائزات، ويعلم تعالى ما تحت الأرض السفلى، ويعلم ما في فوق السماوات العلى، وعلمه تعالى أحاط بجميع الأشياء في كل الأوقات، ولا يعرض تعالى لعلمه خفاء، ولا نسيان؛ كقوله في غير موضع: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران: ١١٩][(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته[(٣)]:

وهو العليم أحاط علماً بالذي ... في الكون من سر ومن إعلان

وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان

---

(١) تفسير اسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة ١١٢، ١٤٢١هـ، صحيفة (١٩٥)، وينظر: ولوامع الانوار البهية، (١/ ١٦٨).

(٢) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، للسعدي، صحيفة (٦٣ ـ ٦٤).

(٣) القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، (٢/ ٢١٥).

وكـذاك يعلـم مـا يكـون غـداً ومـا قــد كــان والموجــود في ذا الآن
وكــذاك أمــر لم يكــن لوكــان كيـف يكـون ذاك الأمـر ذا إمكـان

وقد جاء اسم الله تعالى العليم في دعاء نبي الله تعالى إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧]، وفي دعاء يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[يوسف: ٨٣].

وجاء اسمه العليم مقترناً باسمه سبحانه (السميع) في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين آية، ذكر ابن القيم رحمه الله وجه هذا الاقتران عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٧]، فقال: (فإن الطلاق لما كان لفظاً يسمع، ومعنى يقصد، عقبه باسم (السميع) للنطق به (العليم) بمضمونه)(١).

وهي من الصفات العقلية الذاتية فعلم الله تعالى كامل أزلي، فالله تعالى علم كل شيء قبل خلقه، فأوجده تعالى على ما علمه، فهو تعالى عالم بالسر والعلن قال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[طه: ٧]، ويعلم ما في الصدور، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩]، ولا تخفى عليه خافية وإن دقت، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: ٦١]. حتى خطرات النفوس، فالله تعالى عالم بما كان وما يكون ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون(٢).

---

(١) جلاء الأفهام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، صحيفة (٤/ ٣١).

(٢) تفسير اسماء الله الحسنى، صحيفة (١٩٥)، وينظر: ولوامع الانوار البهية، (١/ ١٦٨).

والأنبياء عليهم السلام أيقنوا أن لهم رباً علياً يعلم أحوالهم ودعاءَهم، فلا يخفى عليه شيء من أمرهم في أمور في الدنيا والآخرة واستجابة الله تعالى لهم هي جزء من علم الله تعالى بهم.

وجاءت أدعية الأنبياء لتؤكد رسوخ اعتقادهم عليهم السلام بتفرد إحاطة الله تعالى وحده بالعلم

ومما يثبت ورود هذه الصفة في دعاء الأنبياء ما جاء في أمر الله تعالى لنبيه في قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. وهنا جاءت صفة العليم منفردة.

وجاءت صفة العليم مضافة في قوله تعالى آمراً نبيه ﷺ بالدعاء بصفاته تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. وفي موضعٍ آخر في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٤].

وفي دعاء سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦].

ويدل دعاء إبراهيم عليه السلام على معرفته اليقينية بإحاطة الله تعالى بالعلم باطنه وظاهره، سره وعلنه، وأنه تعالى يعلم السر والنجوى ويعلم ما في السموات والأرض، قال تعالى في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[إبراهيم: ٣٨]. وفي موضع آخر قال تعالى على لسان سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الأعراف: ٨٩]. (فعلمه تعالى شامل كامل محيط

بالماضي والحاضر والمستقبل وهو علم مطابق للواقع)[١].

٦ ـ اسم الله السميع وصفة السمع:

(السمع للإنسان وغيره: حِسُّ الأذن أو ما وقر في الأذن من شيء تسمعه، ورجل سميع أي: سامع ورجل سَّماع إذا كان كثير الاستماع لِما يقال، ويُنطق كقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾[المائدة: ٤١].

والسميع على وزن فعيل من أبنية المبالغة)[٢].

وجعله ـ هنا ـ السمع بحس الأذن إنما هو مختص بسمع أغلب المخلوقات، ولو فسَّره بإدراك الصوت لكان أولى؛ لأنه لا يشترط في السمع الأذن، حتى في سمع المخلوق ـ كسمع الملائكة ـ وإثبات السمع لهم لا يستلزم إثبات الآذان[٣].

ويأتي معنى السميع على ثلاثة أوجه[٤].

أما أن يكون بمعنى أن المسموعات لا تخفى عليه. أويكون بمعنى مُسمع، أي: يسمع غيره. أو يكون بمعنى سامع. والسميع: الذي يسمع السر، وسامع في كل شيء[٥].

والسميع في الاصطلاح: بمعنى السامع، إلا انه أبلغ في الصفة فهو الذي (يسمع السر والنجوى سواء عند الجهر والخفوت، وعند النطق والسكوت)[٦].

---

(١) الإيمان بالله تعالى، الصلابي، صحيفة (٦٢)

(٢) لسان العرب، (٣/ ٢٠٩٦)، وينظر: النهاية لابن الاثير، (٢/ ٤٠١).

(٣) ينظر: ولله الأسماء الحسنى، صحيفة (١١).

(٤) إشتقاق أسماء الله الحسنى، صحيفة (٧٥ ـ ٧٦).

(٥) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، (١/ ٤٢).

(٦) ينظر: شأن الدعاء، صحيفة (٥٩).

وقيل: (هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع، وإن خفي، فيسمع السر والنجوى بل ما هو أدق من ذلك وأخفى، ويدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء. يسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم، ويسمع بغير أصمخة أُذن، كما يفعل بغير جارحة ويتكلم بغير لسان، وسمعه منزه عن أن يتطرف إليه الحدثان، ومهما نزهت السمع عن تغيير يعتريه عند حدوث المسموعات، وقدسته عن أن يسمع بأذن أو آله أو أداة، علمت إن السمع في حقه عبارة عن صفه ينكشف بها كمال صفات المسموعات)(١).

فلله تعالى سمع يليق بعظمته وجلاله من غير تمثيل ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، يسمع الجهر وما يخفى.

يقول الطبري في معنى السميع: (يقول جل ثناؤه واصفاً نفسه بما هو به (وهو) يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول)(٢).

وقال الخطابي: (السميع) بمعنى السامع إلا أنه أبلغ في الصفة وبناؤه فعيل بناء المبالغة كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى سواء عند الجهر والخفوت والنطق والسكوت. وقد يكون السماع بمعنى: القبول والإجابة؛ كقول النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع»(٣). أي: من دعاء لا يستجاب، ومن ذلك قولنا في الصلاة: (سمع الله لمن حمده). معناه: (قبل الله حمد من حمده)(٤).

---

(١) المقصد الأسنى، صحيفة (٩٠)، وينظر: لوامع البيانات، الرازي، صحيفة (٣٤٧).

(٢) تفسير الطبري، (٢٥/ ٩).

(٣) أخرجه أحمد، (٣/ ١٩٢).

(٤) شأن الدعاء، صحيفة (٩).

وجاء اسم الله ـ السميع ـ مقترناً مع اسم الله ـ العليم ـ في قوله تعالى في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ابنه وهما يبنيان بيت الله الحرام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. فأنت السميع الذي تسمع دعاءنا، والعليم الذي تعلم بنياتنا ومدى إخلاصنا لك، فلا سميع غيرك، ولا عليم سواك، وهذه ضراعة الإيمان التي أظهرها سيدنا إبراهيم عليه السلام لله تعالى السميع العليم، وقد قدم السمع على العلم؛ لأن متعلق السمع أخص من متعلق العلم، فقدم الخاص على العام(١).

يقول ابن القيم رحمه الله: (السميع) الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه كثرة السائلين.

وقالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وإني ليخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة: ١].

قال الأزهري: (والعجب من قوم فسّروا (السميع) بمعنى المُسْمِعْ فراراً من وصف الله بأن له سمعاً، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، (١/ ٥٨٥) روح المعاني، (١/ ٣٩٠). وزهرة التفاسير، (١/ ٤٠٥)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢/ ١٩٤).

سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه ونحن نصف الله بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف)[١]

وقد بوّب البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب التوحيد: باب (وكان الله سميعاً بصيراً)[٢].

قال ابن بطال: (غرضه فى هذا الباب أن يرد على من يقول: إن معنى سميع بصير معنى عليم لا غير؛ لأن كونه كذلك يوجب مساواته تعالى صفة من خالقه وجب كونه تعالى سميعاً بصيراً مفيداً أمراً زائداً على ما يفيده كونه عليما. ثم نرجع إلى ما تضمنه كونه سميعاً بصيراً، فنقول: هما متضمنتان لسمع وبصر بهما كان سميعاً بصيراً كما تضمن كونه عالماً علماً لأجله كان عالماً وكما أنه لاخلاف بين إثباته عالماً وبين إثباته ذا علم، فإن من نفى أحد الأمرين كمن نفى الآخر، وهذا مذهب أهل السنة والحق. ومعنى قول عائشة: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات). أدرك سمعه الأصوات، لا أنه اتسع سمعه لها؛ لأن الموصوف بالسعة يصح وصفه بالضيق بدلا منه والوصفان جميعاً من صفات الأجسام، وإذا استحال وصفه بما يؤدى إلى القول بكونه جسماً، وجب صرف قولها عن ظاهره إلى ما اقتضى صحته الدليل، ومعنى قوله ﷺ: «فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً». نفى الآفة المانعة من السمع، ونفى الجهل المانع من العلم وفي هذا القول منه ﷺ دليل على أنه لم يزل سميعاً بصيراً عالماً، ولا تصح أضداد هذه الصفات عليه)[٣].

---

(١) تهذيب اللغة، (٢/ ٧٤).

(٢) كتاب التوحيد، باب (٩).

(٣) شرح البخاري، (١٠/ ٤١٧).

قال ابن حجر رحمه الله عقب هذا الكلام: (وهذا قول أهل السُّنَّة قاطبة)[1].

واشتراك المخلوق مع الخالق سبحانه في هذا الاسم لايعني المشابهة، فإن صفات المخلوق تناسب ضعفه وعجزه وخلقه، وصفات الخالق عز وجل تليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى.

يقول أبو القاسم الأصبهاني موضحاً بعض الفروق بين سمع الله عز وجل وسمع المخلوق: (خُلق الإنسان صغيراً لا يسمع، فإنْ سمع لا يعقل ما يسمع، فإذا عَقَل ميَّزَ بين المسموعات فأجاب عن الألفاظ بما يستحق، وميَّز الكلام المستحسن من المستقبح، ثم كان لسمعه مَدى إذا جاوزه لم يسمع، ثم إنْ كلَّمه جماعة في وقتٍ واحد عَجَزَ عن استماع كلامهم، وعن إدراك جوابهم. والله عز وجل السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم مع اختلافِ ألسنتهم ولُغَاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجزُ القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيُعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه السمع بالموت، والله تعالى لم يزل ولا يزال، يُفني الخلق ويرثهم فإذا لم يبق أحدٌ قال: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾[غافر: ١٦]، فلا يكون من يرد! فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦].

وجاءت صفة السمع لله في دعاء نبي الله زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[آل عمران: ٣٨].

وهي من الصفات العقلية الذاتية، وسمعهُ تعالى ليس كسمع خلقه بل هو على الوجه اللائق له تعالى، فهو تعالى يسمع كل شيء ولا يخفى عنه من أقوال خلقه شيء.

---

(١) فتح الباري، (١٣/ ٣٧٣).

ولعلم الأنبياء بصفاته سبحانه أيقنوا أنه يسمع دعاءَهم وإن كان خفياً: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[مريم: ٢ ـ ٣].

وأثر هذه الصفة يظهر في أمره تعالى لنبيه ﷺ بالدعاء في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٢٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٢٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة: ١٠٣].

فإحساس سيدنا زكريا عليه السلام بأن الله تعالى يسمع دعاءه وان كان خفياً دلالة على فهمه لهذه الصفة العظيمة التي تدل على توحيده لله تعالى من خلالها. وإثبات صفة السميع له تعالى ودعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن استجاب الله تعالى له ووهبه الذرية الصالحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[إبراهيم: ٣٩]. والمراد بالسمع هنا: سمع الدعاء والاستجابة والقبول، وسمع الرب تعالى له: إثابته على الثناء وإجابته للطلب(١).

٧ ـ اسم الله الحكيم وصفة الحكمة:

الحكم والحكيم: هما بمعنى الحاكم، وهو القاضي، فهو فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحكم الأشياء ويُتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل.

وقيل: (الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم والحكيم يجوز أن يكون

---

(١) ينظر: التفسير القيم، صحيفة (٧٩).

بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم)[١].

وفي الاصطلاح: عبارة عن معرفة أفضل المعلومات وأفضل العلوم ولما كان علم الله تعالى أزلياً دائماً لا يلحقه عدم وأنه عز وجل أصل العلوم كلها، فهو الحكيم الحق[٢].

وورد اسمه سبحانه: (الحكيم) في القرآن في واحد وتسعين موضعاً. وفي جميع المواضع يرد هذا الاسم الكريم مقترناً باسم آخر من أسمائه الحسنى، وقد جاء هذان الاسمان في قوله تعالى في دعاء سيدنا إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٩].

أي: (الحكيم الذي لا يصدر منه الشيء إلا بحكمة بالغة)[٣]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨].

قال ابن القيم رحمه الله: (أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك لست كمن يغفر عجزا ويسامح جهلا بقدر الحق بل أنت عليم بحقك قادر على استيفائه حكيم في الأخذ به)[٤].

فنبي الله عيسى عليه السلام سأل ربه باسمين عظيمين هما (العزيز الحكيم) وهما أولى من الغفور الرحيم؛ لأن كونه غفورا رحيما يشبه الحالة الموجبة للمغفرة

---

(١) لسان العرب، مادة (حكم)، (١٢/ ١٤٠)، تاج العروس، (٣١/ ٥٢١).

(٢) ينظر: المقصد الأسنى، صحيفة (١٢٠).

(٣) تفسير الشعراوي، (١/ ٩٥٠).

(٤) مدارج السالكين، (١/ ٤١٩).

والرحمة لكل محتاج، وأما العزة والحكمة فهما لا يوجبان المغفرة، فإن كونه عزيزا يقتضي أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه لا اعتراض عليه لأحد فإذا كان عزيزا متعاليا عن جميع جهات الاستحقاق، ثم حكم بالمغفرة كان الكرم هاهنا أتم مما إذا كان كونه غفورا رحيما يوجب المغفرة والرحمة، ...عز عن الكل. ثم حكم بالرحمة فكان هذا أكمل. وقال قوم آخرون: إنه لو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم، أشعر ذلك بكونه شفيعا لهم، فلما قال: فإنك أنت العزيز الحكيم دل ذلك على أن غرضه تفويض الأمر بالكلية إلى الله تعالى، وترك التعرض لهذا الباب من جميع الوجوه[١].

وفي البخاري ومسلم من حديث ابن عباس مرفوعاً، قال النبي ﷺ: (إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤]. وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقول إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨])[٢]. (فالحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له)[٣].

---

(١) روح المعاني، (٤/ ٦٦) وينظر: مفاتيح الغيب، (١٢/ ٤٦٨).

(٢) صحيح البخاري، (٣١٧١)، ومسلم، (٤/ ٢١٩٤) (٢٨٦٠) وغيرهما.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي=

وفي قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الممتحنة: ٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[يوسف: ٨٣].

فهو (العالم بحقائق الأمور الحكيم فيها على الوجه المطابق للفضل والإحسان والرحمة والمصلحة)(١).

أما عن صفة الحكمة فهي مشتقة من اسمه الحكيم جل جلاله، وقد جاءت هـذه الصفة ثابتة في الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وغيرها من الآيات، ولم ترد في أدعية الأنبياء بلفظها وان وردت بمعناها كما في دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يريه كيفية إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٠]. (فهو عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدرته)(٢).

٨ ـ اسم الله الشهيد وصفة الشهادة:

جاءت صفة الشهادة في دعاء عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ

= (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، (١/ ٢٥٢).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (١٨/ ٤٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (١/ ٦٩٠).

إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[المائدة: ١١٧].

والشهيد لغة: قال في اللسان: (وقال ابن سيده: الشاهد العالم الذي يبين ما علمه)[(١)].

قال الزجاج: (الشهيد الحاضر يقال شهدت الشيء وشهدت به وأصل قولهم شهدت به من الشهادة التي هي الحضور)[(٢)].

وفي الاصطلاح قال البيهقي: (هو الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو العالم الرائي فيرجع معناه إلى صفة العلم وصفة الرؤية)[(٣)].

وقال الشيخ السعدي: (المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه)[(٤)].

وصفة الشهادة هي من الصفات العقلية الذاتية وقد كان لفقه الأنبياء واستيعابهم لهذه الصفة أثرٌ في دعائهم، كما جاء في تضرع ومناجاة عيسى عليه السلام فهو يتبرأ إلى الله تعالى مما نسب إليه والى أمه فيقول: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[المائدة: ١١٧].

---

(١) لسان العرب، (٤/ ٢٣٤٨).

(٢) تفسير اسماء الله الحسنى، صحيفة (٥٣).

(٣) الاعتقاد، صحيفة (٦١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، (٥/ ٣٠٣).

٩ ـ اسم الله القدير وصفة القدرة:

هذه الصفة من الصفات الفعلية الذاتية. وهي مشتقة من أسمائه تعالى (القادر والقدير والمقتدر)، وفيها دلالة على قدرة الله تعالى على خلقه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[الأنعام: ٦٥]، وجاء في دلالة هذه الصفة في دعاء الأنبياء في دعاء سيدنا محمد ﷺ بعد أن أمره الله تعالى بتمجيد الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦].

(أي القادر على القدرة، فقدرة الخلق على كل ما يقدرون ليست إلا بأقدار الله تعالى فهو الذي يقدر كل قادر على مقدوره)[1]. وكذلك قوله تعالى في دعاء النبي ﷺ والمؤمنون معه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم: ٨].

توّسلٌ بصفة القدرة لله تعالى لقبول الدعاء. فالقدرة صفة مستلزمه لتحقيق الدعاء كونها صفة (بها الإيجاد والإعدام)[2].

ويظهر أثر هذه الصفة جلياً في دعاء نبي الله زكريا عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[مريم: ٨]، فطلب منحه الذرية، مع أن الظروف غير مناسبة للإنجاب، إلا

---

(١) مفاتيح الغيب، (٨/ ١٨٦).

(٢) رسالة التوحيد، محمد عبده، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، دار الكتاب العربي، (١/ ٢٢).

أن يقين نبي الله بقدرة ربه ساقه للتوجه بالدعاء: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم: ٤].

وعلم نبي الله موسى عليه السلام بقدرة الله تعالى حثه على الدعاء فقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[الأعراف: ١٥٥].

أما صفتة تعالى القادر أو القدير أو المقتدر فهي ثابتة له جل جلاله في الكتاب والسنة، وإن لم ترد في دعاء الأنبياء، ولكنه يستفاد أيضاً ههنا من اشتقاقه من صفة القدرة.

١٠ ـ اسم الله النصير وصفة النصرة:

النصير في اللغة: النون والصاد والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إتيان خَيرٍ وإيتائه. ونَصَر اللهُ المسلمين: آتاهمُ الظّفرَ على عدوِّهم، ينصرهم نَصْراً. وانتصر: انتقم، وهو منه[(١)].

وفي الاصطلاح: عرفه الحليمي: (هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله)[(٢)].

فالنصير الذي ينصر المستضعفين ويرفع الظلم عن المظلومين ويجير المضطر إذا دعاه.

واسم الله النصير هو احد أسماء الله الحسنى، سمي الله تعالى به نفسه، فقال: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٥/ ٤٣٥).

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ١١٧).

ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[الحج: ٧٨].

وسماه به رسوله ﷺ ومنه قوله ﷺ: «اللهمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ»(١).

وقد دعا نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ـ ومن معه ـ ربهم بصفته النصير، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٥٠].

ودعا به نبينا الكريم محمد ﷺ ـ ومن معه ـ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦]، فالله ناصر من ينصره وكفى به قديراً، وكفى به بصيرا، وكفى به عليما خبيراً، وكفى به هادياً ونصيراً.

والنصير سبحانه هو الذي ينصر رسله وأنبياءه، وينصر أولياءه على أعدائهم في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وهو الذي ينصر المستضعفين ويرفع الظلم عن المظلومين، ويجير المضطر إذا دعاه، وهو حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، يؤيد بنصره من يشاء، ولا غالب لمن نصره ولا ناصر لمن خذله، فمن تولاه وتولى شرعه واستنصر به، وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه تولاه وحفظه وصانه وحرسه، ومن خافه واتقاه آمنه مما يخاف ويحذر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه وأكثر(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، (٣/ ١٨٤)، والترمذي، (٣٦٥٤) وغيرهما. قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

(٢) ينظر: التفسير القيم، (١/ ٦٤٧).

ومن الدعاء باسمه النصير ما ورد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾[الأعراف: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٧].

ومنه أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعاء والتوسل بصفاته، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾[الإسراء: ٨٠].

وكذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: وهو يطلب من الله تعالى أن ينتصر لدينه بعد أن كذبه قومه فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾[القمر: ١٠]. أنت لدينك[١]. ودعاء الأنبياء بطلب النصر دليل على قدرة الله تعالى وافراده بالقوة والعظمة.

وفي موضع آخر يسأل نبي الله لوط ربه بأن ينصره على القوم المفسدين بإنزال العذاب عليهم لارتكابهم الفواحش: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

فهذه الأدعية أثبتت بوضوح صفة نصرة الله تعالى لعباده المؤمنين، وأن النصر من الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[آل عمران: ١٢٦].

وللنصرة الربانية شرط رئيس ذكره رب العزة وهو نصرة العبد لربه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد: ٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٤٧٦).

١١ ـ اسم الله الغفور وصفة المغفرة:

الغفر في اللغة معناه: التغطية والسَّتْر[١].

والغفور الغفار، جل ثناؤه، وهما من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. يقال: اللهم اغفر لنا مغفرة وغفرا وغفرانا، وإنك أنت الغفور الغفار يا أهل المغفرة.

وفي الاصطلاح: الغفور: (تام المغفرة والغفران حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة)[٢].

وجاء هذا الاسم الكريم مقترناً باسمه تعالى الرحيم كثيراً إذ أقترن هذان الاسمان في دعاء سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[القصص: ١٦]. فنرى في تناسب هذين الاسمين أن الآيات أقصى درجات التي جمعت بين الغفور والرحيم سبقت معظمها بالاستغفار والمغفرة وما يدل على ذلك.

ففي الصحيحين عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي؛ فقال ﷺ: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عِندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[٣]. وصفة المغفرة من صفات الذات العقلية.

وجاءت هذه الصفة في دعاء النبي ﷺ والمؤمنين: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ

---

(١) لسان العرب، مادة (غفر)، (٥/ ٢٥)، معجم مقاييس اللغة، مادة (غفر)، (٤/ ٣٨٥).

(٢) المقصد الأسنى، صحيفة (١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٩٥)، ومسلم ٤/ ٢٠٧٨ (٢٧٠٥).

إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥].

١٢ ـ اسم الله الرحيم وصفة الرحمة:

المعنى اللغوي لـ (الرحيم): (الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة)(١). وهو مشتق من الرحمة.

وفي الاصطلاح: (الرحمن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب)(٢).

وجاء اسم الله تعالى ـ الرحيم ـ مقترناً باسم الله تعالى الرحمن والتواب والغفور والعزيز، وقد جاء في دعاء النبي موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[القصص: ١٦]، وأما عن اسم الله تعالى (الرحمن) فقد اختص هذا الاسم بالله تعالى، فلا يسمى احدٌ أو يوصف بهذا الاسم غير الله تعالى.

قال ابن كثير: (والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم (الله)، (الرحمن)، (الخالق)، (الرازق) ونحو ذلك؛ ولهذا بدأ باسم الله الموصوف (بالرحمن) لأنه أخص وأعرف من (الرحيم)؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء؛ فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص)(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (رحم)، (٢/ ٤٩٨)

(٢) تفسير القرآن العظيم، (١/ ١٢٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (١/ ١٢٦)، وينظر ولله الأسماء الحسنى، عبدالعزيز الجليل، (١/ ٩١).

وعلى هذا اجماع العلماء[(١)].

(فالرحمن اسمٌ خاص لله تعالى في التسمية، لكنه عام في الفعل)[(٢)].

ورد هذا الاسم في خمسة وأربعين موضعا من القرآن، اقترن في ستة منها فقط باسمه الرحيم، ولم يقترن بغيره، منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٦٣]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[الحشر: ٢٢].

أما بقية المواضع فقد ورد الاسم منفردا دون اقتران كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] ومواضع اخرى.

وقد ورد في السنة اسم الله الرحمن، واسمه الرحيم، مرة مفردة ومرة مجتمعة، فمن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في نفر من قريش وكانوا تجاراً بالشام فأتوه فذكر الحديث قال ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرئ فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد»[(٣)].

وقد جاء دعاء النبي ﷺ باسم الله الرحمن في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

---

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، صحيفة (٤٠)، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (١/ ٦٢).

(٢) لوامع البيانات، الرازي، صحيفة (١٧٦).

(٣) أخرجه البخاري، (٥٩٠٥)، ومسلم، (٥/ ١٦٣) (٤٧٠٧).

يقول الدكتور محمود الرضواني: (والاسم دل على صفة من صفات الفعل؛ لأن الرحمة التي تضمنها تتعلق بمشيئته، كما أن بقاء المخلوقات في الدنيا على معنى الابتلاء صادر عنها وعن مقتضى حكمته، ولو شاء الله بقدرته وعزته لأذهب هذا الخلق وأوجد خلقاً جديداً، لكن الرحمة العامة لحقت الناس أجمعين، فبها خلقهم ورزقهم وجعلهم ينعمون وهم في الدنيا مخيرون مبتلون، وكل ذلك إلى حين، ومن ثم فإن الرحمن اسم يدل على صفة الرحمة، ورحمة الله للخلائق عامة من وجه، وخاصة من وجه آخر، بحسب الوقت المناسب لكل موجود في الكون وعلته، وإظهار حكمة الله في أدائه لغايته)[1].

أما صفة الرحمة فهي مشتقة من اسمي الله ـ الرحمن الرحيم ـ[2]، وهي صفة عامة تطلق على المكلف وغير المكلف، فالرحمة أوسع من المغفرة[3].

وجاءت هذه الصفة في دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام كثيراً: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[إبراهيم: ٣٦].

وفي دعاء نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٥].

---

(١) أسماء الله الحسنى، الرضواني، (١/ ٣٥٥).

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ١٣٧)، والصفات الإلهية، صحيفة (١٧).

(٣) ينظر: روح المعاني، (٨/ ٢٨٨).

وفي دعاء نبينا محمد ﷺ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦]. وهنا جاءت صفة الرحمة ذات مدلول. (فهو الذي أرسل رسوله رحمة للعالمين وهو الكفيل بأن يرحم رسوله ويعينه على ما يصفون)(١).

١٣ ـ اسم الله العزيز وصفة العزة:

(العزُّ) في الأصل: القوة والشدة والغلبة، والعز والعزة: الرفعة والامتناع، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾[المنافقون: ٨]، أي: وله العزة والغلبة، ورجل عزيز: منيع لا يغلب ولا يقهر(٢).

وفي الاصطلاح: قيل فيه أنه (المنيع الذي لا يغلب)(٣). وهو الذي (لايوصل إليه، ولا يمكن إدخال مكروه عليه)(٤). وهو (الخطير الذي يقل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه)(٥). ويطلق اسم (العزيز) في حق غير الله لمن اتصف بشيء من المعاني التي ذكرها أهل اللغة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾[يوسف: ٥١].

---

(١) تفسير في ظلال القران، (٤/ ٢٤٠٣).

(٢) مقاييس اللغة، مادة (عز)، (٤/ ٣٨)، وينظر: لسان العرب، (٤/ ٢٩٢٥ ـ ٢٩٢٧)، والنهاية، (٣/ ٢٢٨).

(٣) شأن الدعاء، صحيفة (٤٧).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان، (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

(٥) المقصد الأسنى، صحيفة (٧٣).

وجاء اسم الله العزيز مقترناً بغيره من الأسماء الحسنى كالجبار والغفور والحميد والقوي والغفار والوهاب. وقد جاء اسم العزيز مقترناً بالحكيم في كثير من المواضع منها قوله تعالى في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٩]،أي: (العزيز) الذي لا يغلب لجبروته ولا يسأله أحد و(الحكيم) الذي لا يصدر منه الشيء إلا بحكمة بالغة[١]. وفي قوله تعالى في موضع آخر: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. وفي موضع آخر في دعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الممتحنة: ٥].

فوصفه تعالى بالعزة يتضمن الغلبة والقدرة اللتين يحصل بهما الانتقام، فهي وعيد شديد لمن خالف وزل عن منهج الحق، وفي وصفه بالحكمة دلالة على إتقان أفعاله وأن ما يرتبه من الزواجر لمن خالف، إنما هو مقتضى الحكمة.

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ إذا تضور من الليل قال: «لا اله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»[٢].

والعزة من الصفات العقلية الذاتية وهي مشتقة من اسم الله تعالى ـ العزيز ـ، وجاءت في دعاء النبي محمد ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦].

---

(١) تفسير الشعراوي، (١/ ٥٩٠).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى، (١٠٧٠٠)، وابن حبان، (٥٥٣٠).

قال البيهقي: (العزة إن كانت بمعنى الشدة، وهي القوة فمعناها يرجع إلى صفة القدرة، وكذلك إن كانت بمعنى الغلبة فمعناها يعود إلى القدرة وإن كانت بمعنى نفاسة القدر فإنها ترجع إلى استحقاق الذات تلك العزة)[١].

١٤ ـ اسم الله الوكيل وصفة التوكل:

الوكيل في اللغة: (يدل على اعتماد غيرك في أمرك)[٢].

والوكيل على وزن فعيل بمعنى مفعول، أي: موكول[٣].

والوكيل في الاصطلاح: (انه الكفيل بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقة أنه الذي يستقل بالأمر الموكولِ إليه)[٤].

والوكيل: (هو الموكول والمفوض إليه)[٥].

وقيل: (هو الموكول إليه الأمور، دون توكيل أو تفويض بل هو الوكيل المطلق الذي يفي بالقيام بالأمور كلها وإتمامها)[٦].

وجاء اسم الوكيل معرفاً في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣].

وذهب الإمام الرازي إلى أن (الموكول لا بد من أن يكون موصوفاً بكمال

---

(١) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ٣٢٨).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (وكل)، (٦/ ١٣٦).

(٣) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، (١/ ٥٤)، إشتقاق أسماء الله الحسنى الزجاجي، صحيفة (١٣٦).

(٤) شأن الدعاء، صحيفة (٧٧).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، (١/ ٢٠٨).

(٦) المقصد الأسنى، صحيفة (١٢١ ـ ١٢٢).

العلم والقدرة، والرحمة والبراعة عن طلب النصيب، فإن حصلت هذه الصفات الأربع فحينئذٍ يُحسن توكيل المصالح وتفويضها إليه، وكمال هذه الصفات غير حاصل إلا لله سبحانه وتعالى فكان بحق وكيلاً)(١).

وأعظم التوكل على الله هو التوكل في الهداية، وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول، فهذا توكل الأنبياء وخاصة أتباعهم.

وعَلِمَ سيدنا إبراهيم عليه السلام أن وكيله غني كريم، وفيّ قادر فسأله وحده، وأعرض عمن سواه فدعاه متوكلاً عليه منيباً إليه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة: ٤].

فتوكل سيدنا إبراهيم عليه السلام هنا فيه تفويض الأمور إلى الله وقصر التوكل على الله(٢).

واسم الله الوكيل يدل على ذات الله وعلى صفة التدبير والتوكل بالخلائق كصفة فعل، واسم الله الوكيل يدل على صفة من صفات الأفعال(٣).

وهي من الصفات العقلية الفعلية، وهي في الأصل مشتقة من اسم الله الوكيل، هو (الكفيل بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقة أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه)(٤).

---

(١) لوامع البيانات، صحيفة (٢٩٧).

(٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (٥/ ٢١٢).

(٣) ينظر: المقصد الأسنى، صحيفة (١٢٩).

(٤) شأن الدعاء، صحيفة (٧٧)، والمنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، (١/ ٢٠٨).

١٥ ـ اسم الله تعالى الفاطر وصفة الفطر:

الفاطر في اللغة: فتح شيء وابرازه. فَطَرَ؛ أي: شَقَّ، والفَطْر: الابتداء والاختراع[(١)]، وتأتي بمعنى ابتداء الخلق، وقد يكون بمعنى الفاتق، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[الأنبياء: ٣٠][(٢)]، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الإسراء: ٥١]. وتأتي بمعنى الشق، والفتق، قال تعالى: ﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الأنعام: ٧٩]. أي: شقهما وفتقهما بعد أن كانتا رتقاً، وهو مبدعها ومبتدئها وخالقها[(٣)].

والفاطر في الاصطلاح: (من الفطر وهو الشق ويشبه أن يكون معناه الأحداث)[(٤)].

وقيل: (الفاطر هو الذي فطر الخلق أي استبدأ خلقهم): ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الإسراء: ٥١][(٥)].

وصفة الفَطْر (فطر السموات والأرض) هي من صفات أفعاله، وهذا ثابت بالكتاب والسنة، ومنه قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠].

وجاءت في السنة، ومنها: عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (فطر)، (٤/ ٥١٠).

(٢) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، (١/ ١٩٤)، النهج الأسمى، (٢/ ٣١٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث، (٣/ ٤٥٧).

(٤) مفاتيح الغيب، (١/ ١٢٧).

(٥) شأن الدعاء، الخطابي، صحيفة (١٠٣).

كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين»(١).

وجاءت هذه الصفة في دعاء إبراهيم عليه السلام بعد أن تبرأ من قومه ومن كل ما يشركون به فتوجه إلى ربه تعالى بالدعاء قائلاً: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩]أي: (أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومديرها)(٢). وها نحن نرى سيدنا يوسف عليه السلام يتوجه إلى ربه مفضياً إليه بالنعم التي أنعمها الله تعالى عليه شاكراً لربه، متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى بقوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الأنعام: ١٤]، أي: (الخالق المنشئ والمخترع والمبدع)(٣).

وكان النبي ﷺ، يُعظم ربه بهذا الاسم ويدعوه به امتثالاً، لأمر ربه كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الزمر: ٤٦].

فهو سبحانه الذي فطر عباده على التوحيد والإيمان، ووضع في قلوبهم وعقولهم حسن الدين واستقباح غيره(٤) وكونه تعالى فاطراً إشارة إلى صفة القدرة(٥).

---

(١) صحيح مسلم، (١/ ٥٣٤) (٧٧١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٢٩٢).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣/ ٥٧).

(٤) ينظر: موسوعة فقه القلوب في ضوء القران والسنة، محمد بن ابراهيم بن عبد الله التويجري، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٢م ـ ٢٠١١هـ، (١/ ٢٩٨).

(٥) ينظر: تفسير اللباب، (٨/ ٨).

١٦ ـ اسم الله العَفُوّ وصفة الْعَفْوُ:

وهي (صفةٌ فعليَّةٌ لله عَزَّ وجلَّ ثابتةٌ له بالكتاب والسنة، ومعناها الصفح عن الذنوب، و(العَفُوُّ) اسم لله تعالى)[١].

ومنه اسمه تعالى العفو، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[الحج: ٦٠].

المعنى اللغوي: (العفوُّ): (وهو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس وهو من أبنية المبالغة، وكل من استحق العقوبة فتركتها فقد عفوت عنه... مأخوذ من قولهم عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها)[٢].

وفي الاصطلاح: قال الخطابي رحمه الله تعالى: (العفُوُّ) وزنه فعول من العفو، وهو بناء المبالغة، والعفو: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء، وقيل: إن العفو مأخوذ من عفت الريح الأثر إذا درسته، فكأن العافي عن الذنب يمحوه بصفحه عنه[٣].

فمعنى العفو: أنه الواضع عن عباده تبعات آثامهم وخطاياهم، فلا يستوفيها منهم، متى تابوا واستغفروا، أو تركوا لوجهه أعظم ما فعلوا ليكفر عنهم ما فعلوا بما تركوا، أو بشفاعة من يشفع لهم من الشفعاء، أو يجعل ذلك كرامة لذي حرمة

(١) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الدرر السنية، دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٦هـ، صحيفة (١٦٦).

(٢) لسان العرب، مادة (عفا)، (٤/ ٣٠١٩).

(٣) شأن الدعاء، صحيفة (٩٠ ـ ٩١)، وينظر: الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ١٤٩).

لهم به وجزاء له بعمله فيعفو عنهم[١].

قال الراغب: (العفو: القصد لتناول الشيء، يقال عفاه واعتفاه أي: قصده متناولاً ما عنده، وعفت الريح الدار قصدتها متناولة آثارها... وعفوت عنه قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه. فالمفعول في الحقيقة متروك وعن متعلق بمضمر. فالعفو: هو التجافي عن الذنب)[٢].

وقال الإمام الرازي: العفو في حق الله تعالى هو إزالة آثار الذنوب بالكلية، فيمدها من ديوان الكرام الكاتبين، ولا يطالبه بها يوم القيامة، وينسيها من قلوبهم كيلا يخجلوا عند تذكرها[٣].

فالعَفُوُّ: الذي له العفو الشامل الذي يسع ما يصدر من عباده من الذنوب؛ ولاسيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فالله سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن عباده المذنبين ويعفو عن السيئات، وهو عفوّ كريم يحبُّ العفو، ويحبُّ من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه؛ من السعي في مرضاته والإحسان إلى خلقه، ومهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جُرْمِه؛ وهذا من كمالات عفوه جل جلاله.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣][٤].

---

(١) ينظر: الأسماء والصفات، للبيهقي، (١/ ١٤٩).

(٢) المفردات، صحيفة (٣٣٩).

(٣) ينظر: لوامع البيانات، صحيفة (٣٤٠).

(٤) ينظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، صحيفة (٣٧٦)، وتفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، صحيفة (٢١٨). الحق الواضح المبين للشيخ السعدي، صحيفة (٥٦).

وقوله ﷺ: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي...»[١]. فصفة العفو جاءت صريحة في دعاء الأنبياء ويشتق منها اسم الله العفو، وهو ثابت بالكتاب والسنة[٢].

١٧ ـ اسم الله الوارث وصفة الوراثة:

وردت هذه الصفة في دعاء زكريا عليه السلام لما قال: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[الأنبياء: ٨٩].

وهي مشتقة من اسم الله تعالى الوارث.

والوارث في اللغة: اسم فاعل للموصوف بالوراثة من غيره، يقال: ورث فلان أباه يرثه وراثة وميراثا، وورث الرجل ولده مالا أي أشركه في ماله، والوراثة في حقنا انتقال المال أو الملك من المتقدم إلى المتأخر، ومنه وارث مال الميت الذي يملك تركته، ووارث الملك يرث سلطانه[٣].

قال ابن منظور: (الوارث صفة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أي يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له)[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥)، بتمامه من حديث ابن عمر رضي الله عنه وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

(٢) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ١٤٨).

(٣) ينظر: لسان العرب، (٢/ ١٩٩)، وكتاب العين، (٨/ ٢٣٤).

(٤) لسان العرب، مادة (ورث)، (٢/ ١٩٩).

وفي الاصطلاح: الوارث هو الباقي بعد فناء الخلق[١].

ويقول الخطابي رحمه الله: (الوارث) هو: الباقي بعد فناء الخلق والمسترد أملاكهم وموارثهم بعد موتهم، ولم يزل الله باقياً مالكاً لأصول الأشياء كلها يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من أحب)[٢].

فالوارث: هو من ترجع إليه الأملاك بعد فناء المُلاك فهو الباقي بعد فناء الخلق وإليه مرجع كل شيء ومصيره[٣].

قال البيهقي: (الباقي بعد ذهاب غيره، وربنا جل ثناؤه متصف بهذه الصفة؛ لأنه يبقى بعد ذهاب الملاك الذين أمتعهم في هذه الدنيا بما آتاهم، لأن وجودهم ووجود الأملاك كان به، ووجوده ليس بغيره)[٤].

وقد ورد اسم الله الوارث في القرآن على سبيل الإطلاق والتعظيم معرفا مرادا به العلمية ودالا على كمال الوصفية[٥]، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ٤٧)، والمواقف، (٣/ ٣١٢)، وصفات الله، السقاف، صحيفة (٣٢٩).

(٢) شأن الدعاء، صحيفة (٩٦ ـ ٩٧).

(٣) ينظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي، صحيفة (١٧٣)، شأن الدعاء، صحيفة (٩٦)، المقصد الأسنى، للغزالي، صحيفة (١٤٨)، لوامع البيانات، الرازي، صحيفة (٣٥١).

(٤) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ٤٧).

(٥) ينظر: أسماء الله الحسنى، الرضواني، (٣/ ١٢٦).

ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[القصص: ٥٨]، وقال: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[الحجر: ٢٣].

(ويدل اسم الله الوارث على ذات الله تعالى، وعلى صفة البقاء المطلق بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمين وعلى صفة البقاء وحدها بدلالة التضمين، ويـدل باللزوم على الحياة والقيومية، والقوة والأحدية، وكل ما يلزم لمعنى البقاء ويترتب عليه)(١).

١٨ ـ اسم الله المنعم وصفة الإنعام:

في اللغة: (النون والعين والميم، راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفٍ وطيب عيش وصلاح. ومنه النعمة: وهو ما ينعم الله تعالى على عبده من مال وعيش. يقال لله عليه نعمة)(٢).

وفي الاصطلاح قيل: المفضل(٣).

وقد ثبتت هذه الصفة في دعاء نبي الله سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

وفي دعاء نبي الله موسى عليه السلام لما قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[القصص: ١٧].

أما اسم الله المنعم فلم يثبت بحديث صحيح، وإنما روي في تسمية المنعم

---

(١) ينظر: أسماء الله الحسنى، الرضواني، (٣/ ١٢٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (نعم)، (٥/ ٤٤٦).

(٣) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ٢٣١)

حديث منقطع[١]، أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن بعض أشياخه أنه قال: «كان ﷺ إذا أتاه الأمر مما يعجبه قال: الحمد لله المنعم المفضل الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا الأمر أتاه مما يكرهه قال: الحمد لله على كل حال»[٢].

قال صاحب الفروق: (والإنعام لايكون إلا من المنعم على غيره لأنه متضمن بالشكر الذي يوجب وجوب الدين، ويجوز إحسان الإنسان إلى نفسه تقول لمن يتعلم العلم أنه يحسن إلى نفسه ولا تقول منعم على نفسه، والإحسان متضمن بالحمد ويجوز الحامد لنفسه، والنعمة متضمنة بالشكر ولا يجوز شكر الشاكر لنفسه لانه يجري مجرى الدين ولا يجوز أن يؤدي الإنسان الدين إلى نفسه، والحمد يقتضي تبقية الإحسان إذا كان للغير، والشكر يقتضي تبقية النعمة)[٣].

١٩ ـ اسم الله الفتاح وصفة الفتح:

وردت هذه الصفة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ١١٨].

---

(١) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ٢١٣).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ٢٣١)، وقد أخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (٢٩٥٥٤)، وأبو داود في كتابه المراسيل برقم (٥٣٢)، وقال: (روي متصلا وفيه أحاديث ضعاف ولا يصح). وينظر الأسنى، الغزالي، صحيفة (٥١٠).

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (١/ ١٩٣).

وورد اسمه تعالى الفتاح في القرآن مفرداً مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[سبأ: ٢٦].

المعنى اللغوي: الفتح: نقيض الإغلاق، والفتح: النصر، والاستفتاح: طلب النصر(١).

وقيل: الفتح: أن تحكم بين قوم يختصمون إليك كما قال سبحانه مخبراً عن شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، أي: اقض بيننا، والفُتاحة والفِتاحة: أن تحكم بين خصمين(٢).

وقال الراغب: (الفتح إزالة الإغلاق والإشكال وذلك ضربان:

أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾ [يوسف: ٦٥].

والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، وذلك على ضروب:

أحدها: في الأمور الدنيوية كغمٍ يُفرج، وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه، كقوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[الأعراف: ٩٦].

والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم باباً

---

(١) ينظر: لسان العرب، (٢/ ١٥٣٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (فتح)، (٤/ ٤٦٩)، وتفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، (١/ ٣٩). الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر القاسمي الأنباري، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، (١/ ٨٧). اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، صحيفة (١٨٩)، المخصص، (٣/ ٣٨١).

مغلقاً وفتح القضية فتاحاً فصل الأمر فيها، وإزالة الإغلاق عنها)[١].

وفي الاصطلاح:

قال الخطابي رحمه الله: (الفتّاح) هو الحاكم بين عباده. وقد يكون معنى (الفتاح) أيضاً الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم، ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم، ليبصروا الحق، ويكون الفاتح أيضاً بمعنى الناصر)[٢].

وقال البيهقي: (الفتاح الذي يفتح المنغلق على عباده من أمورهم دينا ودنيا ويكون بمعنى الناصر)[٣].

وقال الغزالي: (الذي بعنايته ينفتح كل منغلق، وبهدايته يكشف كل مشكل)[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله:

وكذلك الفتاح من أسمائه ... والفتح في أوصافه أمران

فتح بحكم وهو شرع إلهنا ... والفتح بالأقدار فتح ثان

والرب فتاح بذين كليهما ... عدلا وإحسانا من الرحمن[٥]

---

(١) المفردات للراغب، الأصفهاني، صحيفة (٣٧٠).

(٢) شأن الدعاء، صحيفة (٥٦).

(٣) الاعتقاد، صحيفة (٥٧).

(٤) المقصد الأسنى، صحيفة (٨٦).

(٥) القصيدة النونية، (٢/ ١٠٠).

ونخلص من الأقوال السابقة إلى أن اسم (الفتاح) يشمل المعاني الآتية[١]:

١ ـ الحاكم الذي يقضي بين عباده بالحق والعدل بأحكامه الشرعية والقدرية الجزائية.

٢ ـ الذي يفتح لعباده أبواب الرحمة والرزق وما انغلق عليهم من الأمور.

٣ ـ أنه بمعنى الناصر لعباده المؤمنين وللمظلوم على الظالم.

واسم الله الفتاح يدل على صفة من صفات الأفعال[٢].

٢٠ ـ اسم الله المنجي وصفة الأنجاء:

جاءت في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[يونس: ٩٢].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[العنكبوت: ٣٢].

وهي في اللغة مشتقة من الـ (نجا) والنجاء: الخلاص من الشيء نجا ينجو نجوا ونجاء ممدود، ونجاة مقصور، ونجى واستنجى كنجا... ونجوت من كذا، والصدق منجاة أنجيت غيري، ونجّيته، ونجّاه الله وأنجاه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٨].

وفي الاصطلاح: (النجاة خلاص من ضر واقع أو متوقع)[٣].

---

(١) الأسماء الحسنى، الشيخ عبد العزيز الجليل، (١/ ٤١٥).

(٢) ينظر: صفات الله، السقاف، صحيفة (١٧٧).

(٣) التحرير والتنوير، (٢٣/ ١٣٠).

وقال ابن عادل الحنبلي: (أُطلق الإنْجاء على كل فَائِزٍ وخارج من ضِيْقٍ إلى سَعَةٍ، وإن لم يُلْقِ على نَجْوَةٍ)[١].

قال ابن الجوزي: (النجاة والخلاص والسلامة متقارب يقال: نجيت فلانا أنجيه إذا خلصته من شر وقع فيه. وفلان نجي فلان ومناجيه. والجمع: أنجية. وأنتجيت فلانا: اختصصته بمناجاتي. وذكر بعض المفسرين أن النجاة في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: الخلاص من الضرر. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[إبراهيم: ٦].

والثاني: السلامة من الهلاك. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾[الشعراء: ٦٥].

والثالث: الارتفاع. ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ﴾[يونس: ٩٢]أي: نرفعك على أعلى البحر.

والرابع: التوحيد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[غافر: ٤١].

وقد جاءت هذه الصفة في دعاء نبي الله نوح عليه السلام: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ١١٨].

---

(١) تفسير اللباب، (٢/ ٥٣).

ولم أقف على من ذكر من أهل العلم أن لله اسماً مشتقاً من هذه الصفة (المنجي)، والله أعلم).

٢١ ـ اسم الله الباعث وصفة البعث:

الباعث في اللغة: (الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة)[١]. والباعث: اسم الفاعل من البعث وهو الإرسال[٢].

والباعث هو من أسماء الله الحسنى، وذكر شرّاح الأسماء وجوهاً عده في شرح هذا الاسم منها:

١ ـ أنه تعالى يبعث الخلق يوم القيامة أحياءً من قبورهم للحساب والجزاء[٣].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[الحج: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[البقرة: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾[يس: ٥٢]. (ومن لم يعرف النشأة والبعث لم يعرف إسم الباعث)[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (بعث)، (١/ ٢٦٦).

(٢) ينظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، صحيفة (١٦٨).

(٣) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، (١/ ٥٣)، اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، صحيفة (١٦٨)، شأن الدعاء، صحيفة (٥٧)، والمنهاج في شعب الإيمان، (١/ ٢٠٧)، الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ٢٠٨).

(٤) المقصد الأسنى، صحيفة (١٢٥).

٢ ـ أنه تعالى باعث الرسل إلى الخلق[١]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾[يونس: ٧٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦].

٣ ـ إن الله تعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة، وذلك بخلق الإرادات والدواعي في قلوبهم[٢]. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وقوله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك»[٣]. فهو تعالى يبعث عباده عند العجز بالمعونة والإغاثة، وعند السقطة والذنب بقبول التوبة[٤].

ولم يرد في إثبات هذا الاسم حجة أو دليل من القرآن الكريم أو السنة النبوية، إلا أن ما ورد هو إثبات صفة الفعل لله تعالى، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾[المجادلة: ٦]، ويظهر اثر هذه الصفة في قوله تعالى على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام في دعائه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٩]. أي أرسل في الأمة المسلمة رسولاً من أنفسهم (ليكون أشفق عليهم، ويكونوا أعز به وأشرف، وأقرب

---

(١) ينظر لوامع الأنوار، صحيفة (٢٩٠).

(٢) ينظر: لوامع الأنوار، صحيفة (٢٩٠).

(٣) أخرجه مسلم، ٤/ ٢٠٤٥(٢٦٥٤).

(٤) ينظر: شأن الدعاء، صحيفة (٧٥). ولوامع البيانات، الرازي، صحيفة (٢٩٠).

للإجابة، لأنهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته)[١]، واسم الباعث من الأسماء التي انفردت بها السنة الشريفة.

٢٢ ـ اسم الله الحافظ وصفة الحفظ:

صفة الحفظ مشتقة من اسمه تعالى الحفيظ والحافظ في اللغة: (الحاء والفاء والظاء أصلٌ واحدٌ يدل على مراعاة الشيء. يقال حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظاً)[٢].

وفي الاصطلاح: الحافظ، والحفيظ: يحفظ السموات والأرض وما فيهما لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تدثر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[الصافات: ٧].

فالله تعالى هو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب ويقيه مصارع السوء، ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة، ولا تخفى عليه خافية، قال سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، أي: بأمره.

(ويحفظ تعالى أولياءه فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم عن مكايدة الشيطان، ليسلموا من شره وفتنته)[٣].

---

(١) تفسير روح المعاني، (٤/ ٣٩٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (حفظ)، (٢/ ٨٧).

(٣) ينظر: شأن الدعاء، صحيفة (٦٧ ـ ٦٨).

ومعناه راجع إلى اسم الله الحفيظ إلا أن الحافظ اسم فاعل[(١)]. وهو (الصائن عبده عن أسباب الهلكة في أمور دينه ودنياه: وجاء في القرآن الكريم: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾[النساء: ٣٤]. ومن حفظ فهو حافظ. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩])[(٢)].

والحفظ صفة مشتقة من اسم الله تعالى الحفيظ وهي من صفات الأفعال.

وعند البخاري من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ أن النَّبِى ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[(٣)].

(والله حفيظ وحافظ لمخلوقاته يبقيها على حالها لغاياتها، فهو تعالى يحفظ الذوات والصفات، ويحفظ أعمال المكلفين بالحسنات والسيئات، ويحفظ عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم، لتصبح شهودا على أصحابها يوم القيامة، وهو الحافظ لمن يشاءُ من الشَّرِّ والأذى والهَلَكَةِ والبلاء)[(٤)].

وجاءت هذه الصفة في دعاء سيدنا يعقوب في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ

---

(١) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، (١/ ٢٠٤)، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي، (١/ ٣٠٧)، والنهج الأسمى، (١/ ٣٣٩).

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري، (٦٩٥٨).

(٤) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، (١/ ١٠٨).

ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف: ٦٤].

وجاء الحفظ هنا بمعنى ضد التضييع، وهو حراسة ذات الشيء، وجميع صفاته وكمالاته من العدم[١].

فيعقوب عليه السلام قد فوض الأمر إلى الله، فهو خير من يحفظ يوسف وأخيه من المكائد والشدائد ومن كل مكروه. وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤]، أي: (الذي يحفظ عباده بالحفظ العام، فييسر لهم أقواتهم، ويقيهم أسباب الهلاك والعطب وكذلك يحفظ عليهم أعمالهم، ويحصي أقوالهم، ويحفظ أولياءه بالحفظ الخاص، فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم من مكايد الشيطان، وعن كل ما يضرُّهم في دينهم ودنياهم)[٢].

٢٣ ـ اسم الله البصير وصفة الإبصار:

وهي من صفات الذات، وهي مشتقة من اسمه تعالى البصير وفي اللغة: (الباء والصاد والراء، أصلان:

أحدهما: العلم بالشيء، يقال: هو بصير به.

وأما الأصل الآخر: فَبُصر الشيء: غِلظه)[٣].

---

(١) لوامع البيانات، صحيفة (٢٧٠).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس، الطبعة الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، (١/ ١١٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة (بصر) (١/ ٢٥٣).

والبصير في اللغة على أضرب:

١ ـ العليم بالشيء الخبير به: كقولهم: فلان بصيرٌ بالطب.

٢ ـ صيغة مبالغة بمعنى أن المبصرات لا تخفى عليه.

٣ ـ أن يكون بمعنى مبصر، وهو يحتمل معنيين:

أ ـ انه مبصرا للأشياء المبصرة مدركا لها.

ب ـ إنه جاعل الأشياء المبصرة ذوات إبصار، أي: مدركة للمبصرات بما خلق لها من الآلة المدركة لذلك والقوة [(١)].

المعنى الاصطلاحي:

البصير: (هو المبصر. ويقال البصير: العالم بخفيات الأمور)[(٢)].

وقيل: (معناه المدرك للأشخاص والألوان التي يدركها المخلوقين بأبصارهم من غير أن يكون له جارحة العين، وذلك راجع إلى أن ما ذكرناه لا يخفى عليه، وأن كان غير موصوفٍ بالحس المركب في العين. لا كالأعمى الذي لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن أهلا لأدراك شخصٍ أو لون)[(٣)].

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: البصير: (هو الذي يشاهد ويرى، حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى، وإبصاره أيضا منزه عن أن يكون بحدقة واجفان، ومقدسٌ أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته كما ينطبع في حدقة الإنسان. والبصر

---

(١) ينظر: اشتقاق اسماء الله، الزجاجي، صحيفة (٦٥ ـ ٦٧).

(٢) شأن الدعاء، صحيفة (٦٠ ـ ٦١).

(٣) المنهاج في شعب الايمان، الحليمي، (١/ ١٩٩).

في حقه عبارةٌ عن الصفة التي ينكشف بها كمال يفرق المبصرات وذلك أوضح وأجلى مما يُفهم من إدراكه البصر القاصر عن ظواهر المرئيات)[١].

وقد جاء اسمه تعالى البصير في القرآن الكريم في مواضع منها: قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء: ١].

وأخرج البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ في سَفَر، فكنا إذا عَلونا كبَّرنا، فقال النبيُّ ﷺ: «أيها الناس أربعوا على أنفُسِكم، فإنكم لا تَدْعونَ أصمَّ ولا غائباً، ولكنْ تدعون سميعاً بصيراً»[٢].

والبصير: هو الذي يبصر خائنة الأعين وما تخفى الصدور، الذي يرى الأشياء كلها ظهرت أو خفيت، دقت أو عظمت، وهو الذي يبصر جميع الموجودات في عالم الغيب والشهادة.

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة: ١]، فإذا علم العبد أن الله يراه احترز في عمله من معصية الله ومن كل ما يغضبه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة: ١٠٥]، وكما قال العبد الصالح مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ

---

(١) المقصد الأسنى، صحيفة (٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم ٤/ ٢٠٧٦ (٢٧٠٤).

مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[غافر: ٤١ ـ ٤٤]، ودعاء الله تعالى باسمه البصير دعاء عبادة يوجب علينا أن ننظر ونتفكر، ونعتبر ونتذكر، في خلق الله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[الغاشية: ١٧ ـ ٢١]، وكما أمرنا أن ننظر في خلق الله أمرنا أن نعتبر بفعل الله فيما مضى من الأمم الغابرة، فقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[الأنعام: ١١]. وجاءت صفة الإبصار في دعاء الأنبياء في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٥]. (إنك بصير بوجوه مصالحنا فأعطنا ما هو أصلح لنا وإنما قيد الدعاء بهذا إجلالاً لربه عن أن يتحكم عليه وتفويضاً للأمر بالكلية إليه)[١].

٢٤ ـ اسم الله الرزاق وصفة الرزق:

الرزاق في اللغة: الراء والزاء والقاف أُصَيْلٌ واحدٌ يدلُّ على عَطاءٍ لوَقت، ثم يُحمَل عليه غير الموقوت. الرِّزْق: عَطاء الله جلَّ ثناؤُه. ويقال رَزَقه الله رزْقاً، والاسم الرِّزْق[٢]. وهو إباحة الانتفاع بالشيء على وجه يحسن ذلك[٣]. وهو صيغة مبالغة.

(١) مفاتيح الغيب، (٢٢/ ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٣٨٨).

(٣) ينظر: الأسماء الحسنى، الزجاج، صحيفة (٣٨).

وفي الاصطلاح: قال الإمام الخطابي: (الرزاق: هو المتكفل بالرزق، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته، فلم يختص بذلك مؤمن دون كافر، ولا وليا دون عدو، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيلَ له ولا مكسب، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المِرةِ السوي)(١).

وقال الإمام الحليمي: (وهو الرزاق رزقاً بعد رزق، والمكثر الموسع له)(٢).

وجاء اسم الله الرزاق في القران الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٨]. وفي الحديث عَن جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لايَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ الله بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»(٣).

ورزق الله لعباده نوعان(٤):

الأول: رزق عام، شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين، ويشمل الإنسان والحيوان وهو رزق الأبدان، وقد قسم الله وتكفل برزق كل واحدٍ من هؤلاء قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هود: ٦]. فلتطمئن النفوس إلى من تكفل بأرزاقها، وأحاط علماً بذواتها وصفاتها وأسرارها فالرزق يطلبها أينما كانت كأجلها.

---

(١) شأن الدعاء، صحيفة (٥٤).

(٢) ينظر: المنهاج في شعب الايمان، الحليمي، (١/ ٢٠٣).

(٣) صحيح مسلم، ٥/ ٦ (٣٩٠٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٩٤٨).

والثاني: رزق خاص، رزقه الله من يشاء من عباده على يد رُسله وأنبيائه، وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان والتوحيد.

والرزق الحلال هو الذي يعين على صلاح الدين، وهو خاص بالمؤمنين، على مراتبهم منه، بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.

وصفة الله الرزاق ظهرت واضحة في دعاء الأنبياء، وهي من صفات الربوبية فالله تعالى هو الذي خلق الأرزاق، وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم.

وقد جاءت هذه الصفة في دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]. وكذا في قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧].

وفي قوله تعالى آمراً نبيه الكريم بالدعاء: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٧]، أي: (أنت وحدك الذي ترزق من تشاء أن ترزقه بغير حساب، رزقا واسعا عظيما لأنك أنت صاحب الجود والكرم، وليس معك شريك فيحاسبك، بل أنت المعطى بدون محاسب، وبدون محاسبة من تعطيه، وخزائن ملكك لا ينقصها العطاء مهما كثر)[1].

---

(١) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (١/ ٥٨٣).

وقد سأل عيسى عليه السلام ربه باسم من أسمائه الحسنى وهو الرزاق فقال: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤]، فأثبت أن لا رازق إلا الله ولا معطي إلا هو.

ولقد ظهر خلاف بين أهل السنة وجماعة من المعتزلة في معنى الرزق[(١)].

فالرزق عند أهل السنة ما انتفع به المرتَزِق. أما جماعة المعتزلة فالرزق عندهم: ما مُلك. وقام الخلاف في مسألة الحرام أيكون رزقا أم لا [(٢)].

فذهب أهل السنة، إلى اعتبار أن الحرام رزق، أما المعتزلة فالحرام عندهم لا يكون رزقا، وقد ذهب المعتزلة هذا المذهب لما يأتي[(٣)]:

١ ـ إن الرزق مضاف إلى الله تعالى، فلا رازق إلا هو، والرزق الحرام قبيح، ولا ينسب القبح إليه تعالى.

٢ ـ إن العبد يستحق العقاب والذم على أكله الحرام ورازق العبد هو الله

---

(١) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، أحمد بن محمد المالكي الصاوي (ت: ١٤٢١هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، صحيفة (٤٠٣)، شرح جوهرة التوحيد، للبيجوري، صحيفة (١٩١).

(٢) ينظر في هذه المسألة: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (١/ ٢٨٠)، والجامع لأحكام القرآن، (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨)، وشرح العقيدة السفارينية، صحيفة (١٥٦)، وشرح الصاوي على جوهرة التوحيد، الصاوي، صحيفة (٤٠٤)، تحفة المريد، البيجوري، صحيفة (١٩١ ـ ١٩٢).

(٣) أسماء الله الحسنى وأثرها في سلوك الإنسان، طالب محمود أبو سنينه دار المحبة، دمشق ودار آية بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٥م، صحيفة (٢٢٠).

تعالى، وعليه فلو كان الحرام رزقا لما استحق مرتكبه العقاب والذم، لأنه مستند إلى الله تعالى.

٣ ـ أما علماء السنة فقالوا: إنّ مما يدل على أنّ الرزق يكون حراما، إجماع المسلمين على جواز التضرع إلى الله والابتهال إليه بأن يرزقهم الحلال من الرزق، فهذا يدل على أن الحرام رزق أيضاً، وإلا لما سألوا الله تعالى أن يملكهم الحلال[١].

والراجح والله اعلم أن الرزق من الله تعالى ولكن الطريق التي يسعي بها الإنسان لهذا الرزق هي التي تحدد، فأن كان طريق السعي حلالا، كتب الرزق حلالاً، وان كان طريق السعي حراماً كتب الرزق حراماً. والله اعلم.

٢٥ ـ اسم الله الـمُسْتَعَانُ وصفة الاستعانة:

يوصف الله عَزَّ وجَلَّ بأنه المستعان، الذي يستعين به عباده فيعينهم، وهذا ثابت بالكتاب والسُّنَّة[٢]. ودليله من القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: ١٨].

ومن السنة ما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: «اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٣].

---

(١) الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى، (١/ ٢٨٠).

(٢) ينظر: صفات الله تعالى، علوي سقاف، صحيفة (٢٠٦).

(٣) أخرجه أبو داود، (١٥٢٢)، والنسائي، وغيرهما.

والمستعان في اللغة: هو الذي يُطلب منه العون[١].

فالله تعالى هو المستعان، الغني عن الظهير والمعين، والشريك والوزير فلا يحتاج الى أحد. هو الذي يعين عباده، ولا يطلب العون من احد من خلقه، وهو الغني المستعان، والخلق كلهم بحاجة إلى الاستعانة به. فلا وجود ولا حياة ولا قوة لهم إلا به وحده وبمعونته لا شريك له[٢].

والمستعان من الأسماء التي ذكرت في القران الكريم مقروناً بغيره ولم ترد في حديث الأسماء الذي أخرجه الترمذي وغيره.

فهو من الأسماء التي لم ينطبق عليها شرط الإطلاق كما في قوله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: ١٨]، وقد يظن البعض أنّ الاسم ورد مطلقاً في بعض الرويات، وليس الأمر كذلك[٣].

---

(١) ينظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، (١/ ٥٤٤)، والنهج الأسمى، (٢/ ٣٣١).

(٢) ينظر: تفسيرالاحكام لأبن العربي، (٤/ ٥٢).

(٣) قال الدكتور محمود الرضواني في كتابه أسماء الله الحسنى، (١/ ٩٠): (وقد يظن البعض أن الاسم ورد مطلقا فيما رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما قال له النبي ﷺ عن عثمان رضي الله عنه : «افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان»، والأمر ليس كذلك لأمور منها أن الإطلاق في المستعان ليس من كلام النبي ﷺ، فقد دار الأمر بين الصحابيين، ومنها أن المقصود هو طلب عثمان رضي الله عنه الاستعانة والصبر على إنجاز مقتضى الوعد أخذا من قول يعقوب عليه السلام : والله المستعان، ولذلك شك أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في قول عثمان عليه السلام هل قال: الله المستعان أم طلب الصبر من الله؟ ففي رواية مسلم عنه أنه قال: (فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان، قال: ففتحت وبشرته بالجنة، قال: وقلت الذي قال ﷺ فقال: اللهم=

وجاء أثر هذا الاسم صريحا في القران الكريم وفي دعاء النبي يعقوب عليه السلام حين طلب العون من الله تعالى في استعادة جميع أولاده، قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: ١٨]. وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بالدعاء وذكر هذا الاسم مقترنا باسمه تعالى الرحمن، قال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

فالله تعالى هو الذي بيده كل شيء، والمستعان في كل شيء والعبد ليس بيده شيء، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

يقول ابن القيم رحمه الله: (و(الاستعانة) تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه. فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه في أموره ـ مع ثقته به ـ لاستغنائه عنه. وقد يعتمد عليه ـ مع عدم ثقته به ـ لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه. فيحتاج إلى اعتماده عليه. مع أنه غير واثق به...)[(١)].

ونفى علوي السقاف أن يكون من أسمائه تعالى، وجعله من الصفات فقط، فقال: (وقد عدَّ بعضهم (المستعان) من أسماء الله، وفي هذا نظر. أما (المعين)؛ فهو ليس من أسماء الله، خلاف ما هو منتشر، فتراهم يتعبَّدون الله به بتسمية عبد المعين)[(٢)].

= صبرا أو الله المستعان)، وفي رواية أحمد: (اللهم صبرا وعلى الله التكلان). اهـ

(١) مدارج السالكين، (١/ ٧٥).

(٢) صفات الله، صحيفة (٢٠٦).

٢٦ ـ اسم الله التواب وصفة التوبة:

معناه اللغوي: (التاء والواو والباء مهمة واحده تدل على الرجوع)[١].

وفي الاصطلاح:

عرفه الحليمي: (وهو المعيد إلى عبده فضل رحمته إذا هو رجع إلى طاعته، وندم على معصيته، فلا يحبط ما قدم من خير، ولا يمنعه ما وعد المطيعين من إحسان)[٢].

وقال الخطابي: (التواب هو الذي يتوب على عباده، فيقبل توبتهم كلما تكررت التوبة تكرر القبول، وهو يكون لازما ويكون متعديا بحرف يقال: تاب الله على العبد بمعنى وفقه للتوبة، فتاب العبد كقوله: ثم تاب عليهم ليتوبوا، ومعنى التوبة عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية)[٣].

فالتواب الذي (يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مره بعد أخرى، بما يظهر لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه، فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبول)[٤].

وجاء اسم الله تعالى (التواب) في القرآن الكريم حوالي ست مرات كلها

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (توب)، (١/ ٣٥٧)

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ١٩٤).

(٣) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ١٩٤)، وينظر: المقصد الأسنى، صحيفة (١٣٩).

(٤) المقصد الأسنى، صحيفة (١٣٩).

مقترنة بإسمه تعالى (الرحيم) وكل الآيات التي جمعت هذين الأسمين سبقت بلفظ التوبة، ففي قوله تعالى في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٢٨].

وصح عن عمر رضي الله عنه انه قال: (إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مره: رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم)(١).

٢٧ ـ اسم الله الوهاب وصفة الوهب:

معناه في اللغة: (الواو والهاء والباء: كلمات لا ينقاس بعضها على بعض. نقول: وَهبت الشيء أَهَبُهُ هِبَةً وموهباً. وأتَّهَبْتُ الهبة: قبلتها)(٢).

وفي الاصطلاح:

قال الحليمي: هو (المتفضل بالعطايا المنعم بها لا عن استحقاق عليه)(٣).

وقال الخطابي: (لا يستحق أن يسمى وهاباً إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله ودامت، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالاً ونوالاً في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم ولا ولداً لعقيم ولا هدى لضال ولا عافية لذي بلاء، والله الوهاب سبحانه يملك جميع ذلك وسع الخلق جوده ورحمته فدامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده)(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود، (١٥١٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (وهب) (٦/ ١٤٧).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ١٩٠).

(٤) المصدر نفسه.

والهبة (هي العطية الخالية من الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهاباً ولا تكون الهبة حقيقية إلا من الله تعالى فإنه الذي يعطي كل محتاج ما يحتاج إليه لا لعوض ولا لغرض عاجل ولا آجل)[١].

فعلى كل مكلفٍ معرفة أن الله تعالى هو المتفرد بالهبات، وأنه تعالى هو الوهاب على الإطلاق، فما وصل إليه العبد من أي وجد وعلى أي حال بسبب كان أو بغير سبب، هو هبة من الله تعالى وعطية ومنحة، فله تعالى سلبها أو إبقاءها.

فالله تعالى يهب عباده الذرية قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾[الشورى: ٤٩]، والله تعالى هو الذي يهب الملك وهذا ما جاء على لسان سيدنا سليمان عليه السلام حيث طلب من الوهاب أن يهبه الملك والسلطان، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[ص: ٣٥].

٢٨ ـ اسم الله الحكم وصفة الحكمة:

المعنى اللغوي: (وهو المنْع. وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْـم)[٢].

وحكم أصله منع منعاً لإصلاح[٣].

وفي الاصطلاح: (هو الذي سُلم إليه الحكم، ورد إليه فيه الأمر)[٤].

---

(١) المقصد الأسنى، صحيفة (٨٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (حكم) (٢/ ٩١).

(٣) المفردات في غريب القران، الراغب، (١/ ١٢٦).

(٤) ينظر: شأن الدعاء، صحيفة (٦١).

وقيل: هو الذي إليه الحكم، واصل الحكم منع الفساد، وشرائع الله كلها استصلاح للعباد[١].

وجاء في أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالدعاء بهذا الاسم، في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٤٦].

وجاءت صفة الحكمة في دعاء سيدنا نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[هود: ٤٥]، أي (أعلم الحكام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل)[٢].

وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم فقال له: قل داعياً لي يا محمد ﷺ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

وقد ثبت الاسم عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث شريح عن أبيه هانئ: (أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال «إن الله تعالى هو الحكم وإليه الحكُم فلم تكنى أبا الحكم؟» فقال إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال رسول الله ﷺ: «ما أحسن هذا فما لك من الولد؟» قال لي شريح ومسلم وعبد الله قال: «فمن أكبرهم؟» قلت شريح قال: «أنت أبو شريح»[٣].

---

(١) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، (١/ ٢٠٧).

(٢) تفسير النسفي، (٢/ ٦٤)، وينظر: مفاتيح الغيب، (٢٢/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه أبو داود، (٤٩٥٥).

٢٩ ـ اسم الهادي وصفة الهداية:

جاءت صفة الهداية لله تعالى في دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، منها ماأمر الله تعالى نبينا ﷺ بالدعاء به فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾[الكهف: ٢٤].

وفي دعاء نبي الله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

واسمه تعالى الهادي ثبت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الحج: ٥٤]، كما دلت عليه صفة الهداية له جل جلاله في دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والهادي في اللغة: المُتَقَدِّمُ والعُنُقُ، والهُدى ضدّ الضلال، وهو الرَّشادُ والهوادِي: الجمعُ ومن الليلِ: أوائلُه ومن الإبل: أَوَّلُ رَعيلٍ يَطْلُعُ منها. وأصله من (هدي) هَداه هُدىً وهَدْياً وهِدايةً وهِديةً وهَداه للدِّين هُدىً وهَداه يَهْدِيه في الدِّين هُدىً(١).

---

(١) ينظر: مادة (هدي) في المخصص، (٤/ ٥١)، ولسان العرب، (١٥/ ٣٥٣)، والقاموس المحيط، صحيفة (١٣٤٥).

وفي الاصطلاح:

قال الحليمي: (وهو الدال على سبيل النجاة، والمبين لها لئلا يزيغ العبد ويضل، فيقع فيما يرديه ويهلكه)[1].

وقال الخطابي: (هو الذي منّ بهداه على من أراد من عباده فخصه بهدايته وأكرمه بنور توحيده كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[البقرة: ٢١٣]. وهو الذي هدى سائر الخلق من الحيوان إلى مصالحها، وألهمها كيف تطلب الرزق وكيف تتقي المضار والمهالك كقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠])[2].

وقال البيهقي: (هو الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته وبهدايته اهتدى الحيوان لما يصلحه واتقى ما يضره)[3].

فالهادي هو من هدى خواص عباده أولاً إلى معرفة ذاته، وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته، وهدى مخلوقاته جميعاً إلى ما لا بد لهم منه في قضاء حاجاتهم، من هدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله؟ والفرخ إلى التقاط الحب وقت فقسه؟ والنحل إلى بناء بيته على هذا الشكل الهندسي الخاص المناسب لبدنه وأحواه؟ إنه الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠][4].

---

(١) الأسماء والصفات، (١/ ٢٠١).

(٢) الأسماء والصفات، (١/ ٢٠١).

(٣) الاعتقاد، صحيفة (٢٤).

(٤) ينظر: المقصد الأسنى، صحيفة (٤٦).

٣٠ـ اسما الله المحيي والمميت:

ذكر أهل العلم أنه لا يوصف الله تعالى بالمميت إلا مقترناً باسمه المحيي، وكذلك الأسماء التي فيها ذكر الشر لا تذكر إلا مقرونة كقولنا الضار النافع المعطي المانع أو مقيدة كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[السجدة: ٢٢] [١]. لذا فانا سأذكر كل اسمين مقترنين[٢] في موضع واحد، كالمحيي والمميت والمعز والمذل.

المحي في اللغة: من الحياة: وهو نقيض الموت، والمحيي: الفعال الدراك معطي الحياة[٣].

واصطلاحاً: قال الحليمي: (إنه جاعل الخلق حياً بإحداث الحياة فيه)[٤].

وقال الخطابي: (هو الذي يحيي النطفة الميتة، فيخرج منها انسمة الحياة، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث، ويحيي القلوب بنور المعرفة، ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق)[٥].

أما المميت في اللغة: (مُمِيتٌ) اسم فاعل من (أمات) المتعدي. وهو مشتق من الموت: وهو ضد الحياة والمُواتُ بالضم المَوْتُ ماتَ يَمُوتُ مَوْتاً. والمميت: خالق الموت ومسلطه على من شاء[٦].

---

(١) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ٢١١)، ومجموع الفتاوى، (١٤/ ٢٧٦).

(٢) وينظر: المقصد الأسنى، صحيفة (١٣١).

(٣) ينظر: القاموس المحيط، صحيفة (١٢٧٧).

(٤) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ١٨٤).

(٥) الاعتقاد، صحيفة (٦٢)، الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ١٨٤).

(٦) ينظر: لسان العرب، (٢/ ٦٠).

وفي الاصطلاح: قال الحليمي: (أنه جاعل الخلق ميتاً بسلب الحياة وإحداث الموت فيه)[(١)].

وقال الخطابي: (هو الذي يميت الأحياء، ويوهن بالموت قوة الأصحاء الأقوياء: يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير تمدَّح سبحانه بالإماتة كما تمدَّح بالإحياء ليعلم أن مصدر الخير والشر والنفع والضر من قبله، وأنه لا شريك له في الملك، استأثر بالبقاء، وكتب على خلقه الفناء)[(٢)].

وقد ورد اسم الله تعالى المحيي في القرآن الكريم، فمنه قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[الروم: ٥٠].

ولم يرد ذكر اسم الله تعالى المميت في القرآن الكريم صراحة وإن جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(٣)]، وإنما دلت عليه صفة الإماتة، إذ قد وصف الله عز وجل نفسه بأنه المحيي والمميت، وهذا ثابت بالكتاب والسنة، وهما صفتان فعليتان خاصتان بالله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾[الحج: ٦٦]. وغيرها.

وجاءت كذلك في السنة النبوية، كحديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

(١) الأسماء والصفات، البيهقي، (١/ ١٨٤).

(٢) الأسماء والصفات، (١/ ١٨٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن حبان في صحيحه (٨٠٨) وقال الترمذي عقب الحديث: (هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح: وهو ثقة عند أهل الحديث).

أنه كان يقول عند استيقاظه: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[(١)].

وقد نفى بعض المعاصرين أن يكون (المميت) من الأسماء الحسنى محتجين بعدم وروده في القرآن الكريم كاسم من أسمائه تعالى، وإنما ورد كفعل لله تعالى، وأما المحي فلم يرد إلا مقيداً.

وفي نفيه نظر فقد نصّ الأئمة الكبار كسفيان بن عيينة[(٢)] والحليمي[(٣)] والخطابي[(٤)]، والبيهقي[(٥)]، والغزالي[(٦)]، وابن القيم، والحافظ ابن حجر رحمهم الله[(٧)]. وغيرهم على أنه من أسماء الله الحسنى.

وقد جاءت هاتان الصفتان في دعاء نبينا محمد ﷺ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[آل عمران: ٢٧].

٣١ ـ اسما المعز المذل وصفتاهما:

المعز في اللغة: قال الجوهري (العِزُّ: خلاف الذُّلّ. ومطر عِزٌّ، أي شديد. وعَزَّ الشيء يَعِزُّ عِزّاً وعِزَّةً وعَزازَةً، إذا قلَّ لا يكاد يوجد، فهو عزيزٌ. وعَزَّ فلان

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٤).

(٢) فتح الباري، (١١/ ٢١٨).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ١٨٤).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ١٨٤).

(٥) الاعتقاد، صحيفة (٦٢).

(٦) المقصد الأسنى، (ص: ١٣١).

(٧) فتح الباري، (١١/ ٢١٨).

يَعِزُّ عِزّاً وعِزَّةً وعَزازَةً أيضاً، أي صار عَزيزاً، أي قوي بعد ذِلَّة. وأعَزَّهُ الله. وعَزَزْت عليه أيضاً: كَرُمت عليه)[1].

والمعز في الاصطلاح: قال الحليمي: (المعز: هو الميسر أسباب المنعة)[2].

والمذل في اللغة: قال ابن منظور: (الذُّلُّ نقيض العِزِّ ذَلَّ يذِلُّ ذُلاًّ وذِلَّة وذَلالة ومَذَلَّة فهو ذلِيل بَيِّن الذُّلِّ والمَذَلَّة من قوم أَذِلاّء وأَذِلَّة وذِلال قال عمرو بن قَمِيئة:

وشاعر قومٍ أُولي بِغْضة قَمَعْتُ فصاروا لئاماً ذِلالا

وأَذَلَّهُ هو وأَذَلَّ الرجلُ صار أَصحابه أَذِلَّاءَ وأَذَلَّه وجده ذَلِيلاً واسْتَذَلُّوه رأَوه ذَلِيلاً ويُجْمَع الذَّلِيل من الناس أَذِلَّة وذُلَّاناً والذُّلُّ الخِسَّة وأَذَلَّه واسْتَذَلَّه كله بمعنى واحد وتَذَلَّل له أَي خَضَعَ وفي أَسماء الله تعالى المُذِلُّ هو الذي يُلْحِق الذُّلَّ بمن يشاء من عباده وينفي عنه أَنواع العز جميعها)[3].

المذل في الاصطلاح: (هو المعرض للهوان والضعة، ولا ينبغي أن يدعى الله جل ثناؤه بالمؤخر إلا مع المقدم، ولا بالمذل إلا مع المعز، ولا بالمميت إلا مع المحيي كما قلنا في المانع والمعطي، والقابض والباسط)[4].

واسمه تعالى المذل لا يوصف به تعالى إلا مقترناً باسمه المعز، وكذلك

---

(١) تاج اللغة، مادة (عزز)، (٣/ ٨٨٥).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ٢١١)، وينظر المواقف، (٣/ ٣٠٨).

(٣) لسان العرب مادة (ذلل)، (١١/ ٢٥٦).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي، (١/ ٢١١)، وينظر المواقف، (٣/ ٣٠٨).

الأسماء التى فيها ذكر الشر لاتذكر إلا مقرونة كقولنا الضار النافع المعطي المانع أو مقيدة كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[السجدة: ٢٢].

يقول الحكمي: (إن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصا تعالى الله عن ذلك، فمنها المعطي المانع والضار النافع والقابض الباسط والمعز المذل والخافض الرافع فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك)[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله[2]:

وكـذا المعـز مـع المـذل وخـافض ... مـع رافـع لفظـان مزدوجـان

فالله جل جلاله هو وحده المعز يعز من يشاء من أوليائه، وهو جل جلاله يذل طغاة خلقه وعتاتهم، ولا يذلهم إلا لما استحقوه من الذل والهوان فهانوا على الله لما عتوا واستكبروا عن عبادته وطاعته[3].

وقد جاء ذكر صفتي الإعزاز والإذلال في دعاء النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦].

٣٢ـ اسم الله الرقيب:

معناه في اللغة (الراء والقاف والباء أصل واحد مفرد يدل على انتصاب

---

(١) معارج القبول، (١/ ١١٧).

(٢) القصيدة النونية، (٢/ ٢٤٨).

(٣) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، صحيفة (٤٢).

لمراعاة شيء)[١]. وهو مما جاء على وزن فعيل بمعنى فاعل، وهو من صيغ المبالغة[٢].

وفي الاصطلاح: (هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص أو يدخل عليه خلل من قبل غفلته عنه)[٣].

وقيل: هو العليم الحفيظ، فمن راعى الشيء حتى لم يغفل عنه ولاحظه ملاحظة لازمة دائمة لزوماً لو عرفه الممنوع عنه لما أقدم عليه سمي رقيباً[٤].

وقيل في الرقيب: (هو الذي من الأسرار قريب وعند الاضطرار يجيب، المطلع على الضمائر، والشاهد على السرائر)[٥].

وقد جاء اسم الله الرقيب في القرآن الكريم معرفاً مرة واحدة في دعاء سيدنا عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة: ١١٧].

فيقر سيدنا عيسى عليه السلام هنا أنه كان شاهداً عليهم وهو بينهم أي في حياته معهم، ولكنه جعل الله تعالى هو الرقيب عليهم بعد وفاته، وحصر الرقابة عليهم بعده إلى الله تعالى.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (رقب)، (٢/ ٤٣٧).

(٢) ينظر: اشتقاق أسماء الله، الزجاجي، صحيفة (١٢٨).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي، صحيفة (١/ ١٩٣)، عن المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، (١/ ٢٠٦).

(٤) المقصد الأسنى، صحيفة (١١٧).

(٥) لوامع البيانات، صحيفة (٢٨٠).

٣٣ ـ اسم الله المجيب وصفة الاجابة:

المعنى اللغوي: (الجيم والواو والباء أصل... وأصل آخر وهو مراجعة الكلام، يقال كلّمه فأجابه جوابا، وقد تجاوبا مجاوبة. والمجاوبة: الجواب)[١].

وقيل المجيب: (هو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول)[٢].

وفي الاصطلاح: (هو الذي يقابل مسألة السائلين بالإسعاف ودعاء الداعين بالإجابة، وضرورة المضطرين بالكفاية، بل ينعم قبل النداء، ويتفضل قبل الدعاء، وليس ذلك إلا لله عز وعلى، فإنه يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم وقد علمها في الأزل فدبر أسباب كفاية الحاجات بخلق الأطعمة والأقوات وتيسير الأسباب والآلات الموصلة إلى جميع المهمات)[٣].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة: ١٨٦] وجاء هذا الإسم في دعاء سيدنا نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾[الصافات: ٧٥]. لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابقت ما سأل[٤].

فوصف تعالى إجابته لنوح بـ (نِعْم) الدالة على المدح والجمع دليل العظمة والكبرياء.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة (جوب)، (١/ ٤٩١).

(٢) تاج العروس، (٢/ ٢٠٢).

(٣) المقصد الأسنى، صحيفة (١١٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٧٠٥).

ولم يرد هذا الاسم في السنة إلا في حديث سرد الأسماء عند الترمذي وابن ماجة[١].

٣٤ ـ صفة اليد:

ذكر الله تعالى اليد بالأفراد فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك: ١]، وبالتثنية فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، وفي الجمع فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾[يس: ٧١].

(فجاءت صفة اليد في الوجه الأول مفرد مضاف فشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثني، وقيل: ان أقل الجمع اثنان، فأن حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلا)[٢].

وصفة اليد من الصفات الخبرية التي طاشت فيها السهام في إصابة الهدف، وأخذ الناس يفسرونها تفسيراً يساير عقيدتهم، فمنهم من فسرها بالقدرة، ومنهم من قال أنها النعمة ليبتعدوا على حد قولهم من التشبيه والتجسيم، والله تعالى يقول: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ١٤٠].

ويقول عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[ص: ٧٥]، ويقول تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، فلا يجوز القول: لما خلقت (بنعمتي)! لأن نعم الله لا تعد ولا تحصى، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[إبراهيم: ٣٤].

---

(١) ينظر: تفسير النسفي، (٣/ ١٢٧)، وتفسير الشعراوي، صحيفة (٢٥٤١).

(٢) لمعة الاعتقاد، صحيفة (٥٠).

ولا يساغ القول: لما خلقت (بقدرتي)؛ لأننا نقول: إن لله قدرة واحدة وباهرة: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة: ١٢٠]، لعدم وجود الدليل على التعدد، بل هما يدان تليقان بالله تعالى لا القدرة، لأنها صفة أخرى غير اليد، ولا النعمة، ولا الجارحة، لأنها للمخلوق. ولا تشبه يده يد المخلوق. إذ ليس كمثله شيء[(١)].

وقد ورد لفظ اليد في الكتاب والسنة، وكلام الصحابة والتابعين في كثير من المواضع وروداً متنوعاً متصرفاً مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك والقبض والطي، والبسط والمصافحة والحثيات، والنضح باليد والمسح وأنه مسح ظهر آدم بيده[(٢)].

فيدل ما سبق على أن هذه الأشياء من أعمال اليد فإن الله يمسك بها، ويقبض ...إلخ.

واختلف في صفة اليدين لله تعالى إلى مذاهب:

المذهب الأول: مذهب السلف الصالح، إثبات اليدين لله إثباتاً يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تشبيه. والإثبات نفي المماثلة بين الخالق تبارك وتعالى والعبد. ونفي مماثلة الخالق للمخلوقين يدل عليه الشرع والعقل والحس.

المذهب الثاني: أهل التأويل فذهبوا أن المراد باليد هي القوة أو النعمة فإنهم ينفون اتصاف الله بصفة اليد ويؤولونها.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري: (فلو كان الله عز وجل عنى بقوله: ﴿لِمَا

---

(١) ينظر الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، (١/ ٢٦٨).

(٢) ينظر الصواعق المرسلة، (١/ ٢٧٧ ـ ٢٨١).

خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك ميزة، والله عز وجل أراد أن يُرى أن لآدم على إبليس فضلاً إذ خلقه بيده دونه، ولو كان خالقاً لإبليس بيديه كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجاً على ربه: فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما، فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك، قال له موبخاً لاستكباره على آدم أن يسجد له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾؟! فدل على أنه ليس معنى الآية القدره، لأنه تعالى خلق الأشياء جميعها بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين لم يشارك إبليس آدم عليه السلام في أن خلق بهما، وليس يخلو قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص: ٧٥]، أن يكون معنى ذلك إثبات يدين (نعمتين) أو يكون معنى ذلك إثبات يدين (جارحتين) أو يكون معنى ذلك إثبات يدين (قُدرتين) أو يكون معنى ذلك إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين، لا يوصفان إلا كما وصف الله عز وجل. فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين، لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: عملت بيديّ وهو يعني نعمتيّ، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين ولا يجوز عند خصومنا أن نعني قدرتين.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع، وهو أن معنى قوله (بيدي) إثبات يدين ليستا جارحتين، ولا قدرتين، ولا نعمتين، لا يوصفان إلا بأن يقال: بأنهما يدان ليستا كالأيدي خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت)[1].

هذا كلام واضح لا يحتاج إلى تعليق ولكن ينبغي التنبيه عليه أن اليد في

---

(١) الإبانة، للأشعري، (١/ ١٣٤).

غير هذا السياق قد تأتي بمعنى (النعمة) وتجمع على أيادي يقال: لفلان عليَّ يد أو أيادٍ. ولكن السياق الذي في الآيتين: يأبى هذا المعنى كما ناقش الإمام أبو الحسن رحمه الله.

قال ابن بطال عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]: (في هذه الآية إثبات يدين لله تعالى وهما صفتان من صفات ذاته، وليستا جارحتين)(١). وليس المحل محل تفصيل.

وقد جاء إثبات هذه الصفة لله تعالى في أمر الله تعالى لنبيه بالدعاء في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]. أي: (بيدك التي لا يكتنه كنهها، وبقدرتك التي لا يقدر قدرها، الخير كله تتصرف به أنت وحدك حسب مشيئتك لا يتصرف به أحد غيرك ولا يملكه أحد سواك)(٢).

٣٥ ـ صفة النفس:

ذكر الله تعالى لفظ النفس في القرآن الكريم فقال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨]. وقال تعالى لكليمه موسى ﷺ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[طه: ٤٠ ـ ٤١]، فثبت أن لله نفساً، وقوله تعالى في آيات كثيرة يذكر فيها إثبات هذه الصفة، فصفة النفس ذكرها الله تعالى وأثبتها وهو أعلم بنفسه، ورسوله أعلم بمرسله، فيقتصر

---

(١) فتح الباري، (١٣/ ٣٩٣).

(٢) تفسير روح المعاني، (٢/ ١١٠).

على ما جاء في الكتاب والسنة.

وقد اختلف العلماء في معنى النفس لله تعالى على أقوال:

القول الأول: أن النفس بمعنى الذات الإلهية بصفاتها، ونفسه هي ذاته المقدسة(١).

(ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه)(٢)، فقوله سبحانه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة: ١١٦] أي: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك. ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[طه: ٤١]، أي: لي، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: ٣٠]، أي: يحذركم الله ذاته، فالنفس المذكورة في الآيات هي الذات بصفاتها، وهذا ليس من التأويل حتى يقال: كيف تؤولون؟ لكن يقال: إن لسان العرب يطلق النفس ويريد به الذات، فتقول: سقط الجدار نفسه، ومعلوم أن الجدار ليس له نفس والمقصود ذاته.

فهذا جار على لسان العرب، أن يطلق لفظ النفس ويراد به الذات نفسها، وهذا القول مال إليه شيخ الإسلام رحمه الله وقال: إنه قول جماهير أهل العلم. وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي فالنفس في هذه المواضع: بمعنى الذات المتصفة بصفاتها عند جمهور العلماء، وليست الذات المنفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة الذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات.

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، (٦/ ٢٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى، (٩/ ٢٩٢).

قال البيهقي: (ومعنى قول من قال: الله سبحانه وتعالى إنه نفس، إنه موجود ثابت غير منتف، ولامعدوم، وكل موجود نفس، وكل معدوم ليس بنفس والنفس في كلام العرب على وجوه فمنها: نفس منفوسة مجسمة مروحة.

ومنها: مجسمة غير مروحة، تعالى الله عن هذين علوا كبيرا.

ومنها: نفس بمعنى إثبات الذات كما تقول في الكلام: هذا نفس الأمر، تريد إثبات الأمر لا أن له نفساً منفوسة أو جسماً مروحاً، فعلى هـذا المعنى يقال في الله سبحانه إنه نفس، لا أن له نفساً منفوسة أو جسماً مروحاً، وقد قيل في قوله تعالى: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، أي: تعلم ما أكنه وأسره ولا علم لي بما تستره عني وتغيبه)[١].

القول الثاني: إن النفس صفة من صفات الله كغيرها من الصفات، ودليلهم في ذلك أنها جاءت مضافة إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، كما في الآيات التي ذكرت فيها النفس. وهذا القول قال به جمع من أهل السنة، من أبرزهم إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله في كتابه: التوحيد. واختار هذا الرأي عبد الغني المقدسي، وأبو يعلى القاضي[٢].

القول الثالث: ذهب كثير من الفرق الى نفي صفة النفس، ومن هذه الفرق

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي، (٢/ ٥٣).

(٢) ينظر: كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، (١/ ٧)، ولمعة الاعتقاد، صحيفة (٦٤).

(المعطلة) فهم لا يثبتون لله تعالى صفة النفس، كغيرها من الصفات، كما سبق ذكره آنفا.

والراجح من هذه الأقوال القول الأول، وهو قول جماهير أهل العلم[1]، والله أعلم.

❐❐❐

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٩/ ٥).

المبحث الثالث
أثر أدعية الأنبياء في إثبات الولاء والبراء

الولاء في اللغة: جاء في لسان العرب: الموالاة ـ كما قال ابن الأعرابي ـ : إن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلاناً: إذا أحبه.

والمولى: اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرب، والمالك، والسيد والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمنعم عليه. ويلاحظ في هذه المعاني أنها تقوم على النصرة والمحبة(١).

والموالاة ضد المعاداة، والولي ضد العدو، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾[مريم: ٤٥].

والولي: القرب والدنو(٢).

وفي الاصطلاح: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧](٣).

---

(١) ينظر: لسان العرب، (١٥/ ٤٠٥).

(٢) لسان العرب، (٣/ ٩٨٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٣٤٥).

فموالاة الكفار تعني (التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا)(١).

وأما البراء في اللغة: قال ابن الأعرابي: برئ إذا تخلص، وبرئ، إذا تنزه وتباعد، وبرئ: إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١]. أي: إعذار وإنذار(٢).

واصطلاحاً: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار(٣).

يقول ابن تيمية رحمه الله: الولاية: ضد العداوة: البغض والبعد... والولي: القريب يقال: هذا يلي هذا: أي يقرب منه، ومنه قوله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر»(٤)، أي: لأقرب رجل إلى الميت.

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له. كما قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ

---

(١) كتاب الإيمان، لنعيم ياسين، صحيفة (١٤٥).

(٢) ينظر: لسان العرب ١/ ٣٣.

(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق،، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، صحيفة (٧)، والإيمان د. محمد نعيم ياسين، صحيفة (١٨٧ ـ ١٨٨)، والموالاة والمعادة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله، صحيفة (٤). والولاء والبراء بين السماحة والغلو، د. حاتم العوني، صحيفة (٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٣٢)، ومسلم، (٣/ ١٢٣٣) (١٦١٥).

عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة: ١]. فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه ولهذا جاء في الحديث (ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة)[(١)][(٢)].

ومسمى الموالاة لأعداء الله: يقع على شُعب متفاوتة منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات[(٣)].

ولما عقد الله الأخوة والمحبة والموالاة والنصرة بين المؤمنين، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى وملحدين ومشركين وغيرهم كان من الأصول المتفق عليها بين المسلمين: أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته، وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والإمكان.

وحيث أن الولاء والبراء تابعان للحب والبغض، فإن أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله[(٤)].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أحب في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، لا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك)[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) الفرقان لابن تيمية، صحيفة (٧).

(٣) ينظر: الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، صحيفة (٤٣).

(٤) ينظر: الفتاوى السعدية للشيخ عبد الرحمن السعدي، (١/ ٩٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٧٧٠).

وإذا أصبحت المؤاخاة والمحبة على أمر الدنيا، كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فإن تلك المحبة والمؤاخاة لا تلبث أن تزول بزوال العرض الزائل وحينئذ لا يكون للأمة شوكة ومنعة أمام أعدائها.

وإذا كان حبر هذه الأمة يذكر أن مؤاخاة الناس في زمانه قد أصبحت على أمر الدنيا وأن ذلك لا يجدي على أهله شيئاً، وهذا في القرن الذي هو خير القرون: فحري بالمؤمن أن يعيي ويعرف من يحب ومن يبغض، ومن يوالي ومن يعادي ثم يزن نفسه بميزان الكتاب والسنة ليرى أهو واقف في صف أتباع الشيطان وحزبه أم في صف عباد الرحمن وحزب الله الذين هم المفلحون، وما عداهم فأولئك هم الذين خسروا الدنيا والآخرة!.

فكيف بعصرنا الحاضر عصر المادة والدنيا، الذي أصبحت فيه محبة الناس في الأغلب على أمر الدنيا ولا يجدي ذلك على أهله شيئاً. ولن تقوم للأمة الإسلامية قائمة إلا بالرجوع إلى الله والاجتماع على الحب فيه والبغض فيه والولاء له والبراءة ممن أمرنا الله بالبراء منه، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله(١).

فركني الولاء والبراء هما: الحب والنصرة في الولاء، والبغض والعداوة في البراء، ومعنى النصرة والعداوة هنا النصرة القلبيّة والعداوة القلبيّة، أي تمنِّي انتصار الإسلام وأهله وتمنِّي اندحار الكفر وأهله. أمّا النصرة العملية والعداوة العمليّة فهما ثمرةٌ لذلك المعتقد، لا بُدّ من ظهورها على الجوارح.

فحب الله تعالى وحب ما يحبه الله تعالى من أهم معالم الولاء، قال تعالى:

---

(١) ينظر: الدرر السنية، موقع الشيخ علوي السقاف:

http://www.dorar.net/enc/aqadia/٣٩٦

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾[البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾[المائدة: ٥٤].

وفي الحديث الصحيح: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»(١).

قال الشيخ حافظ الحكمي: (وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، وأتباع رسوله ﷺ، واقتفاء أثره، وقبول هداه)(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله(٣):

شرط المحبة أن توافق من ... تحب على محبته بلا عصيان
فإذا ادعيت له المحبة من خلا ... فك ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حباً له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (١/ ١١) (١٦).

(٢) معارج القبول، (٢/ ٤٢٤).

(٣) القصيدة النونية، صحيفة (١٥٨).

ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان

فالولاء والبراء من لوازم لا إله الا الله، فلما كان أصل الموالاة: الحب. وأصل المعاداة: البغض. وينشأ عنهما من القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك(١).

فإن الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله. ودلالة من الكتاب والسنة، قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران: ٣١ ـ ٣٢].

أما الأحاديث والآثار الواردة فهي كثيرة ومنها: ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على أن (تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر)(٢).

وقال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة: ٥٥] (ليس لكم أيها

---

(١) ينظر: الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تصحيح عبد الرحمن الرويشد، ١٣٩٨هـ، دار العلوم، مصر صحيفة (٢٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

المؤمنون ناصرٌ إلا اللهُ ورسولُه والمؤمنون، الذين صفتهُم ماذكره تعالى ذِكْرُهُ. فأمّا اليهود والنصارى الذِين أمركم الله أن تبرّأوا من وَلايتهم، ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء ولا نُصَراء، فليسوا لكم أولياءَ ولا نُصَراء، بل بعضُهم أولياء بعض، ولا تتخذوا منهم وليّاً ولا نصيراً... وهذا إعلامٌ من الله تعالى ذكره لعبادَه جميعاً، الذين تَبَرَّأوا من اليهود وحِلْفِهم، رضاً بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والذين تمسّكوا بحلفهم وخافوا دوائر السَّوْء تدور عليهم فسارعوا إلى موالاتهم بأنَّ من وثق بالله وتولَّى اللهَ ورسولَه والمؤمنين، ومن كان على مثل حاله من أولياء الله من المؤمنين، لهم الغلبةُ والدوائرُ والدولةُ على من عاداهم وحادَّهم؛ لأنهم حزبُ الله، وحزبُ الله هم الغالبون دون حزب الشيطان)[1].

أما البراء، فقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[آل عمران: ٢٨].

فلا تتخذوا أيها المؤمنون الكُفّارَ ظَهْراً وأنصاراً، توالونهم على دينهم، وهو نصٌ صريح في أن الموالاة المخرجة من الملّة هي الموالاة على الدين، لا مطلق الموالاة، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتَدُلّونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾[آل عمران: ٢٨]يعني بذلك: فقد برئ من الله، وبرئ اللهُ منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافونهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم،

(١) تفسير الطبري، (١٠/ ٤٢٧) (٨/ ٥٣١).

وتُضمروا لهم العـداوة، ولا تُشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل[١].

ومن دلالة البراء ما جاء في قوله ﷺ في حديث جرير بن عبد الله البجلي، عندما جاء ليبايعه على الإسلام، فقال جريرٌ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، اشْترطْ عليَّ، فقال ﷺ: «أُبَايِعُك على أن تعبد الله ولا تُشْرِكَ به شيئاً، وتُقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتنصحَ المسلم، وتفارقَ المشرك»[٢].

وفي رواية: (وتبرأ من الكافر)[٣].

ومنه ما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ سأل أصحابه عن أوثق عُرَى الإيمان، فأجابوا بعدّة أجوبة، فذكروا: الصلاة والزكاة، والصيام، والحجّ، والجهاد، وفي كل مَرّة كان يقول ﷺ: «حسنةٌ، وما هي بها» ثم قال ﷺ: «إن أوثق عُرى الإيمان: أن تُحِبَّ في الله، وتُبْغِضَ في الله»[٤].

قال ابن حزم: (وصَحَّ أن قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾[المائدة: ٥١]، إنما هو ظاهره، بأنه كافر من جملة الكفار فقط، وهذا حقٌّ، لا يختلف فيه اثنان من المسلمين)[٥].

وكيف نشك في صحّة هذا الإجماع، والله تعالى يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

---

(١) تفسير الطبري، (٦/ ٢١٦)، ونحوه مصرِّحاً بكفر الموالي للكفار كُلٌّ من الواحدي في الوجيز، (١/ ١٦٠)، تفسير الكشاف، (١/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه أحمد، (٤/ ٣٦٥)، والنسائي، (٧/ ١٤٧ ـ ١٤٨)، وقال الشيخ شعيب: صحيح.

(٣) أخرجه أحمد، (٤/ ٣٦٣)، وقال الشيخ شعيب: صحيح.

(٤) أخرجه أحمد، (٤/ ٢٨٦)، وينظر تعليق الشيخ شعيب (٣٠/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩).

(٥) المحلّى، لابن حزم، (٤/ ٢٨٦).

ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ـ ٧].

وقد أجمع المفسرون على أن: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى[1].

وهذه الآيات هي دُعَاءٌ يدعو به المسلمون في صلاتهم، فرضاً أو نفلاً، وفي كل ركعة منها سائلّين الله تعالى أن يسلكهم في سبيل المؤمنين: اعتقاداً وقولاً وعملاً، وأن يُباعدهم عن سبيل اليهود والنصارى ومن شاكلهم.

وهذا من أجلِ أنواع الولاء والبراء، الذي يُعلّمنا الله تعالى إيّاه في أُم الكتاب، وأعظم سورةٍ فيه؛ لأنه تضرّعٌ إلى الله تعالى بتحقيقه في قلب وواقع كل مسلم، ليكون أساساً من أُسُسِ الدين، التي لا بقاء له من دونها. وامراً له مكانةٌ عظيمة من أصل الإيمان.

ولّما كان الإسلام دينَ الله تعالى، وما سواه أدياناً باطلةً، جعله الله تعالى دينا شاملا لجميع شؤونَ الحياة الدنيا والآخرة، يحتكمُ إليه المسلم في كل معتقداته القلبيّة وأقواله وأفعاله، فهو مرجعه في تحديد طبيعة علاقاته الفرديّة والاجتماعية مع المسلمين وغير المسلمين، فكان لزاماً أن تكون لعقيدة الولاء والبراء فيه مكانةٌ عظمى، وهي مكانةٌ مرتبطةٌ بأصل الإيمان، فلا إيمان بغير ولاء وبراء، وانعدام الولاء والبراء هو إنعدامٌ للأيمان كله.

---

(١) ونقل الإجماع كل من: ابن أبي حاتم، والماوردي، وأبو الليث السمرقندي، والشوكاني، وصِدِّيق حسن خان. ينظر: الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضيري، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار الوطن، الرياض، صحيفة (١٣٧ ـ ١٣٨).

قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[المائدة: ٨٠ـ٨١].

يقول ابن تيميّة رحمه الله: (فذكر جملةً شرطيّةً تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط. وقال: فَدَلَّ على أن الإيمان المذكورَ ينفي اتّخاذَهم أولياءَ ويُضادُّه، ولا يجتمع الإيمان واتخاذَهم أولياءَ في القلب. ودلَّ ذلك أن من اتّخذهم أولياء ما فَعل الإيمانَ الواجبَ من الإيمان بالله والنبيِّ وما أُنزل إليه.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. وجاء خبر في تلك الآيات أن مُتَوَلِّيهم لا يكونُ مؤمناً، وهنا أخبر أن متولِّيهم هو منهم، فالقرآن يُصدِّق بعضُه بعضاً)(١).

وقد جاء في كتاب الله تعالى خبرٌ بنفي وجود مؤمن يحبّ الكافرين لكفرهم، وهذا ما لا يُمكن أن يكون موجوداً أصلاً، فمن المستحيل أن يجتمع حُب النقيضين في قلبٍ واحدٍ أبداً.

وهذا ما يثبت وجود التلازم بين أصل (الإيمان) و(الولاء والبراء)، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

---

(١) مجموع الفتاوى، (٧/ ١٨)، وينظر: تفسير الكشاف، (١/ ٣٨٠).

فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[المجادلة: ٢٢].

وقد نفت هذه الآية أن يُوجَدَ من يؤمن بالله تعالى حقَّ الإيمان، ويلتزمُ شُعبَهُ على الكمال، يُوَادُّ كافراً أو منافقاً. ومعنى (يُوادُّ): (أن يكون بينهما من اللطف بحيث يَوَدُّ كل واحدٍ منهما صاحبه... أو أن لا يوجد من يؤمن بالله والبعث يُوَادُّ من حادَّ الله من حيث هو مُحَادٌّ؛ لأنه حينئذٍ يودُّ المحادّة، وذلك يوجب ألا يكون مؤمناً)(١).

وقد أكَّدَ القرآن الكريم في غير موضع، على ما يحمله غير المسلمين في قلوبهم من العداء للمسلمين، ومن الولاء لبعضهم، أن يجعلوا ـ المسلمين ـ في قلوبهم ولاءً للمؤمنين وبراءً من الكافرين. ومطالبة المؤمنين بعدم موالاة اليهود والنصارى؛ وذلك لأن اليهود لا يوالون إلا اليهود، وأن النصارى لا يوالون إلا النصارى، وهم جميعاً يتبرأون من المسلمين.

يقول ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١١٨ ـ ١١٩].

(فنهى الله المؤمنين به أن يتّخذوا من الكفار به أخلاّءَ وأصفياءَ، ثم عرَّفهم

---

(١) المحرر الوجيز، (٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

ما هم عليه مُنْطَوُون، من الغش والخيانة وبُغيتهم إيّاهم الغوائل، مُحَذِّرَهم بذلك منهم ومن مُخَالَّتِهم، فقال تعالى ذكره: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[آل عمران: ١١٨]، يعني لا يستطيعونكم شرّاً... أي لا تدع جُهدَها فيما أورثكم الخبال، وأمّا قوله: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾[آل عمران: ١١٨]، يقول: يتمَنَّوْنَ لكم العنت والشرَّ في دينكم، وما يسوءُكم ولا يسرُّكم، فذلك من أوكد الأسباب في معاداتِهم أهلَ الإيمان؛ لأنّ ذلك عداوةٌ على الدين، والعداوة على الدين هي العداوة التي لا زَوَال لها إلا بانتقال أحد المتعاديَيْنِ إلى مِلّة الآخرِ منهما، وذلك انتقالٌ من هُدىً إلى ضلالة، كانت عندَ الْمُنْتَقِلِ إليها ضلالةً قبل ذلك. فكان في إبدائهم ذلك للمؤمنين ومُقَامِهم عليه، أبينُ الدَّلالة لأهل الإيمان على ما هم عليه لهم من البغضاء والعداوة)[(١)].

وقد أكّد الله تعالى على هذه السُّنّة الكونيّة، وعلى لزوم المفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل، وأنّها ليست خاصة بدين الإسلام الذي بُعث به محمدٌ ﷺ، بل هي عامةٌ في جميع الشرائع الإلهيّة، وقد وقعت لجميع أنبياء الله تعالى وأتباعهم مع أقوامهم الذين عادوهم وكفروا بما بُعث به أنبياء الله تعالى.

وقد جاء في دعاء موسى كليم الله عليه السلام لما قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[المائدة: ٢٥]. أي: فافصل بيننا وبينهم وهو في معنى الدعاء عليهم[(٢)].

قال صاحب الظلال: (دعوة فيها الألم، وفيها الالتجاء وفيها الاستسلام

---

(١) تفسير الطبري، (٧/ ١٤٠).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، (١١/ ٣٣٥)، وينظر: تفسير الطبري، (١٠/ ١٨٨)، وتفسير البغوي، (٣/ ٣٧). وتفسير القرآن العظيم، (٣/ ٧٩).

وفيها ـ بعد ذلك ـ المفاصلة والحسم والتصميم! وإنه ليعلم أن ربه يعلم أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه، ولكن موسى في ضعف الإنسان المخذول وفي إيمان النبي الكليم وفي عزم المؤمن المستقيم، لا يجد متوجهاً إلا لله يشكو له بثه ونجواه، ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين القوم الفاسقين فما يربطه بهم شيء بعد النكول عن ميثاق الله الوثيق ما يربطه بهم نسب وما يربطه بهم تاريخ وما يربطه بهم جهد سابق إنما تربطه بهم هذه الدعوة إلى الله، وهذا الميثاق مع الله)(١).

وفي دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٩]. أي: (تبرأت واعترضت عن كل معبود سوى الله تعالى، وقصدت الله تعالى وحده بالعبادة وأخلصت له)(٢).

وجاء أيضاً في دعاء النبي محمد ﷺ ما يدل على وجوب المفاصلة بين الحق والباطل فقال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢].

وفي قراءة (قُلْ رَبِ احكُم بِالحَق) أي: افصل بيني وبين من كذبني بالحق، فإن قيل كيف قال احكم بالحق والله لا يحكم إلا بالحق؟ قيل: الحق هاهنا بمعنى العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعُذبوا يوم بدر، نظيره قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[الأعراف: ٨٩]. وقال أهل المعاني: معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه، والله تعالى

(١) تفسير في ضلال القران، (٢/ ٣٤٥).

(٢) تفسير النسفي، (١/ ٥١٨ ـ ٥١٧)، وينظر: ومفاتيح الغيب، (٧/ ١٧٤).

يحكم بالحق طلب أو لم يطلب، ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه الحق، ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: ١١٢] من الكذب والباطل[١].

وتتجلى المفاصلة في طلب قوم شعيب: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾[الأعراف: ٨٨].

(فهم لم يطيقوا رؤية الحق يعيش؛ ولا رؤية جماعة تدين لله وحده وتخرج من سلطان الطواغيت)[٢]

وهنا صدع شعيب بالحق رافضاً هذا الذي يعرضه عليهم الطواغيت، قال تعالى: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾[الأعراف: ٨٩].

يقول صاحب الظلال القران: (إن معركة أهل الحق مع الطواغيت معركة مفروضة، فالطواغيت لن يتركوهم إلا أن يتركوا دينهم كلية، ويعودوا إلى ملة الطواغيت بعد إذ نجاهم الله منها. وقد نجاهم الله منها بمجرد أن خلعت قلوبهم عنها العبودية للطواغيت ودانت بالعبودية لله وحده... فلا مفر من خوض المعركة، والصبر عليها، وانتظار فتح الله بعد المفاصلة فيها؛ وأن يقولوا مع شعيب: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾. ثم تجري سنة الله بما جرت به كل مرة على مدار التاريخ. فموكب الإيمان الذي يسير

---

(١) تفسير البغوي، (٥/ ٢٢٤).

(٢) تفسير البغوي، (٢/ ٣٤٥).

في مقدمته رسل الله الكرام، مسبوق في السياق بموكب الإيمان في الكون كله إن الرسل الكرام لا يدعون البشرية لأمر شاذ؛ إنما يدعونها إلى الأصل الذي يقوم عليه الوجود كله؛ وإلى الحقيقة المركوزة في ضمير هذا الوجود. وهي ذاتها الحقيقة المركوزة في فطرة البشر؛ والتي تهتف بها فطرتهم حين لا تلوي بها الشهوات، ولا يقودها الشيطان بعيداً عن حقيقتها الأصيلة)[1].

وقد جاء الأمر بالمفاصلة والبراءة بين الحق والباطل في دعاء نبي الله نوح عليه السلام في أشدّ صورها، جاءت بين الأب وابنه ليُعلّمه الله البراءة من الشرك، فيقول تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٥ـ٤٧].

ومن الصور الرائعة في الولاء والبراء ما جاء في تبرئ إبراهيم من أبيه وقومه قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة: ٤]، قال ابن كثير: (أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن مَوعِدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يَدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون

(١) تفسير في ضلال القرآن، (٣/ ٢٣٨).

لهم، ويقولون: إنّ إبراهيم كان يستغفر لأبيه)[١].

وجاء أثر المفاصلة والتبرأ من المجرمين وعدم الاستعانة بالضالين المضلين في دعاء نبي الله موسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[القصص: ١٧] أي: (بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك)[٢]. ولم يقل نبي الله موسى عليه السلام بما أنعمت علي من المغفرة؛ (لأن هذا قبل الوحي، وما كان عالما بأن الله غفر له ذلك القتل. وفي الآية تنبيه على أن الضالين المضلين لا تنبغي الاستعانة بهم)[٣]، فالمعركة مستمرة بين الحق والباطل، وسيرة أنبياء الله ورسله وخلفائهم تبين ماكانوا عليه من حربٍ وصراع مع الكفار والظالمين والضالين والمجرمين، بعيدين عن مساندتهم وتأييدهم.

قال الزمخشري: (وأراد بمظاهرة المجرمين: إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده...، وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له)[٤].

وهذا عهد مطلق من نبي الله موسى عليه السلام ألا يقف مع المجرمين ظهيراً ومعيناً وهو منتهى البراءة من الجريمة وأهلها ومن كل صورة من صورها،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٨٧).

(٢) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٨٧).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥، (٣/ ٢٩٥)، وينظر: تفسيرالشعراوي، (٣١٩٧).

(٤) تفسير الكشاف، (٣/ ٤٠٣)، وينظر: تفسير النسفي، (٢/ ٦٣٤).

حتى ولو كانت مجرد اندفاعاً تحت تأثير الغيظ، أو تحت مرارة الظلم والبغي[١].

ويظهر هـذا التبرؤ من الظلم وأهلـه ـ أيضاً ـ في دعاء نبينا الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٣ ـ ٩٤].

فأن قيل: كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين، حتى يطلب أن لا يجعله معهم؟ قيل لهم: (يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله، وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله، إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه، وإخباتاً له)[٢].

فأقام الله تعالى أدلته العظيمة على المكذبين، فلم يذعنوا لها ولم يلتفتوا لها، فحق عليهم العذاب، ووعدوا بنزوله، وأرشد الله تعالى رسوله أن يقول: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾[المؤمنون: ٩٣]. أي: وقت أريتني عذابهم، وأحضرتني ذلك ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المؤمنون: ٩٤]. أي: اعصمني وارحمني، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنقم، واحمني أيضا من العذاب الذي ينزل بهم، لأن العقوبة العامة تعم ـ عند نزولها ـ العاصي وغيره، وقال الله تعالى في تقريب عذابهم: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾[المؤمنون: ٩٥]، ولكن إن أخرناه فلحكمة، وإلا فقدرتنا صالحة لإيقاعه فيهم[٣].

---

(١) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٥/ ٢٦٨٢).

(٢) تفسير الكشاف، (٣/ ٢٠٣)، وينظر: مفاتيح الغيب، (٢٣/ ٢٩١)، وتفسير النسفي، (٢/ ٤٨٠).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٥٥٨).

وهكذا جميع الأنبياء ما أن يُعلنوا بدعوتهم، حتى يعلن أقوامهم العداوة لهم. وحينها لابُدّ من ثبات أهل الحق على حقّهم، ولن يثبتوا بغير الولاء فيما بينهم والبراء ممن عاداهم. فالولاء والبراء سنةٌ كونيةٌ بين أصحاب الأديان والعقائد والمذاهب المختلفة، لن يزول مادام على وجه الأرض اختلاف. هذا المعتقد لا يخلو منه حيّ على وجه الأرض: بأن يُوالي من يوافقه، ويبرأ ممن يخالفه.

❒❒❒

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أثر أدعية الأنبياء في إثبات النبوات

وفيه ستة مباحث:

* المبحث الأول: إثبات النبوة والرسالة في أدعية الأنبياء.

* المبحث الثاني: أثر أدعية الأنبياء في إثبات بشرية الأنبياء.

* المبحث الثالث: أثر أدعية الأنبياء في وراثة الأنبياء.

* المبحث الرابع: أثر أدعية الأنبياء في إثبات عصمة الأنبياء.

* المبحث الخامس: أثر أدعية الأنبياء في إثبات معجزات الأنبياء.

* المبحث السادس: أثر أدعية الأنبياء في إثبات علم الأنبياء وطلب زيادته.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أثر أدعية الأنبياء في إثبات النبوات

المبحث الأوَّل

إثبات النبوة والرسالة في أدعية الأنبياء

مر معنا سلفاً معنى النبي والرسول والفرق بينهما، فلا داعي هنا في تكراره[1].

إذ من المعلوم أنّ النبوة فضلٌ من الله تعالى ونعمة، وهبة يهبها ويمنّ بها على من يشاء من عباده، وهي اصطفاء واختيار من الله تبارك وتعالى لأفضل خلقه وصفوة عباده، فيختارهم الله لحمل الرسالة ويصطفيهم من بين سائر البشر قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٣٣].

فالنبوة خاصة من الله يختص بها من يشاء من عباده لا تنال باجتهاد العبد ولا بكسبه أو رياضته ومجاهدته، ولا تدرك بتهذيب الروح ولا بتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق ولا بالوراثة وليس للذكاء فيها اثر وإنما هي بمحض الفضل الإلهي[2]، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ

---

(١) ينظر: صحيفة (٣٠) من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد =

ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[الحج: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[يونس: ١٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[البقرة: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[ص: ٤٧].

ومما يدلُّ على أن النبوة فضل وهبة من الله تعالى قصة نبينا الكريم محمد ﷺ مع المشركين، حين اعترض المشركون من قريش على رسالة محمد ﷺ واستغربوا نزولها على يتيم فقير لا يملك أسباب القوة والغنى وليس له من مظاهر السلطان والملك ما يجعله عظيماً في نظرهم.

ورأوا بنظرهم القاصر أن النبوة يجب أن تكون لغني عظيم شريف من الكبراء والسادة والعظماء ومن الوجهاء، ولكن الله تعالى ردّ عليهم بأسلوب مفحم، فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣١ ـ ٣٢].

فمن حكمة الله أنه قسم لكل إنسان رزقه ولكل مخلوق حظَّه من المال، والمال بالنسبة إلى النبوة أمر حقير فكيف يترك الأمر الجليل العظيم وهو الرسالة

= المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، صحيفة (٣٣)، وينظر: النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ، (١/ ٢٩٦)، وينظر: لوامع الأنوار البهية، (٢/ ٢٢٦).

والنبوة إلى أهواء الناس ونزعاتهم ورغباتهم؟ فهذا الأمر متروك لله سبحانه وتعالى وهو يفعل ما يشاء.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام: ١٢٤].

ولا يكون إثبات النبوة إلا بأمرين(١):

الأول: ادعاء النبوة.

الثاني: إظهار المعجزة.

ومن أسس العقيدة الإسلامية الإيمان بجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام فالمؤمنون يعتقدون إيماناً راسخاً ثابتاً لايتزعزع بالرسل والأنبياء عليهم السلام، وقد وصف القرآن الكريم إيمان المؤمنين: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥].

والله سبحانه وتعالى يأمر نبينا محمداً ﷺ ويأمرنا معه بذلك في كتابه العزيز: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٨٤].

وقد فضلَّ الله تعالى بعض الرسل على بعض، وخصَّ بعضهم بخصائص لم توجد في غيرهم ورفع رتبة بعضهم فوق رتبة الآخرين من الرسل قال الله

---

(١) المواقف، (٣/ ٤٦٥)، وشرح المقاصد، (٢/ ١٨٣)، والمنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، صحيفة (٥٦٢).

تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[البقرة: ٢٥٣].

وجاء في دعاء إبراهيم عليه السلام إثبات رسالة النبي ﷺ لمّا قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ١٢٩].

قال الرازي: يفيد كمال حال ذريته من وجهين:

أحـدهما: أن يكون فيهم رسول يكمل لهم الديـن والشرع ويدعوهم إلى ما يثبتون به على الإسلام.

والثاني: أن يكون ذلك المبعوث منهم لا من غيرهم لوجوه:

أحدها: ليكون محلهم ورتبتهم في العز والدين أعظم؛ لأنّ الرسول والمرسل إليه إذا كانا معاً من ذريته كان أشرف لطلبته إذا أجيب إليها.

والآخر: أنه إذا كان منهم فإنهم يعرفون مولده ومنشأه فيقرب الأمر عليهم في معرفة صدقه وأمانته.

والثالث: أنه إذا كان منهم كان أحرص الناس على خيرهم وأشفق عليهم من الأجنبي لو أرسل إليهم إذا ثبت هذا فنقول إذا كان مراد إبراهيم عليه السلام عمارة الدين في الحال، وفي المستقبل وكان قد غلب على ظنه أن ذلك إنما يتم ويكمل بأن يكون القوم من ذريته حسن منه أن يريد ذلك ليجتمع له بذلك نهاية المراد في الدين، ويضاف إليه السرور العظيم بأن يكون هذا الأمر في ذريته؛ لأن لا عز ولا شرف أعلى من هذه الرتبة(١).

(١) مفاتيح الغيب، (٤/ ٥٨)، وينظر: تفسير الشعراوي، (٨/ ٤٥١٥).

والرسول المقصود بدعوة نبي الله إبراهيم هو سيد الرسل محمد ﷺ، ومصداقه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾[الجمعة: ٢ ـ ٣]؛ لأن الأميين هم العرب بالإجماع، والرسول المذكور نبينا محمداً ﷺ إجماعاً، ولم يبعث رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا نبينا محمد ﷺ وحده(١).

وجاء في المسند من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عبد الله لخاتم النبيين وإنّ آدم عليه السلام لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين ترين»(٢).

ويظهر أثر دعاء الأنبياء فيما ذكره الله تعالى مبينا شكوى النبي ﷺ من قومه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهذا قول واقع من الرسول ﷺ فقد ضاق صدر الرسول ﷺ من الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت فشكاهم إلى الله تعالى، فقال ﷺ: إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن الذي أرسلتني به، وجئت به إليهم، وأمرتني بإبلاغه،

---

(١) أضواء البيان، (١/ ٤٤).

(٢) أخرجه أحمد، (٤/ ١٢٧)، وقال الشيخ شعيب: حديث صحيح لغيره دون قوله: (وكذلك أمهات النبيين ترين).

مهجوراً متروكاً فلم يؤمنوا به، ولم يقبلوه بوجه من الوجوه [١].

وكذا في أمره تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعاء: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[الكهف: ٢٤]. إشارة إلى قصَّة أصحاب الكهف، أي اسأل ربك وقل: (لعلَّ الله يؤتيني من البيِّنات والدلائل على صحَّة نبوَّتي وصدقي في ادِّعاء النبوة ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من قصَّة أصحاب الكهف، وقد فعل الله ذلك حين آتاهُ من قصص الأنبياء، والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك)[٢].

ومن المقتضيات التي تلزم النبوة والرسالة كما جاء ذكرها في أدعية الأنبياء ـ وغيرها ـ في القرآن الكريم: بشرية الأنبياء، وتوريثهم وعصمتهم من الزلل، وسأذكرها باقتضاب يناسب البحث.

❐❐❐

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٤/ ٤٥٥)، وفتح القدير للشوكاني، (٥/ ٢٧٣).

(٢) تفسير اللباب، (١٢/ ٤٦٢).

المبحث الثاني

أثر أدعية الأنبياء في إثبات بشرية الأنبياء

الأنبياء والرسل بشركسائر البشر، يملكون مشاعر البشر، وهو أمر فطري فليس مطلوباً منهم أن يتجاوزوا حدود فطرتهم، فهو من خصائصهم وميزاتهم، اصطفاهم الله تعالى وفضلهم وكرمهم بالوحي إليهم، خلقهم الله تعالى يأكلون ويشربون، ينامون ويمرضون، يجوعون ويعطشون، يحزنون ويستبشرون، وغير ذلك من الصفات البشرية التي ليس فيها نقص عليهم. اختارهم الله تعالى من البشر ليكونوا على صلة وثيقة بهم ودليل ذلك من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

واقتضت حكمة الله تعالى في أصفيائه من البشر الذين اختارهم لحمل رسالته، أن تجري عليهم الخصائص البشرية، أي أنهم يتصفون بطبيعة بشرية، بما حباهم الله من فضل النبوة والوحي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠].

إنّ منشأ امتيازهم كونهم بلغوا في بشريتهم هذه أعلى سامقة مهيأة لبني الإنسان، في الاحتفاظ بخصائص البشر في الأرض مع الاستمساك بعروة السماء[١].

---

(١) ينظر: تفسير في ظلال القران، (٦/ ٦٣)

ونرى أن بشرية الدعاء قد تجسدت في تسبيح نبي الله يونس عليه السلام واستغفاره واعتراف بالذنب، حين خرج مغاضبا دون أمرٍ من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]. فكانت النتيجة: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٨].

وكذلك استغفار موسى عليه السلام، قائلا: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ﴾[الأعراف: ١٥١]. قال أبو حيان: (استغفاره لنفسه كان بسبب فعْلته مع أخيه وعجلته في إلقاء الألواح)[١].

فبعد اشتداد الغضب عند موسى عليه السلام دعا ربه مستجيراً تائبا.

وعند تكليفه عليه السلام بالرسالة لأطغى طواغيت الأرض: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ١٢-١٣].

يقول صاحب الظلال: (إنّ خوفه ليس من مجرد التكذيب، لكن من حصوله في وقت يضيق فيه صدره ولا ينطلق لسانه، فلا يملك أن يُبيّن، وأن يناقش هذا التكذيب ويفّنده، إذ كانت بلسانه حُبْسة، وهي التي قال عنها: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾[طه: ٢٧]، فمن هنا خشي موسى أن تقع له هذه الحالة، وهو في موقف المواجهة بالرسالة لظالم جبار كفرعون، فشكا إلى ربه ضعفه... وطلب إليه أن يوحي إلى هارون... ويشركه معه في الرسالة؛ اتقاء للتقصير في

(١) البحر المحيط، (٤/ ٣٩٥).

أداء التكليف)[(١)]. فسأل الله حاجته البشرية إلى السند والعون، وانشراح الصدر، وتيسير الأمر، وهي أمور لاتكون الا بمعونة الله تعالى، قال تعالى على لسان نبيه الكليم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾[طه: ٢٥ـ٣٢].

وفي دعاء عيسى عليه السلام حين تبرأ من قولهم ونفى كونه إلها، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦]. فقد أثبت عليه السلام الإلوهية لله تعالى، ونفاها عن نفسه وأمه[(٢)].

ونلمس بشرية الدعاء في لهفة نوح عليه السلام على ولده الذي كان من المغرقين، وكان يظن انه سيكون من الذين وعده الله تعالى بإنجائهم: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾[هود: ٤٥].

فلما أعلمه الله تعالى بأنه ليس من أهله الذين وعده بأنجائهم، قال: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾[هود: ٤٧].

فأنبياء الله تعالى ذووا طبيعة بشرية، يتوجهون إلى الله تعالى وقت حاجتهم إلى معونة الله في أمورهم كلها. وقد أثبت الأنبياء بشريتهم طوال فترة دعواتهم، وشواهد ذلك كثيرة في حياة الأنبياء، حيث أن أمر بشريتهم صار موضع جدل

(١) تفسير في ظلال القران، (٦/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

(٢) ينظر: دعاء الانبياء في القران الكريم، (١١٩).

لدى أقوامهم، وأنّ بشريتهم من الأسباب المباشرة لتكذيبهم، فالأنبياء عليهم السلام لم يَفتُرون عن دعـاء الله، ومن الحاجات التي كانت من مقتضيات بشريتهم شعور الخليل إبراهيم عليه السلام إلى الذرية فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وطلب نبي الله زكريا عليه السلام الذرية بعدما تقدم به السن ولم ينجب، وزكريا عليه السلام حينما شعر بحاجته للذرية، كان من أجل حَمل همّ الدعوة من بعده، ووراثة الدين، فقال: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ ـ ٦].

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠].

وكذلك إعتراف آدم عليه السلام بالذنب حين نسي، وأكل من الشجرة، والنسيان فطرة بشرية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾[طه: ١١٥]، فتاب قائلا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣].

وأيوب عليـه السلام حين تعرض للبلاء في بدنه وماله وأهله وولده، شكا حاله لربه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: (ولم يكن قوله: ﴿مَسَّنِىَ

﴿ٱلضُّرُّ﴾ جزعاً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾[ص: ٤٤]، بل كان ذلك دعاء منه، والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله تعالى، والدعاء لا ينافي الرضا)[١].

فالأنبياء عليهم السلام هم أشدّ النّاس بلاءً، فعن سعد بن أبِي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[٢].

ولقد ظهرت ملامح بشرية دعاء الأنبياء من خلال مااتصفوا به من صفات بشرية لا تنفك عنهم، شأنهم في ذلك شأن سائر البشر الذين تجد في أصل فطرتهم اهتمامات مادية وأخرى روحية، فأما الاهتمامات المادية من الطعام والشراب (كونهم جسدا يحتاجون لما يحتاج إليه البشر من الطعام والشراب... ومن ذلك أنهم ولدوا كما ولد البشر، ولهم آباء وأمهات... ويصيبهم ما يصيب البشر من أعراض)[٣].

وفي دعاء إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[البقرة: ٢٦٠] (يكشف عمّا يختلج أحيانا من الشوق والتطلع، لرؤية

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١١/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي، (٤٩٢٦)، قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (١٤٣).

(٣) ينظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر، صحيفة (٧٤).

أسرار الصنعة الإلهية، في قلوب أقرب المقربين... لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره... إنه أمر الشوق الروحي، إلى ملابسة السرّ الإلهي، في أثناء وقوعه العملي... لكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل، ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها)[١].

ولما كانت نوازع الفطرة في نفوس الأنبياء فإنهم محكومون لقوانين اللذة والألم كالبشر، فكانوا يعانون متاعب الحياة ويتعرضون للبلاء، ويظهر ذلك من خلال ما بثوه لخالقهم، وإن هذه الابتلاءات لتكشف الضعف الإنساني، وتدفع العاقل دفعا إلى الوقوف بباب الله، يطلب معافاته، يرجو رحمته، فإذا عظم الخطب، اشتد إلى الله الفزع[٢].

وكذلك نلمح البشرية في دعاء الصدّيق، يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾[يوسف:٣٣]، (وهي دعوة الإنسان العارف ببشريته، الذي لا يغتر بعصمته فيريد مزيدا من عناية الله وحياطته)[٣].

قال صاحب الظلال: (تلك سّنة الله في الدعوات، ولا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد، ولا بقية من طاقة، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة، فينجو الذين يستحقون النجاة... ذلك

(١) في ظلال القران، (١/ ٤٤١).

(٢) ينظر: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، صحيفة (٦٢).

(٣) تفسير في ظلال القران، (٤/ ٧١٨).

كي لا يكون النصر رخيصا، فتكون الدعوات هزلا، فلو كان النصر رخيصا، لقام في كل يوم دعيّ بدعوة لا تكلفه شيئا... ودعوات الحق، لا يجوز أن تكون عبثا ولالعبا، فإنما هي قواعد الحياة البشرية، مناهج ينبغي صيانتها وحراستها من الأدعياء، والأدعياء لا يحتملون تكاليف الدعوة... فإذا ادعوها عجزوا عن حملها وطرحوها)(١).

ومما يؤيد بشريتهم ما أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال الآخر: إني أصوم الدهر فلا أفطر وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢).

❑❑❑

(١) تفسير في ظلال القران، (٥/ ٥٩).

(٢) صحيح البخاري (٤٧٧٦).

المبحث الثالث

أثر أدعية الأنبياء في إثبات وراثة الأنبياء

جاء ذكر الوراثة في نداء زكريا لربه، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ ـ ٦].

فوراثة الأنبياء ليست وراثة مال، بل وراثة كتاب ودعوة وقِيَم؛ ومما يؤكد ذلك ما أخرجه البخاري عن النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث؛ ما تركناه صدقة»[1].

وقال سبحانه في وراثة سليمانُ لأبيه داود عليهما السلام، وهي ليست وراثة مال أيضاً: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[النمل: ١٦]. فإنّ سليمان عليه السلام لم يرث من داود عليه السلام المال وإنما ورث النبوة والحكمة والعلم[2] لأمرين اثنين:

الأول: كان لنبي الله داود عليه السلام أحد عشر ولداً فلماذا يختص إرث ماله بواحد منهم سليمان عليه السلام وليس هو أكبرهم، وكان داود عليه السلام قد أقام سليمان مَلِكاً على إسرائيل، وبهذا يظهر أن ليس في الآية ما يحتج به أن يورث مال النبي عليهم الصلاة والسلام[3].

---

(١) أخرجه البخاري، (٣٠٩٣)، ومسلم، ٣/ ١٣٧٧ (١٧٥٨).

(٢) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، (٣/ ٣٦٣).

(٣) ينظر: تفسير البغوي، (٦/ ١٤٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/ ٤٢)، والتحرير =

الثاني: لوكان الأمر إرثاً مالياً لما كان لذكره فائدة في كتاب الله تعالى، والوراثة المالية ليست صفة مدح أصلاً لا لداود ولا لسليمان عليه السلام، ولا اختصاص لسليمان عليه السلام في وراثة مال أبيه!!، وجاءت الآية في بيان المدح لسليمان عليه السلام وما خصه الله به من الفضل، وإرث المال هو من الأمور العادية التي يشترك فيها الناس كالأكل والشرب ودفن الميت، ومثل هذا لا يُقص عن الأنبياء، إذ لا فائدة فيه، وإنما يُقص مافيه عبرة وفائدة يُستفاد منها.

وقد بين ابن تيمية رحمه الله الحكمة في عدم توريث الأنبياء كغيرهم من الناس، فقال: (والفرق بين الأنبياء وغيرهم أن الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورِثوا دنيا لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وَوَرثوها لورثتهم. كما صان الله تعالى نبينا ﷺ عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة)[1].

أما وراثة الأمة والجماعة للكتاب ـ وإن لم تقم بحق هذه الوراثة على وجهها المطلوب ـ فيقررها الله سبحانه في كتابه العزيز بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[الأعراف: ١٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [غافر: ٥٣]. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا

= والتنوير، (١٩/ ٢٣٣)، والبحر المديد، (٥/ ٣١٢).

(١) منهاج السنة، (٢/ ١٥٧ـ ١٥٨).

كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[الشورى: ١٤].

والاستدلال بقول الله تبارك وتعالى عن زكريا عليه السلام، على جواز توريث الأنبياء لأبنائهم استدلال غريب يفتقد إلى المنطق في جميع حيثياته، وذلك لعدة أمور إضافة لما سبق منها:

أولا: إنّ لفظ (الإرث) ليس محصور الاستخدام في المال فحسب، بل يستخدم في العلم والنبوة والملك وغير ذلك كما يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[فاطر: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون: ١٠ ـ ١١]، فلا دلالة في الآية السابقة على وراثة المال[(١)].

ثانياً: لا يليق برجل صالح أن يسأل الله تبارك وتعالى ولداً لكي يرث ماله فكيف ننسب ذلك لنبي كريم كزكريا عليه السلام في سؤال ربه ولداً لكي يرث ماله، إنما أراد زكريا عليه السلام من الله عز وجل أن يهب له ولداً يحمل راية النبوة من بعده، ويرث مجد آل يعقوب العريق في النبوة.

ثالثاً: الحديث الذي رواه أبو الدرداء عن النبي ﷺ «... إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم...»[(٢)]. يتضمن نفي صريح لجواز

(١) ينظر: وروح المعاني، (٢/ ٤٢٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢)، .

(٢) أخرجه الإمام أحمد، (٥/ ١٩٦)، والدارمي، (٣٤٢)، وأبو داود، (٣٦٤١)، وابن ماجه، (٢٢٣)، والترمذي (٢٦٨٢).

وراثة أموال الأنبياء، وهذا كاف بحد ذاته.

قال الإمام ابن حبان: (في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا هم الذين يعلمون علم النبي ﷺ دون غيره من سائر العلوم ألا تراه يقول: «العلماء ورثة الأنبياء» والأنبياء لم يورثوا إلا العلم وعلم نبينا ﷺ سنته فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء)(١).

رابعاً: كيف يطلب زكريا عليه السلام من الله تبارك وتعالى أن يرزقه وارثاً، والمشهور عنه أنّه كان يعمل نجاراً يأكل من كسب يديه، والأصل أنّ أنبياء الله تعالى لا يدخرون من المال فوق حاجتهم بل يتصدقون به في وجوه الخير(٢).

وهكذا فالوراثة المقصودة في دعاء نبي الله زكريا هي وراثة العلم والدين كما سبق من قول أهل العلم. والله أعلم.

❑❑❑

(١) صحيح الامام ابن حبان، (٨٨).

(٢) ينظر: روح المعاني، (٢/ ٤٢٨).

المبحث الرابع
أثر أدعية الأنبياء في عصمة الأنبياء

ويشتمل على توطئة وخمسة مطالب.

عصمة الأنبياء عليهم السلام، موضوع عقدي خطير أشغل ذهن علماء الإسلام فتحدثوا عن إثبات العصمة أو نفيها، قبل النبوة أو بعدها، في تبليغ الأحكام وفي غيرها.

وهي قضية من قضايا العقيدة، واصلٌ من أصول الدين لا من فروعه التي يجوز فيها الخلاف، وقد أكثر المتكلمون المحكِّمون لعقولهم الكلام عليها وتفصيله، حتى قالوا ما تقشعر منه الجلود، وتنفر منه الطباع السليمة، واستفاضوا في تفاصيل لا يترتب عليها أي عمل، ولا يتعلق بها أي مقصود، وأكثروا من تجويزات عقلية ـ لا وجود لها إلا في أذهانهم ـ في هذا الموضوع الواقعي، فجرَّهم ذلك الترفُ الفكري إلى أن جوزوا على الأنبياء ما لا يجوز، وصرحوا بما يتحاشى كل مسلم أن يصرح به، وجرَّؤُوا السفهاء ممن لا عقل لهم، أو لا دين لهم ـ من العلمانيين والمستشرقين والمستغربين ـ على منصب النبوة بهذه الأقوال السمجة[1].

ومن هـذه الافتراضات، ما ذهب إليـه الباقلاني وارتضاه الآمدي أن النبي ﷺ لا تجب عصمته من الكذب غلطاً ونسياناً[2]. ومنها ماذهب إليه بعض

---

(١) ينظر: جلاء العينين، صحيفة (٤٨٩)، والرسل والرسالات، عمر الأشقر، صحيفة (١٠٤).

(٢) ينظر: حجية السنة، صحيفة (١٠٠).

الكرامية في تجويز الكذب عليهم في التبليغ[١].

ومنها أن بعض الخوارج، جوزت الكفر على الأنبياء قبل البعثة، حكاه صاحب (المواقف)، وزعم هو أنه لم يقم دليل سمعي على امتناع صدور الكبائر منهم قبل النبوة[٢].

واختلف المتكلمون في تعريفها اختلافا كثيرا أدى إلى تناقضهم وافتراضهم أموراً لا وجود لها إلا في أذهانهم، وكل منهم ينطلق في النظر للعصمة من منحاه العقدي[٣].

وأقربُ التعاريف للصواب، هو قول ابن النجار: (إن العصمة صرف دواعي المعصية عن المعصية، بما يلهم الله المعصوم من ترغيب وترهيب)[٤].

إنّ عصمة الأنبياء وعلى رأسهم رسول الله ﷺ ضرورة دينية، وهي سبيل حجية وحي الله تعالى من القرآن والسنة. وإن الله تعالى قد عصم الأنبياء جميعاً من مجرد الوقوع في الخطيئة، أو الاقتراب منها، أو التفكير فيها؛ لأن الله تعالى خلقهم مجبولين على مجانبتها والمنافرة لها، لما علمه تعالى من أنهم سيكونون مصابيح الظلام، وهداة الأنام، يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ويرشدونهم إلى

---

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٤/ ٢).

(٢) المواقف، (٣/ ٢٠٤).

(٣) ينظر: الشفا، القاضي عياض، (٢/ ٣٢٧-٣٢٨)، والإرشاد للجويني، صحيفة (٢٩٨).

(٤) شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، (٢/ ١٦٧).

صراط العزيز الحميد. فكان جل تفكيرهم في عظمة الله سبحانه وتعالى، وأخذ الأشياء بحلالها وليس بحرامها مهما كانت المغريات؛ لأن الله جعلهم قدوة وأسوة للبشر في أفعالهم ليقتدي الناس بهم.

وقد أجمع جميع العلماء على عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في كل ما يتعلق بالتبليغ. واختلفوا في عصمتهم من الصغائر التي لا تَعَلُّق لها بالتبليغ اختلافاً مشهوراً معروفاً في الأصول. ولا شك أنهم صلوات الله عليهم وسلامه إن وقع منهم بعض الشيء فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله حتى يبلغوا بذلك درجة أعلا من درجة من لم يقع منه ذلك. كما قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[طه: ١٢١]، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾[طه: ١٢٢].

*** المطلب الأول ـ العصمة لغة واصطلاحاً:**

أولاً: العصمة في اللغة: المنع والحفظ والوقاية، قيل عَصَمَهُ يَعصِمَهُ عَصماً أي منعه ووقاه، واعتصم فلان بالله أي امتنع بلطفه من المعصية (١). أي: (هي مطلق الحفظ)(٢).

قال تعالى على لسان ابن نوح عليه السلام: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾[هود: ٤٣]. أي يمنعني من تغريق الماء، ويقال: دعي إلى مكروه فاستعصم، أي امتنع وأبى وطلب العصمة منه، وقال تعالى حكاية عن امرأة العزيز حين

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (عصم)، (١٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤)، ومقاييس اللغة، (٤/ ٣٣١).
(٢) جوهرة التوحيد، صحيفة (١٣٣٤)، وحاشية البيجوري على السلم، صحيفة (٢٣).

راودت يوسف عليه السلام عن نفسه: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، أي: تأبى عليها ولم يجبها إلى ما طلبت[١].

ثانياً: العصمة في الاصطلاح: هي (حفظ الله المكلف من الذنب مما استحال وقوعه من المحفوظ، والمراد عصمتهم ـ أي الأنبياء ـ من ذلك ظاهراً وباطناً، فالله تعالى عصم ظاهرهم من الزنا، وشرب الخمر، والكذب، وغير ذلك، وعصم باطنهم من الحسد، والرياء وحب الدنيا إلى غير ذلك من منهيات الباطن)[٢].

وقيل في تعريفها: هي خُلُق مانع عن ارتكاب المعصية، غير ملجئ إلى تركها، فلا يكون مضطراً في ترك المعصية[٣]. فهي للأنبياء وذلك للزوم أداء الرسالة وتبليغها.

قال الجرجاني رحمه الله: (العِصْمة: مَلَكة اجتناب المعاصي مع التمكين منها)[٤].

وقيل: هي لطفٌ من الله تعالى، يحمل المرء على فعل الخير ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار، تحقيقا للابتلاء، أي أن لا يخلُق الله تعالى فيهم ذنباً[٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب، (١٢/ ٤٠٣)، والقاموس المحيط، صحيفة (١١٣٨)، والمصباح المنير، (٢/ ٤١٤).

(٢) حاشية البيجورى على جوهرة التوحيد، صحيفة (١٦٠).

(٣) دراسات أصولية في السنة، للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى، صحيفة (١٩ ـ ٢٠)، وينظر: إرشاد الفحول، (١/ ١٠٠)، والبحر المحيط، للزركشي، (٤/ ١٦٩ ـ ١٧٢).

(٤) التعريفات، صحيفة (١٥٠).

(٥) ينظر: المسايرة والمسامرة، صحيفة (٢٢٩)، المواقف، (٣/ ٤١٨).

فالأنبياء معصومون [1]:

١ ـ من الشرك باتفاق أهل العلم.

٢ ـ كل ما يخل بتبليغ الرسالة وخدمتها.

٣ ـ عن سفاسف الأخلاق من الفواحش ونحوها؛ لأنه لا يليق بمقام النبوة.

٤ ـ عن الإقرار على الذنوب، والذنب إما أن يكون من الصغائر أو من الكبائر.

* * *

*** المطلب الثاني ـ العصمة من الكبائر والصغائر:**

أولا: العصمة من الكبائر: اتفق أهل الإسلام على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قد عُصِموا من كل ما يخل بالتبليغ، كالشرك، والجهل بالأحكام المنزلة عليهم، وكتمان الوحي، والكذب، والوسواس، وأن يقولوا ما ليس بحق، والتقصير في البلاغ، وتسليط الشيطان وتلبيسه عليهم، وتسليط الإنس أيضا عليهم بالإيذاء المُخِل بالرسالة. وبالجملة فهم معصومون من جميع الكبائر، والإجماعُ على هذا حكاه غير واحد [2].

---

(١) ينظر: الفقه الأكبر، أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت: ١٥٠هـ)، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، صحيفة (٣٧)، وأصول الدين، الغزنوي، صحيفة (١٣٨).

(٢) ينظر: الوصول إلى الأصول، ابن برهان، صحيفة (٣٥٨).

قال الزركشي: (والكلام في العصمة يرجع إلى أمور:

أحدها: في الاعتقاد، ولا خلاف بين الأمة في وجوب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة، وهو الجهل بالله تعالى، والكفر به.

وثانيها: أمر التبليغ، وقد اتفقوا على استحالة الكذب والخطأ فيه.

وثالثها: في الأحكام والفتوى، والإجماعُ على عصمتهم فيها، ولو في حال الغضب، بل يُستَدل بشدة غضبه ﷺ على تحريم ذلك الشيء.

ورابعها: في أفعالهم وسيرهم، فأما الكبائر فحكَى القاضي إجماع المسلمين أيضا على عصمتهم فيها، ويلحق بها ما يُزْرِي بمناصبهم، كرذائل الأخلاق والدناءات، وإنما اختلفوا في الطريق، أهو الشرع أو العقل)(١).

وعصم الله تعالى أنبياءه مِنْ تَعَمُّدِ ما يُخِلُّ بالتبليغ إجماعاً بدلالة المعجزة، ومن السهو والغلط فيه على الصحيح. والذاهبون إلى تجويز ذلك عليه يجمعون على اشتراط التنبيه فوراً من الله تعالى، وعدم التقرير عليه(٢).

وقد أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(٣).

فلم تُعرف لهم زَلة، ولا سُجلت عليهم هفوة في تلك المجتمعات المليئة بالشحناء والعداوة والبغضاء لهم، ولو علم أعداؤهم شيئاً من ذلك لطاروا به

---

(١) البحر المحيط، (٤/ ١٧٠).

(٢) ينظر: حجية السنة لعبد الغني عبد الخالق، صحيفة (٢٧٩).

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧)، وإرشاد الفحول، (١/ ٩٨).

فرحاً، إذ كانوا في غاية التربص لتصيد عثراتهم إن وجدوها، فلما يئسوا من العثور على شيء من ذلك، طفقوا يفترون الكذب والزور، فيرمونهم بالسحر أوالكهانة أوالجنون... وغير ذلك، ولكن سرعان ما تبور أقوالهم، وترجع عليهم بالخزي والعار، ويبقى جانب الأنبياء مصوناً بالعصمة الإلهية، والعناية الربانية، ليكونوا أطهاراً أتقياء قادة الخلق إلى مكارم الأخلاق، وما كان لهم بذلك من يد لولا العصمة الربانية التي أحاطت بهم قبل نبوتهم وبعدها فمنعتهم من الوقوع فيما لا يحمد مما يكون منفرداً للناس عن أتباعهم إلى ما يدعونهم إليهم من الدين والأخلاق الفاضلة(١).

والكبائر في اللغة: (ما يترتب عليها حدٌ او توعد بالنار أو اللعنة أو الغضب)(٢).

والكبائر إما ان تكون كفراً أو كذباً او الذنوب الكبيرة الاخرى.

وقد أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء من الكبائر (٣)، فهم معصومون:

١ ـ من الكفر: إتفق جمهور المسلمين على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده، وفي حال صغرهم ولا يجوز الكفر عليهم تبعاً

---

(١) ينظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجورى، صحيفة (٧٥)، وأخلاق النبى ﷺ فى القرآن والسنة للدكتور أحمد الحداد، (٢/ ٩٩٠ ـ ٩٩١).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٣٦١)، والشورى بين النظرية والتطبيق، د. قحطان الدوري، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٤، صحيفة (١١٤ ـ ١١٥).

(٣) ينظر: الفقه الأكبر، صحيفة (٣٧)، والمواقف (٣/ ٤١٥)، وشرح المقاصد، (٢/ ١٩٣)، والرسل والرسالات، صحيفة (١٠٤).

لوالديهم، كونهم مؤمنون بالله، عارفون به تعالى على الحقيقة، فلا يجوز جريان حكم الكفر عليهم تبعاً(١).

وقد جاء دليل ذلك قي دعاء النبي محمد ﷺ ومن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥].

وفي دعاء نبي الله شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

(ففي قوله عليه السلام: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾[الأعراف: ٨٩]، تأدب مع الله وتفويضُ أمره وأمرِ المؤمنين إليه، أي: إلاّ أن يقدّر الله لنا العود في ملّتكم فإنّه لا يسأل عمّا يفعل، فأمَا عود المؤمنين إلى الكفرِ فممكن في العقل حصوله وليس في الشرعِ استحَالته، والارتداد وقع في طوائف من أمم.

وأمّا ارتداد شعيب بعد النبوءَةِ فهو مستحيل شرعاً لعصمة الله للأنبياء، فلو شاء الله سلب العصمة عن أحد منهم لَمَا ترتّب عليه محال عقلاً، ولكنه غير

---

(١) ينظر: شرح العقائد النسفية، سعد الدين بن مسعود التفتازاني (ت: ٧٩١هـ)، مطبعة المثنى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ، صحيفة (١٣٦)، وشرح المقاصد، (٢/ ١٩٣)، ولوامع الأنوار البهية، (٢/ ٣٠٤).

ممكن شرعاً، وقد علمتَ آنفاً عصمة الأنبياء من الشرك قبل النبوءة فعصمتهم منه بعد النبوءة بالأولى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥].

وفي قول شعيب: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾[الأعراف: ٨٩]، تقييدُ عدم العود إلى الكفر بمشيئة الله، وهو يستلزم تقييد الدوام على الإيمان بمشيئة الله، لأن عدم العود إلى الكفر مساو للثبات على الإيمان، وهو تقييد مقصود منه التأدب وتفويض العلم بالمستقبل إلى الله، والكناية عن سؤال الدوام على الإيمان من الله تعالى كقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[آل عمران: ٨])[1].

٢ ـ عصمتهم عليهم السلام من الكذب:

الكذب: ضد الصدق الذي يدل على مطابقة حكم الخبر للواقع[2]. وأجمع أهل الملل والشرائع، وأكثر الأئمة الأعلام على استحالة صدور الكذب عن الأنبياء عمداً أو سهواً أو على سبيل النسيان [3].

قال ابن النجار: (فالإجماع منعقـد على عصمتهم من تعمد الكذب في الأحكام وغيرها، لأن المعجزة قـد دلت على صدقهم فيها، فلو جاز كـذبهم

---

(١) التحرير والتنوير، (٩/ ٩ ـ ١٠).

(٢) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت: ١١٢٦هـ)، دار الفكر، بدون طبعة، ١٤١٥هـ، (١/ ٤٨٠).

(٣) ينظر: شرح العقائد النسفية، صحيفة (١٣٦)، ولوامع الأنوار، (٢/ ٣٠٧)، والوسيلة، صحيفة (٦٩٥).

فيها، لبطلت دلالة المعجزة، ولا يقع ما يخل بصدقهم لا غلطاً ولا سهواً عند الأكثر)[١]. فالأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر التي توجب النفرة منهم قبل بعثتهم[٢].

وعلى قول الجمهور فهم معصومون من الكبائر عمدا أو على سبيل السهو والخطأ في التأويل بعد البعثة[٣]، وهو الراجح، والله أعلم.

ثانياً: عصمتهم عليهم السلام من الصغائر، وهي نوعان:

١ ـ صغائر حسية، كسرقة حبة أو لقمة، وقد أتفق العلماء على أن الأنبياء عليهم السلام معصومون منها قبل البعثة وبعدها، فلا تصدر عنهم لا عمداً ولا سهواً[٤].

٢ ـ الصغائر الأخرى، كالنسيان مثلاً، والأنبياء عليهم السلام غير معصومين منها قبل البعثة عمداً وسهواً. وهم معصومون منها عمداً بعد البعثة وتجوز سهواً، ولكنهم لا يصرون عليها ولا يقرون بها، بل يُنبهون فينتبهون، وأما النسيان فلا يمتنع وقوعه من الأنبياء، قيل إجماعا، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»[٥]، فأضاف

---

(١) شرح الكوكب المنير، (٢/ ١٦٩).

(٢) ينظر: شرح العقائد النسفية، صحيفة (١٣٦)، والمواقف، (٣/ ٤٢٨).

(٣) المواقف، (٣/ ٤٣١)، وينظر: شرح العقائد النسفية، صحيفة (١٣٦)، وأصول الدين الإسلامي، صحيفة (٢٤٧).

(٤) ينظر ما سبق.

(٥) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مطولاً في كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة حيث كان (٤٠١). ومسلم في المساجد باب السهو في =

النسيان إليه. وهذا ما عليه الجمهور من المحققين والمحدثون والسلف الصالح[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر الآمدي أن هذا قولُ أكثر الأشعرية، وهو قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقَل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم، إلا ما يوافق هذا القول...)[(٢)].

والعصمة سبيلها حجية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعليه فلا معنى لإثارة الخلاف حول عصمة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قبل نبوتهم من المعاصي كبائرها وصغائرها من حيث الوقوع أو عدمه، أو من حيث امتناعه سمعاً أو عقلاً! فعصمة الرسل والأنبياء مبنية على إرادة إلهية وهي اصطفاء الله عز وجل لهم، وعصمتهم من كل ما يخل بهذا الاصطفاء، قبل نبوتهم وبعدها، وهم في عالم الغيب لم يخلقوا بعد![(٣)].

وقد أثبت الله تعالى لرسوله العصمة في كتابه الكريم إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ

= الصلاة (٥٧٢). وغيرهما

(١) مجموع الفتاوى، (٤/ ٣١٩) و(١٥/ ١٤٨)، وينظر: المواقف، (٣/ ٤٢٥)، وشرح المقاصد، (٢/ ١٩٣)، ولوامع الأنوار، (٢/ ٣٠٤)، وشرح العقائد النسفية، صحيفة (١٣٦)، وأصول الدين، البغدادي، صحيفة (١٦٧).

(٢) مجموع الفتاوى، (٤/ ٣١٩).

(٣) ينظر: رد شبهات حول العصمة، الشربيني، صحيفة (٥).

وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٦٧].

قال القرطبي: (دلت الآية على رد قول من قال: إن النبي ﷺ كتم شيئاً من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة، ودلت على أنه ﷺ لم يسرَّ إلى أحد شيئاً من أمر الدين؛ لأن المعنى بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهراً، ولولا هـذا ما كان في قولـه عز وجل فائـدة...، وقال ابن عباس رضي الله عنـه: (المعنى: بَلِّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئاً فما بلغت رسالته)[١]. وعصمة الأنبياء عن الذنب لا تعطي معنى الجبر على ترك الذنب، بل ذلك ينفي العصمة؛ إذ مع الجبر لا معنى للتكليف ولا فخر في ترك الذنب ولا قيمة له)[٢].

وقد جاء في أدعية الأنبياء مايشعر بمعصية الأنبياء، وما نقل من ذلك فيحمل بأنه نسيان أو زلة، او بأنه حدث قبل البعثة، أو بأنه من الصغائر، أو من باب ترك الأولى والأفضل[٣].

ومن ذلك: ما ورد في قصة نبي الله موسى عليه السلام من قتله للرجل القبطي، وان قتله كان ظلماً وعدواناً قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾[القصص: ١٥].

فطلب نبي الله موسى عليه السلام المغفرة من ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٦/ ٢٤٢).

(٢) ينظر: لماذا نحن مسلمون، حميد جابر القرشي، صحيفة (١٥٦).

(٣) ينظر: شرح المقاصد، (٢/ ١٩٤)، وشرح العقائد النسفية، صحيفة (١٣٦)، ومعارج القبول، (٣/ ١٠٣٢).

أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[القصص: ١٦ ـ ١٧]، وقوله في موضع آخر: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[الشعراء: ٢٠]. وفيها دليل على انه أرتكب ذنبا، والمعروف أن هذه الحادثة قد وقعت قبل نبوته عليه السلام، وجاز أن يكون قتله للقبطي خطأً، وما جاء عنه عليه السلام من أقوال دليلٌ على التواضع وهضم النفس، والانقطاع إلى الله، والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه(١).

ومما جاء موهماً وقوع الأنبياء في المعصية في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٧]. فقد يلتبس على بعض الناس معنى مغاضبا فيظنه مغاضباً ربه سبحانه، وهذا ينافي العصمة، بل المعنى أنه مغاضباً قومه. وفي قوله (لن نقدر عليه): أي لن نضيق عليه(٢).

قال الشنقيطي: (أما قول من قال: إنّ ﴿لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾[الأنبياء: ٨٧]، من القدرة: فهو قول باطل بلا شك. لأن نبي الله يونس لا يشك في قدرة الله على كل شيء، كما لا يخفى).

وقوله في هذه الآية الكريمة: (﴿مُغَٰضِبًا﴾[الأنبياء: ٨٧] أي في حال كونه مغاضبا لقومه. ومعنى المفاعلة فيه: أنه أغضبهم بمفارقته وتخوفهم حلول العذاب بهم، وأغضبوه حين دعاهم إلى الله مدة فلم يجيبوه، فأوعدهم بالعذاب. ثم خرج من بينهم على عادة الأنبياء عند نزول العذاب قبل أن يأذن الله له في الخروج. قاله أبو حيان في البحر. وقال أيضا: وقيل معنى ﴿مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧]

---

(١) ينظر: شرح المواقف، (٣/ ٣٤٦)، وشرح المقاصد، (٢/ ١٩٦).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القران، (١١/ ٣٣١).

غضبان، وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكا. نحو عاقبت اللص، وسافرت اهـ . واعلم أن قول من قال: ﴿مُغَٰضِبًا﴾ أي مغاضبا لربه كما روي عن ابن مسعود، وبه قال الحسن والشعبي وسعيد بن جبير، واختاره الطبري والقتبي، واستحسنه المهدوي، يجب حمله على معنى القول الأول. أي مغاضباً من أجل ربه. قال القرطبي بعد أن ذكر هذا القول عمن ذكرنا: وقال النحاس: وربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة، وهو قول صحيح، والمعنى: مغاضبا من أجل ربه)[1].

وكذا ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام أنه قال لرب العزة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٠]. فلم يصدر هذا القول عن إبراهيم عليه السلام عن شك في قدرة الله على إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة، فليس الخبر كالعيان.

وفي دعاء نوح لما سأل ربه مستوضحاً عن غُرق ابنه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[هود: ٤٥]، ظناً من نوح أن ابنه من الناجين لما أخبره ربه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ﴾ [هود: ٤٠]. وأن المستثنى (زوجه) فقط التي سبق عليها القول، فرد الله عليه بأنه ليس من أهله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[هود: ٤٦]، فالقرابة المنجية

(١) أضواء البيان، (٤/ ٢٤١).

من العذاب هي قرابة الإيمان لا قرابة النسب. وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[هود: ٤٦]. ليس وصفا له بأنه جاهل، بل تحذير له منه، وقال اللهّ تعالى للنبي محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[الأنعام: ٣٥]، وقوله: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[القصص: ٨٧]. فلم يكن النبي ﷺ جاهلاً ولا مشركاً حين خاطبه الله بذلك، وعلى هذه الصورة كان نوح عليه السلام بريئا مما يخالف عصمة الأنبياء[1].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا، يسارعون للتوبة ولا يؤخرونها، فلا يصرون على الذنب، بل هم معصومون من ذلك.

* * *

*** المطلب الثالث ـ عصمتهم عليهم السلام في التبليغ وسلامتهم من النقائص:**

أولا: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أي شيء يخل بالتبليغ: وهو ما أجمع عليه أهل الملل والشرائع كلها، فلا يجوز عليهم التحريف، ولا الكذب قليله وكثيره، سهوه وعمده، فكل هذا مما ينزه عنه الأنبياء، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع، ولما تميز لنا الغلط والسهو من غيره، ولاختلط الحق بالباطل، واستدلوا لذلك بأنه لو جاز عليهم التقول والافتراء في ذلك عقلاً، لأدى إلى إبطال المعجزة القاطعة بصدقهم؛ وإبطال المعجزة محال، فالكذب في

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (١٢/ ٥٢١)، وينظر: تفسير اللباب، (١٠١/ ٤٠٢).

التبليغ وعدم العصمة فيه، محال أيضاً[١].

(فالأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتروه...

وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة، فللناس فيها نزاع؛ أهو ثابت بالعقل أو بالسمع، ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها، أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها، أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط، وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث أو لا. القول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً)[٢].

ثانياً: سلامتهم من النقائص.

ذكر أهل العلم أنّ من صفات النبي أن يكون سالماً من النقائص إذ بعث الله تعالى جميع أنبيائه على أكمل خِلقة، وقد يعترض البعض بعقدة لسان موسى عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾[طه: ٢٧ـ٢٨].

---

(١) ينظر: المواقف، (٣/ ٤٢٦)، وينظر: الإرشاد لإمام الحرمين، صحيفة (٣٥٧)، والشفا، للقاضي عياض، (٢/ ٣١٥ و٣٤٠ ـ ٣٤٤)، ونسيم الرياض في شرح الشفا للخفاجى، (٤/ ١١٧)، والبحر المحيط، (٤/ ١٧٤)، والإحكام لابن حزم، (١/ ١٢٤)، والنبوات لابن تيمية، صحيفة (٣٣٤، ٣٣٥)، والانتصار والرد على ابن الراوندى للخياط، صحيفة (١٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٠/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

إذ ذكر المفسرون[١]: أن موسى كان في صغره ذات يوم في حجر فرعون، فلطم فرعون لطمةً، وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوِّي وأراد أن يقتله، فقالت آسية: إنه صبي لايَعْقِل ولايميز جَرِّبْه إن شئت، فجاء بطشتين في أحدهما جوهر، وفي الآخر جمر فوضعهما بين يدي موسى، فأراد أن يأخذ الجوهر، فأخذ جبريل عليه السلام يد موسى عليه السلام فوضعها على النار، فأخذ جمرة فوضعها في فيه، فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة.

وقيل: قرَّب إليه ثمرةً وجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه.

وقيل: كان ذلك التعقد خلقة فسأل الله تعالى إزالته. واختلفوا في أنه لِمَ طلب حل العقدة؟ فقيل: لئلا يقع في خلل في أداء الوحي. وقيل: لئلا يستخف بكلامه فينفروا عنه ولا يلتفتوا إليه. وقيل: لإظهار المعجزة كما أن حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزاً في حقه، فكذا إطلاق لسان موسى عليه السلام معجز في حقه.

قال الحسن البصري: إن تلك العقدة زالت بالكلية، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[طه: ٣٦]، وقيل: هذا ضعيف، لأنه عليه السلاملم يقل: واحْلُلْ العقدة من لساني بل قال: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾[طه: ٢٧]، فإذا حل عقدة واحدة فقد آتاه الله سؤله، والحق أنه انحل أكثر العقد وبقي منها شيء لقوله حكاية عن فرعون: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]

---

(١) تفسير اللباب، (١٣/ ٢٢٤ و٢٢٥)، وينظر: تفسيرالطبري، (١٨/ ٣٠٠)، وتفسير القرآن العظيم، (٦/ ٢٣٦).

مع بقاء قدر من الانعقاد في لسانه وأجيب عنه بوجهين:

أحدهما: أن المراد بقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[الزخرف: ٥٢] أي لا يأتي ببيان وحجة.

والثاني: (أن (كَادَ) بمعنى قَرُبَ. فلو كَانَ المراد هو البيان اللساني، لكان معناه: أنه لا يقارب البيان، فكان فيه نفي البيان بالكلية، وذلك باطل، لأنه خاطب فرعون وقومه، وكانوا يفهمون، فكيف يمكن نفي البيان، بل إنما قال ذلك تمويهاً ليصرف الوجوه عنه)(١).

ودعاء نبي الله موسى عليه السلام بحل عقدة لسانه تؤكد هذا الشرط (السلامة من النقائص الخلقية) وإلا فكيف يبلغ دين الله تعالى من لا يملك النطق السليم والبيان الواضح، وقد استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام في حل عقدة من لسانه، وهو قبل تكليفه بالرسالة(٢).

ومن ذلك أيضاً سلامة النبي من العيوب المنفرة للطباع، كالبرص والجذام والأسقام الأخرى، ويؤيد ذلك ما جاء في دعاء نبي الله أيوب عليه السلام لما سأل ربه تعالى أن يشافيه من مرض جلدي ألم به، حتى نفر منه الناس ولم يبق معه إلا رجل أو رجلين، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

---

(١) مفاتيح الغيب، (٢٢/ ٤٤).

(٢) ينظر: المسايرة والمسامرة، صحيفة (٢٢٦)، وأصول الدين الإسلامي، صحيفة (٢٦٠).

وجاء من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن نبيّ الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه...»[١].

وقد أجاب العلماء أن ما أصاب أيوب إنما كان قبل نبوته[٢].

❐❐❐

(١) أخرجه البزار في مسنده، (٢/ ٢٧٩)، وأبو يعلى، (٣٦٩٧)، وابن حبان في صحيحه، (٢٨٩٨).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٢/ ١٧٣) و(٢٦/ ٣٩٨)، المسايرة والمسامرة، صحيفة (٢٢٦)، وأصول الدين الإسلامي، ص: (٢٦٠).

المبحث الخامس

أثر أدعية الأنبياء في إثبات معجزات الأنبياء

و المعجزة لغة: ما أُعجزَ به الخصم عند التحدي(١).

وقيل: هي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، يجعله الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدلّ على صدقه وصحة رسالته(٢).

وقيل: هي عبارة عما قصد به إظهار صدق دعوى من ادعى أنه رسول الله(٣).

وقيل غير ذلك(٤).

ولم يرد اسم المعجزة في القران الكريم لكنها عرفت بأنها آية؛ أي علامة على صدق النبوة أو الرسالة قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾[الإسراء: ١٠١]، وقال تعالى عن المشركين: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[القمر: ١ ـ ٢]. وتطلق الآية في اللغة على ثلاثة معانٍ: العلامة، والأمر العجيب، والجماعة.

المعنى الأول: العلامة: قال نبي الله زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، صحيفة (٥١٦).

(٢) ينظر: مناهل العرفان، (١/ ٦٣)، والمعجم الوسيط مادة (عجز)، (٢/ ٥٨٥).

(٣) المواقف، (٣/ ٣٤٢).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٦٩)، ولوامع الأنوار البهية، (٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾[آل عمران: ٤١]، قال القرطبيُّ: (طلب آية أي: علامةً يُعرف بِها صحةُ هذا الأمر)(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾[البقرة: ٢٤٨].

والمعنى الثاني: الامر العجيب، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، أي الولادة دون الفحل.

والمعنى الثالث: آية الرجل: شخصُه، وتقول: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، ومنه آية القرآن؛ لأنَّها جماعةُ الحروف(٢).

وقيل: سميت آيـة لأنَّها علامـة على صدق من أتـى بها، وعلى عجز المتحدى بها (٣).

وقد اشترط المحققون فيها شروطاً هي(٤):

الشرط الأول: أن تكون أمراً من الله تعالى لا يقدر عليه إلا هو سبحانه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٤/ ٨٠).

(٢) مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، (١/ ١٠٦).

(٣) الإتقان في علوم القرآن، (١/ ٢٣٠)، وكشاف اصطلاحات الفنون، (١/ ١٠٥).

(٤) ينظـر: الجامـع لأحكام القرآن، (١/ ٦٩ ـ ٧١)، وشرح الباجوري على الجوهـرة، (٢/ ٣٥ ـ ٣٦)، والعقائد النسفية، صحيفـة (١٣٣ ـ ١٣٤)، والمقاصـد وشرحة، (٢/ ١٧٥ ـ ١٧٧)، ورسالة في التوحيد، صحيفة (٧٣ ـ ٧٤)، اصول الدين الإسلامي، صحيفة (٢٩٩).

وتعالى... كفلق البحر وانشقاق القمر، ليصدق مدعي النبوة، والأمر يشمل:

أ ـ القول: كالقرآن الكريم.

ب ـ الفعل: كنبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ.

ج ـ الترك: كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام.

الشرط الثاني: هو أن تخرق العادة التي اعتاد عليه الناس واستمروا عليها مرة بعد مرة، ووجب اشتراط ذلك لأنه لو قال المدعي للرسالة: آية صدقي مجيء الليل بعد النهار، وطلوع الشمس من مشرقها، وغروبها من مغربها، لم يكن ما ادعاه معجزة.

الشرط الثالث: هو أن يستشهد بها مدعي الرسالة أو النبوة على الله تعالى، فيقول: آيتي أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتا، أو يحرك الأرض عند قولي لها تزلزلي؛ فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدَّى به.

الشرط الرابع: هو أن تقع على وِفْق دعوى المتحدِّي بها، المستشهد بكونها معجزة له فلا تكون مكذبة له، فتتعذر معارضته، ووجب اشتراط هذا الشرط لأنه لو قال المدعي للرسالة: آية نبوتي ودليل حجتي أن تنطق يدي أو هذه الدابة، فنطقت يده أو الدابة بأن قالت: كذب وليس هو بنبي، فإن هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي للرسالة.

الشرط الخامس: أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدِّي على وجه المعارضة.

الشرط السادس: أن تكون المعجزة على يد مدعي النبوة أو الرسالة، فيقوم صاحبها بدعوة الناس إلى دينٍ فيه سعادتهم في الدنيا وفي الآخرة.

وقال القاضي عبد الجبار في شروط المعجزة عند المعتزلة: (واعلم أنّ من

حق المعجز أن يكون واقعاً من الله تعالى حقيقة، أو تقديراً، وأن يكون مما تنتقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيه، وأن يتعذر على العباد فعل مثله في جنسه، أو صفته، وأن يكون مختصاً بمن يدعي النبوة على طريقة التصديق له. فما اختص بهذه بالصفات وصفناه بأنّه معجز من جهة الاصطلاح)[١].

وبهذه الشروط تخرج عن المعجزة الأمور الآتية:

١ ـ الإهانة: والتي تظهر على يد الفاسق أو الكافر، كالذي حدث مع مسيلمة الكذاب حين بصق في عين أعورٍ فعميت العين الثانية[٢].

٢ ـ الاستدراج: وهو ما يظهر على فاسقٍ أو كافر، خديعة أو مكراً به، فهو استدراجٌ لهم وزيادة في غيهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون[٣]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥].

وقال ﷺ: «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد في الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما هو استدراج ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾[الأنعام: ٤٤])[٤].

---

(١) المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبدالجبار، (١٥/ ١٩٩).

(٢) ينظر: اعتقاد أحمد بن حنبل، صحيفة (٣٠٦)، وشرح المقاصد، (٢/ ٢٠٣)، والتبصير في الدين، صحيفة (١٦٩)، ولوامع الأنوار، (٢/ ٣٩٢)، والقائد إلى العقائد، المعلمي اليماني، صحيفة (٩٤).

(٣) ينظر: شرح المقاصد، (٢/ ٢٠٣)، والتبصير في الدين، صحيفة (١٦٩)، ولوامع الأنوار (٢/ ٣٩٢)، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، القنوجي صحيفة (١٠٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد ٤/ ١٤٥، وقال الشيخ شعيب: (حديث حسن).

٣ ـ المعونة: وهي ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدة[(١)].

٤ ـ الكرامة: ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة مقرونا بالإيمان والعمل الصالح[(٢)].

فالكرامة أمرٌ ثابت في القران الكريم، ومتواترة في كل عصر، وتواترت عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم من الكرامات ما لا يمكن إنكاره[(٣)].

وقد كان لدعاء الأنبياء أكبر الأثر في إحداث هذه الدلائل والبراهين؛ لأنه ما من حجّة، طلبها قوم من نبيّهم، إلا ودعا الله تعالى أن يؤيده، ويُعضد دعوته، فتدلّ حجته على صدقه وصدق نبوّته ودعوته.

فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام، يسأل ربه أن يريه السرّ العجيب المتعلق بالإحياء والإماتة فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[البقرة: ٢٦٠].

(وسبب مسألته ربه ذلك، المناظرة والمحاجّة التي جرت بينه وبين النمرود)[(٤)]. واستجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام فحجّ خصمَه، وبان صدقه عليه السلام فيما حاجه به.

وكذا في محاجّة الحواريين لعيسى عليه السلام حول قدرة الله، في إنزال

---

(١) ينظر: شرح المقاصد، (٢/ ٢٠٣)، والتبصير في الدين، صحيفة (١٦٩)، ولوامع الأنوار، (٢/ ٣٩٢).

(٢) ينظر: لوامع الأنوار، (٢/ ٣٩٢). وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، القنوجي، صحيفة (١٠٠)، الفرقان، صحيفة (١٠ و٨٩)، وينظر: شرح العقائد النسفية للتفتازاني، صحيفة (١٣٩)، وشرح المقاصد، (٢/ ٢٠٣)، ولوامع الأنوار، (٢/ ٣٩٣ـ٣٩٦ـ٣٩٧).

(٣) ينظر: شرح المواقف، (٣/ ٣٤٨).

(٤) تفسير الطبري، (٣/ ٤٨).

مائدة من السماء، من الدلائل التي جرت تصديقاً للأنبياء بعد سؤالهم الله تعالى لها، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ١١٢]، وكانوا قد طلبوها لأثبات صدقه عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[المائدة: ١١٣].

فلما دعا عيسى عليه السلام ربه فأكرمه الله تعالى بهذه المعجزة، قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤].

وقد حاجّ عيسى عليه السلام قومه، باستجابة الله تعالى لدعائه، وإنزاله المائدة، والتي كانت على الحال التي طلبها منه قومه، أي عيداً لأولهم وآخرهم. وكذا في معجزات نبي الله موسى عليه السلام والتي ورد ذكرها في دعاءه عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[البقرة: ٦٠].

فالاستسقاء: طلب السقيا عند عدم الماء أو حبس المطر، وذلك عن طريق الدعاء لله ـ تعالى ـ في خشوع واستكانة، وقد سأل موسى ربه أن يسقى بني إسرائيل الماء بعد أن استبد بهم العطش، عندما كانوا في التيه(١).

---

(١) ينظر: الوسيط، (١/ ٩٩).

قال القشيري: (أن الذي قدر على إخراج الماء من الصخرة الصمّاء كان قادراً على إروائهم بغير ماء، ولكن لإظهار أثر المعجزة فيه، واتصال محل الاستعانة إليه)(١).

فالله تعالى يعطي لأنبيائه المعجزات حسب طبيعة قومه، وهذا يختلف باختلاف الأمم، يقول النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات على ما مثله آمن البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» (٢).

وكذا ما جاء في دعاء نبي الله زكريا عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ ـ ٦].

فدعاء زكريا هو أن يعطيه الله تعالى ذرية بإرادته وقدرته حسب بلا سبب عادي؛ لأنه لو كان الأمر في هذا الطلب يعود إلى الأسباب والمسببات العادية لكان الحصول على الذرية مستبعداً لأنه قد بلغ من الكبر عتياً وامرأته تجاوزت السن التي يحصل فيها الإنجاب في العادة البشرية. فسأل ربه أن يهب له ولداً من عندك يا رب لا من عندي، لأن الأسباب عندي أصبحت مستحيلة، وهذا من باب الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا واحد أحد جل جلاله(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٣٩٣).

(٢) البخاري، (٧٢٧٤)، ومسلم، ١/ ١٣٤(١٥٢)، وغيرهما.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢١/ ٥٢٠)، وتفسيراللباب، (١٣/ ١٣)، وتفسير في ظلال القرآن، (٥/ ٩٠).

وكذلك ما جاء في دعاء نبي الله سليمان، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[ص: ٣٥].

فدعاء سليمان عليه السلام بالملك والسلطان طلب للإعجاز والتحدي من أجل إقامة دين الله تعالى وليس طلب لدنيا زائلة، فجاء دعاؤه (طلباً للمعجزة على وفق ما غلب في زمانه ولاق بحاله فإنهم كانوا يفتخرون في ذلك العهد بالملك والجاه وكان ناشئاً في بيت الملك والنبوة ووارثاً لهما، أو إظهاراً لإمكان طاعة الله وعبادته مع هذا الملك العظيم.

وقيل أراد ملكاً لا يورث منه، وهو ملك الدين لا الدنيا أو ملكاً لا أُسلبه ولا يقوم فيه غيري مقامي كما وقع ذلك مرة، وقيل ملكاً خفياً لا ينبغي للناس، وهي القناعة وقيل كان ملكه عظيماً فخاف أن لا يقوم غيره بشكره ولا يحافظ فيه على حدود الله)(١).

وأما نبينا العظيم محمد ﷺ فكانت معجزته علمية عقلية مصدرها الوحي الرباني الذي لاتنقضي عجائبه، ففي كل زمان يظهر من هذا الوحي علامة بينة، وبرهان ساطع، وآية واضحة على صدق من جاء بهذا الوحي، وأنه نبي مرسل من عند الله تعالى العليم الخبير.

فالقرآن الكريم (هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن

---

(١) مفاتيح الغيب، (٣٦/ ١٨٣)، وينظر: المواقف، (٣/ ٤٢٢)، وشرح المقاصد، (٢/ ١٧٢).

عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)[١].

فالقرآن هو معجزة النبي ﷺ الخالدة التي أيده الله تعالى بها على أعدائه، فبين الله تعالى للمشركين الذين طلبوا من النبي ﷺ الآيات والمعجزات أن القرآن كافيهم إذ قال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[العنكبوت: ٥٠ - ٥١]. فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو التشريع الخالد لكل زمانٍ ومكان.

وقد تحققت جميع شروط الإعجاز في القران الكريم.

فقد تحدى القران الكريم العرب، وهم أرباب البلاغة والفصاحة والأدب، قال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٦-١٨].

وهذا التحدي لم يقف عند زمن النبي الكريم محمد ﷺ، بل هو تحدٍ باقٍ إلى يوم القيامة. وكذلك وجود ما اقتضى دفع المتحدي إلى المنازلة فرسول الله ﷺ حين ادعى النبوة والرسالة، جاءهم بكتاب (القران الكريم) حجةً عليهم، فلم يستطيعوا أن يأتوا بما يدحض هذه الحجة العظيمة. ولم يكن هنالك مانع يمنع

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠) وقال عقبه (وإسناده مجهول. وفى حديث الحارث مقال).

العرب من المعارضة والمنازلة، لا من حيث اللغة فقد نزل القران الكريم بلغتهم. ولا من حيث المعنى فهم أهل ذكاءٍ ودهاء وخبرةٍ وتجارب. ولا من حيث الزمن فقد نزل القران الكريم خلال ثلاث وعشرون سنة ليكون هنالك متسع للمعارضة[1].

وهكذا يظهر أثر دعاء الأنبياء في إثبات المعجزة لهم، والله أعلم.

❐❐❐

---

(١) ينظر: أصول الدين الإسلامي، صحيفة (٣١٤).

المبحث السادس

أثر أدعية الأنبياء في إثبات علم الأنبياء وطلب زيادته

أكد القران الكريم والسنة النبوية على أهمية العلم وفضله العظيم من خلال الآيات العظيمة، والأحاديث الشريفة التي تحدثت عنه، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[آل عمران: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥].

فالجاهل بالشيء ليس كفؤاً للعالم به، ومن لا يعلم لا يجوز أن يجادل من يعلم، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم عليه السلام في محاجّته لأبيه حين قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾[مريم: ٤٣]، فهنا بين إبراهيم عليه السلام أنه إنما يستمد علمه في دعوته من مصدر علوي وليس من ذات نفسه.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[الملك: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[الجن: ٢٦]، دليل على أن الأنبياء لا يعلمون الغيب، إنما علمهم من الله تعالى، فهم بحاجة إلى تعليم الله تعالى لهم، ولم يستغنوا عن الله تعالى طرفة عين، ولم يستغن أحد من خلق الله عنه، فما حصل لهم من خير فمن الله، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ

عَلَىٰ نَفْسِيٓ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾[سبأ: ٥٠]؛ لأن الضلال من عند النفس والفعل، وأما الاهتداء فبالوحي الذي اهتدى به رسول الله ﷺ وكذلك غيره، وهذا لا يقتضي عدم التعظيم للرسل، بل يجب معرفة حقوق الرسل ومعرفة قدرهم، ولكن لا يجوز أن يعطوا شيئاً مما هو لله جل وعلا، فيجب على الإنسان أن يكون متبعاً لربه تعالى، ويكون عبداً له، ولا يكون عبداً لمخلوق مهما كان رسولاً أو ملكاً أو غير ذلك، وهذا في الواقع يبين أن كثيراً من الناس اغتر وغلا حتى خلط بين حق الله وحق الرسول، بل جعل بعض خصائص الله أو كثيراً منها أو كلها لغير الله جل وعلا(١).

فلا علم للبشر إلا ما علمهم الله، ومهما أوتوا من العلم، ومهما ارتقوا في درجاته فعلمهم قليل وعقولهم قاصرة، ولا سبيل للمعرفة الكاملة والإحاطة الشاملة بالمحسوسات المشاهدة فضلاً عن الحقائق الغيبية؛ فعلى العبد أن يفوض العلم إلى علام الغيوب، وأن يوظف علمه فيما ينفع الناس ابتغاء مرضاة الله.

* * *

*** المطلب الأول ـ أنواع العلم:**

العلم علمان(٢):

١ ـ علم في الخلق مفقود: وهو العلم الذي استأثر الله تعالى به، فلا يعلمه

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، (٢/ ١٤٦)، وعقيدة السلف أصحاب الحديث، إسماعيل ابن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، صحيفة (٣٢)، وشرح المقاصد، (٢/ ٢٠٥)، والبحر المديد، (٨/ ٢٥٤).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٢٤٠).

إلا هو سبحانه وتعالى، وهو علم الغيب، ومن ادعاه من الناس كفر قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ٥٩]. وقول النبي ﷺ: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[لقمان: ٣٤]». وادعاء العلم المفقود كفرٌ، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل: ٦٥]، وأكمل الخلق محمد ﷺ يقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[الأعراف: ١٨٨]، فالنبي ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة: ٢٥٥].

٢ ـ علم في الخلق موجود: وهو العلم الذي علّمهم الله إياه، وما لهم فيه مصلحة، وذلك بما أنزل الله من الكتاب، وما أرسل به الرسل، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[البقرة: ١٢٩]، الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، وقيل: الفقه في دين الله فالله علمنا والرسول علمنا: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٥١]. فإنكار العلم الموجود كفرٌ، وهو العلم الشرعي وما فيه من الأمر والنهي والإخبار عن الماضي والمستقبل.

ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وهو علم الكتاب والسنة، وترك طلب العلم المفقود، وهو علم الغيب قال تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

يقول ابن تيمية رحمه الله: (وتعليم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يقتصر على مجرد الخبر كما يظنه البعض؛ لأنهم بينوا من البراهين العقلية التي بها تعلم العلوم الإلهية ما لا يوجد عند غيرهم البتة. فتعليم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جامع

للأدلة العقلية والسمعية جميعاً، أما مخالفوهم، فتعليمهم غير مفيد للأدلة العقلية والسمعية، مع ما في نفوسهم من الكبر الذي ما هم بالغيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[غافر: ٥٦]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[غافر: ٨٣]، ومثل هذا كثير في القرآن)[١].

وعلم الله تعالى كامل محيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٥٩].

وقد جاء في دعاء نبي الله عيسى عليه السلام إثبات علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء وبيان عجز البشر وإن كانوا أنبياء عن ادراك العلم كله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦].

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كملوا للناس الأمرين فدلوهم على الأدلة العقلية التي بها تعلم المطالب الإلهية التي يُمكنهم العلم بها بالنظر والاستدلال

---

(١) مجموع الفتاوى، (٩/ ٢٢٧).

وأخبروهم مع ذلك من تفاصيل الغيب ما يعجزون عن معرفته بمجرد نظرهم واستدلالهم(١).

فقوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[العلق: ٥]، يدل على قدرته تعالى على تعليم الإنسان ما قد علَّمَه، مع كون جنس الإنسان فيه أنواع من النقص. فإذا كان قادراً على ذلك التعليم فقدرته على تعليم الأنبياء ما علمهم أولى وأحرى. (وذلك لأن الأنبياء من الناس)(٢).

(فالرسل يعلنون أن العلم الحق لله وحده؛ وأن ما لديهم من علم لا ينبغي أن يدلوا به في حضرة صاحب العلم، تأدباً وحياء، ومعرفة بقدرهم في حضرة الله)(٣).

ومن ذلك قول الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾[مريم: ٤٣]. يا أبت إني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك فاتبعني، واقبل مني نصيحتي: ﴿أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾[مريم: ٤٣]، يقول: فيه تجدد العلم عنده(٤).

وقال ـ عز من قائل ـ عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[يوسف: ٦٨]. وقال تعالى عنه أيضاً: ﴿قَالَ

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: هلموت ريتر،، صحيفة (٥٢١)، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة، الجامي، صحيفة (٢٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٦/ ٣٦٢).

(٣) تفسير في ظلال القران، (٢/ ٤٥٥).

(٤) تفسير الكشاف، (٣/ ٢٢).

أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٩٦].

وقوله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٢].

وهذا نبي الله موسى عليه السلام، مع ما آتاه الله تعالى من العلم العظيم، فإنه لم يكتف به، وإنما طلب المزيد... وقصته عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه معروفة، وقد قصها الله تعالى علينا في كتابه الكريم، والشاهد منها قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: ٦٦].

وأمره تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقوله ﷺ عن نفسه عندما تنزه بعض الصحابة عن شيء رخص فيه الرسول، فَبُلِّغ ذلك إليه، فخطب، فحمد الله، ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟!، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»(١).

وقوله تعالى أيضاً: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤].

وهذا عيسى عليه السلام يعتذر بين يدي علام الغيوب عن اشراك قومه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ

(١) أخرجه البخاري، (٦١٠١)، ومسلم، ٤/ ١٨٢٩(٢٣٥٦).

عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١١٦]. وقال تعالى على لسان نبي الله نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧]. وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]. وقال تعالى: ﴿مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٣٧]، أي: هذا من علم الله علمنيه وأحسن إليَّ به[١].

وذلك إخبار بالغيب بتعليم الله تعالى، وليس من ذاته، فلا يعلم الغيب إلا الله، وما يعطيه الله تعالى كما أعطى عيسى ابن مريم عليه السلام[٢].

فإخبار الأنبياء بالمغيبات ليس بكهانة ولا تنجيم، وإنما هو بإلهام ووحي من الله[٣].

وفي أمره تعالى لنبيه ﷺ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[الكهف: ٢٤]، أي: (إذا سُئلت عن شيء لا تعلمه، كالإخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة، فاسأل الله تعالى فيه، وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك)[٤].

وقوله تعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، (١/ ٣٩٧).

(٢) زهرة التفاسير، (١/ ٣٨٢٣).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢/ ٤٢٥)، فتح القدير، (٤/ ٤٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٥/ ١٥٠)، وينظر: تفسير البيضاوي، (٣/ ٤٧٦).

تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[يوسف: ١٠١]، ومعنى الرؤية: العلم(١).

ودلّت آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية الصريحة الصحيحة أن الغيب لا يعلمه إِلَّا الله تعالى، فالغيب كلّ ما غاب عن الحواس، وكلّ ما غاب عنها لا يعلمه إِلَّا الله عز وجلّ، فكلّ من ادعى علم شيء من الغيب قيل له كَذّبْتَ الآيات القرآنية الصريحة، ومن كذّب القرآن متعمداً بعدما تبين له ما دلّ عليه بالدليل القاطع فقد كفر والعياذ بالله.

ومن الآيات الدالة على ما ذُكر، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ٥٩]. وبيّن تعالى المراد بمفاتح الغيب بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[لقمان: ٣٤].

فهذه الآية الكريمة تدل على أنّ الغيب لا يعلمه إِلَّا الله، وهو كذلك لأنّ الخلق لا يعلمون إِلَّا ما علّمهم خالقهم جلّ وعلا، وقد أخرج البخاريّ في صحيحة عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾»(٢).

وأخرج بسنده إلى أَبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ حديث جبريل المشهور إلى أن قال في آخره: «وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس فذاك من

---

(١) ينظر: تفسير الكشاف، (٤/ ٧٨٣)، وتفسير النسفي، (٢/ ٤٠١).

(٢) صحيح البخاري، (٢٧٧٨).

أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت في رسول الله ﷺ: «من زعم أنه ﷺ يخبرنا بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل: ٦٥](٢)».

قال الحافظ ابن حجر: (وقال الشَّيخ محمَّد بن أَبي جمرة: عبّر بالمفاتح لتقريب الأمر على السامع، لأنّ كلّ شيء جعل بينك وبينه حجاب فقد غيب عنك، والتوصل إلى معرفته في العادة من الباب، فإذا أغلق الباب احتيج إلى المفتاح، فإذا كان الشيء الَّذي لا يطلع على الغيَّب إِلَّا بتوصيله لا يعرف موضعه فكيف يعرف المغيب)(٣). فالمفاتح هي الَّتي يتوصل بها لكل غائب عنا، فإذا لم تُعلم فكيف التوصل إلى الغائب؟

فإِنَّ من اعترض بأنه ليس في الآية أداة حصر كما في الحديث، فيجاب (أنّ الفعل إذا كان عظيم الخطر وما ينبني عليه الفعل رفيع الشأن فهم منه الحصر على سبيل الكناية ولاسيما إذا لوحظ ما ذكر في أسباب النزول من أن العرب كانوا يدّعون علم نزول الغيث، فيشعر بأن المراد من الآية نفي علمهم بذلك واختصاصه بالله تعالى)(٤).

ومن ذلك قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ

---

(١) أخرجه البخاري، (٤٤٩٩)، ومسلم ١/ ٣٩(٩).

(٢) أخرجه مسلم ١/ ١٥٩ (١٧٧).

(٣) فتح الباري، (٨/ ٥١٤).

(٤) فتح الباري، (١/ ١٢٤).

أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[الأنعام: ٥٠].

هكذا أمر الله تعالى نبينا محمَّداً ﷺ، كما أمر بذلك نوحاً عليه السلام بقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[هود: ٣١].

فمن ادعى علم الغيب اليوم أو ادعى شيئاً ما من أنواعه كذّبناه بلا شك، وقد حكم أهل العلم بأنه دجال مناقض للقرآن الكريم والسنة المطهرة(١)، قال تعالى حاكياً عن نبيه الكريم ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ١٨٨].

يقول الإمام القرطبي: (لو كنت أعلم ما يريد الله مني من قبل أن يُعرفنيه لفعلته، وقيل: لو كنت أعلم متى يكون النصر في الحرب لقاتلت فلم أغلب، وقال ابن عبّاس: لو كنت أعلم سَنَة الجدب لهيأت لها في زمن الخصب ما يكفيني، إلى غير ذلك مما ذكره من الأقوال الَّتي تدور حول عدم علمه بالغيب)(٢).

وكذلك نرى نبي الله نوح عليه السلام، الذي هو من أولي العزم من الرسل، وهو يخاطب قومه فيقول: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[هود: ٣١].

وهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام خليل الرَّحمن نجده لا يعلم عن الغيب شيئاً إلاَّ ما علّمه الله، فلو كان يعلم الغيب لعلم أن ضيوفه من الملائكة ولم يقع في نفسه منهم خوف، حتَّى قالوا له: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، ثُمَّ ذهبوا من

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٢٤٠)، ومعارج القبول، (٢/ ٦٨٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٣٣٦ _ ٣٣٧).

عند إبراهيم وجاءوا إلى لوط في تلك الصورة فظنّهم رجالاً من بني البشر، ولم يعلم عنهم شيئاً حتَّى أخبروه أنَّهم رسل الله فقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾[هود: ٨١].

ونرى نبي الله يعقوب عليه السلام قد ابيضت عيناه من الحزن على ولده يوسف وهو في مصر ما بينه وبينه إِلَّا مسيرة أيام تحت يده خزائن رزق مصر لا يدري عنه حتَّى أظهر الله خبره.

وهذا نبي الله سليمان عليه السلام سخّر الله له الشياطين والريح ما كان يدري عن أهل مأرب قوم بلقيس حتَّى جاءه الهدهد، قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾[النمل: ٢٢].

فقد ظهر أن أعلم المخلوقات وهم الرسل، والملائكة لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله تعالى، وهو تعالى يُعلم رسله من غيبه ما شاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾[آل عمران: ١٧٩].

فالله تعالى وحده هو الَّذي يعلم الغيب، ولا يظهر عليه أحداً من خلقه ولا يطلعه عليه ولا ينبئه به، ووقوع الفعل (يظهر) في حيز النفي يفيد العموم، أي لا يطلع عليه أي أحد كائناً من كان، وكذلك وقوع المفعول به: (أحداً) نكرة في سياق النفي يفيد العموم، ثُمَّ استثنى من هذا النفي من ارتضاهم ليطلعهم على بعض غيبه فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[الجن: ٢٧]، إذا أراد الله إطلاعه على غيب أراد إظهاره بالوحي، وكذلك ما أراد أن يؤيد به رسوله ﷺ من إخبار بما سيحدث أو اطلاع على ضمائر بعض النّاس، فقوله: ارتضى مستثنى من عموم أحداً، أي: إِلَّا أحداً ارتضاه الله فاختاره للاطلاع على شيء من الغيب

لحكمة أرادها الله تعالى أي يُطلع الله بعض رسله لأجل ما أراده الله من الرسالة إلى النّاس، فيعلم من هذا أن الغيب الَّذي يُطلع الله عليه الرسل هو من نوع ماله تعلّق بالرسالة، وهو غيب ما أراد الله إبلاغه إلى الخلق أن يعتقدوه أو يفعلوه وما له تعلّق بذلك من الوعد والوعيد من أمور الآخرة أو أمور الدنيا، وما يؤيد به الرسل عن الإخبار بأمور مغيّبة، كقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾[الروم: ٢ ـ ٤].

وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧] أي: (لا يُطلع على الغيب الَّذي يعلمه وهو ما غاب عن العباد أحداً منهم، ثُمَّ استثنى فقال: إِلَّا من ارتضى من رسول، أي إِلَّا من اصطفاه من الرسل أو من ارتضاه منهم لإظهاره على بعض غيبه ليكون ذلك دالاً على نبوته)(١).

قال القرطبي: (قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدَّح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أَنَّه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثُمَّ استثنى من ارتضى من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصا وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه بل كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه)(٢).

وقال سعيد بن جبير: (إِلَّا من ارتضى من رسول هو جبريل)(٣).

---

(١) فتح القدير، الشوكاني ٥/ ٣٧٣.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٨.

(٣) اللباب، ابن عادل ١٩/ ٤٤٩.

وقيل: المراد بقوله: (إِلَّا من ارتضى من رسول فإِنَّه يطلعه على بعض غيبه وهو ما يتعلّق بالرسالة المعجزة وأحكام التكاليف وجزاء الأعمال وما بيّنه من أحوال الآخرة لا ما لا يتعلّق برسالته من الغيوب كوقت قيام الساعة ونحو)(١).

وقال الواحدي: (في هذا دليل على أن من ادعى أنّ النجوم تدلّه على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن)(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١٠٩].

لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين، وبعض منها يكون كفراً.

ثُمَّ ننتقل من الرسل إلى الملائكة فنجد أن القرآن الكريم أخبر حاكياً عنهم أَنَّهم لا يعلمون من الغيب إِلَّا ما علّمهم الله، قال تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٢].

إنّ مدّعي علم الغيب اليوم كاذب وجاءت الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء دليل واضح في نفي علم الغيب عن جميع المخلوقات إِلَّا من استثنى الله من رسله.

يقول تعالى آمراً رسوله محمَّداً ﷺ أن يقول معلّماً جميع الخلائق أَنَّه لا يعلم

---

(١) فتح القدير ٥/ ٣٧٣.

(٢) تفسير الواحدي ٤/ ٣٩٦.

أحد من أهل السموات والأرض الغيب إِلَّا الله، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إِلَّا الله فإِنَّه المنفرد بذلك وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾[الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[لقمان: ٣٤]، قال إن الله علم نبيه محمداً ﷺ ليلة المعراج علوما شتى فمنها علم أمره الله بكتمانه وعلم أمره بتبليغه وعلم خيره الله فيه فكان مما أسر[1].

فعلم الأنبياء وما جاءوا به عن الله لا يمكن أن يدرك بالعقل ولا يكتسب وإنما هو وحي أوحاه الله إليهم بوساطة الملك أو كلام يُكلِم به رسوله منه إليه بغير واسطة كما كلم موسى وهذا متفق عليه بين جميع أهل الملل المقرين بالنبوة والمصدقين بالرسل.

* * *

* **المطلب الثاني ـ أقسام العلم من حيث تعليم الله تعالى:**

ينقسم العلم من حيث تعليم الله تعالى للعبد إلى:

١ ـ العلم اللَّدُني: وهو علم إلهي لدني يهبه الله تعالى لمن يمنّ عليه من عباده، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾[يوسف: ٦٨]، (إشارة إلى العلم اللدني)[2].

وهذا العلم إما هو ثمرة العبودية الخالصة والمتابعة والصدق مع الله وبذل

(١) ينظر: روح المعاني، (٩/ ٧١).

(٢) روح المعاني، (١٢/ ٣١٤).

العبد جهده في تلقي العلم من مشكاته ـ الكتاب والسنة ـ والانقياد لهما فيفتح الله له من فهم وهداية، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما سئل: (هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة. قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر)(١). فهذا هو العلم اللدني الحقيقي(٢).

وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة: فرأيه من لدن نفسه وهواه والشيطان فهو لدن شيطانه! والعياذ بالله.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وإنما يعرف كون العلم لدنياً رحمانياً: بموافقته لما جاء به الرسول عن ربه عز وجل فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني ولدني شيطاني بطناوي والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله)(٣).

٢ ـ العلم المكتسَب: وهو علم يدركه العبد بطلبه، فالخلق يتفاوتون في العلم بصفاته عز وجل على قدر تفاوت استعداداتهم. وهو العلم المشار إليه بأمر الله تعالى نبيه بالدعاء في زيادة العلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]. ﴿وَقُل﴾ أي: في نفسك. ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي: سل الله بدل الاستعجال زيادة العلم

---

(١) أخرجه البخاري، (٢٨٨٢).

(٢) ينظر: مدارج السالكين، (٢/ ٤٧٦).

(٣) مدارج السالكين، (٤٧٥ ـ ٤٧٦)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، (٤/ ٩٤).

مطلقاً أو في القرآن فإن تحت كل كلمة بل كل حرف منه أسراراً ورموزاً وعلوماً جمة وذلك هو الأنفع لك(١). وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية قال: (اللهم رب زدني علماً وإيماناً ويقيناً)(٢).

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يملكون من العلم إلا ما علمهم الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٥١]؛ فالنبي نفسه لا يعلم من الغيب ولا من الشرع الا ماعلمه الله تعالى وما آتاه(٣).

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٣].

❐❐❐

---

(١) روح المعاني، (١٢/ ٢٧٩).

(٢) تفسير البغوي، (٥/ ٢٩٧).

(٣) الجامع لأحكام القران، (١/ ٢٩٠).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

أثر أدعية الأنبياء في إثبات الغيبيات

وفيه أربعة مباحث:

* المبحث الأول: السمعيات في دعاء الأنبياء.

* المبحث الثاني: أثر أدعية الأنبياء في إثبات القضاء والقدر.

* المبحث الثالث: أثر أدعية الأنبياء في إثبات وجود الجن.

* المبحث الرابع: أثر أدعية الأنبياء في إثبات تأثير السحر والحسد.

الفصل الرابع
أثر أدعية الأنبياء في إثبات الغيبيات

المبحث الأول
السمعيات في دعاء الأنبياء

* المطلب الأول ـ أهمية الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر هو ركن من أركان العقيدة الإسلامية وحجر الأساس فيها.

وهو من أعظمها بعد الإيمان بالله تعالى. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فعقيدة الإيمان باليوم الآخر ترتبط ارتباطاً وثيقا بالإيمان بالله تعالى وهي لا تنفصل ولا تنفك عنها، فمن مقتضيات الإيمان بالله تعالى تصديقه بما يخبر به تعالى من غيبيات، والإيمان باليوم الآخر إيمان بالغيب، لأن أحداً لم يشهده بنفسه، أخبرنا الله تعالى به عن طريق رسله الكرام، فسبيله هو النقل الصحيح مما جاء في الكتاب والسنة، والله الذي أخبرنا عن اليوم الآخر، وأوجب علينا الإيمان به، وجعله ركناً من أركان الإيمان، قد أودع الفطرة البشرية القدرة على الإيمان بالغيب، وميز الإنسان بهذا الأمر من بين ما ميزه به وكرمه وفضله وأراد له الرفعة فجعل الإيمان بالغيب من أبرز صفات المتقين قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٤].

فالإيمان بالغيب أمر لازم من أجل الإيمان بالله واليوم الآخر، ولذلك أبرزه القرآن في مقدمة صفات المؤمنين. ولكنّه في ذات الوقت أبرز صفات الإنسان التي تميزه عن الحيوان، وتجعل عالمه غير عالم الحيوان.

فقد وهب الله تعالى للإنسان القدرة على الإيمان بالغيب، وجعلها في مقدمة الأدوات التي تعين الإنسان على القيام بدوره في الأرض، فعن طريقها يؤمن بالله واليوم الآخر، فتتصل روحه بخالقه، ويستقيم على أمره، فتصلح حياته في الدنيا كما تصلح حياته في الآخرة[1].

وقد قرر الله تعالى حقيقة اليوم الآخر فهو اليوم الذي يتغير فيه شكل الكون، فلا يبقى في هذا الكون شيءٌ على حاله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[إبراهيم: ٤٨].

فيعيد الله تعالى الخلق كما بدأه أول مرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

فيه يبعث الله تعالى النّاس، ويحي الموتى، ويضع الميزان للحساب والجزاء، وإقامة العدل الرباني بين الخلائق. فيقفون بين يديه، لا تخفى عليه منهم خافية، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون: ١١٥].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ

---

(١) ينظر: ركائز الإيمان، صحيفة (٣٨٥).

كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾[ص: ٢٧ ـ ٢٨].

فإن لم يكن هناك يوم آخر يبعث فيه الناس ويحاسبون على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا، وكانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف، لكان الخلق يصبح عبثاً وباطلاً؛ أي أن الحياة تصبح عبثاً، وخلق السماوات يصبح باطلاً[١].

وقد كذب كثير من الناس قديماً وحديثاً باليوم الآخر والبعث والنشور، وأثبته البعض الآخر، وقد صيره بعض المثبتين على غير ما أثبتته الرسل عليهم السلام.

وبين الله تعالى قول المكذبين بهذا الأمر في قوله: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[الرعد: ٥].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾[الأنعام: ٣٠].

والمكذبون بالبعث والنشور قسمان:

القسم الأول: كافرٌ بهما كاليهود والنصارى الذين يُنكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة، زاعمين أنّ أهل الجنة إنما ينعمون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة، وهم مع ذلك يعترفون بحشر الجسد مع الروح ونعيمها وعذابها، وبعض الطوائف من الكفار كالصابئة ومن وافقهم فيقرون بحشر الأرواح فقط، وان النعيم والعذاب للروح فقط. وأنكر كثير من المشركين والكفار وغيرهم المعاد أصلاً، فلم يقروا لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد، وقد بيّن الله تعالى في كتابه

---

(١) ينظر: ركائز الإيمان، صحيفة (٣٩٧).

العظيم وعلى لسان نبيه الكريم ﷺ، قضية معاد الأرواح والأجساد بيانا في غاية التمام والكمال، ورد على الكافرين والمنكرين.

والقسم الثاني: المنافقون: فلا يقرون بألفاظ القران والسنة الواضحة الجلية، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فيقولون: إنما هي من قبيل الأمثال فقط، ضربت لفهم المعاد الروحاني، وممن قال بذلك القرامطة الباطنية، الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر...(١).

وقولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، والمتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام(٢).

وسمى ابن تيمية رحمه الله الصنف المخالف لما عليه المسلمون في أمر المعاد (أهل التخييل) فقال: (فأهل التخييل هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم... فإنهم يقولون إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينفع به الجمهور لا أنه يبين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح الحقائق)(٣).

ويمكن تصنيف من كذب بالبعث والنشور إلى ثلاثة أصناف(٤).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (٣٥/ ١٢٨، ١٣٠، ١٣١).

(٢) ينظر: الاشارات والتنبيهات، الحسين بن عبد الله بن سينا أبوعلي، الفيلسوف الرئيس (ت: ٤٢٨هـ)، تحقيق: سليمان دنيا، دارالمعارف، مصر، الطبعةالثالثة، ١٩٦٠م، النمط الثامن صحيفة (٧٧٤ ـ ٧٧٨)، وشرح المقاصد، التفتازاني، (٢/ ٢٠٧). والمواقف، للإيجي، (٣/ ٤٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى، (٥/ ٣١)، وينظر: لوامع الأنوار البهية، (١/ ١١٦).

(٤) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار =

الأول: الملاحدة: الذين ينكرون وجود الخالق العظيم أصلا، وينكرون صدور الخلق عن الخالق، أي إنهم منكرون للنشأة الأولى والثانية ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدهرية الطبائعية، ومنهم الشيوعيون المعاصرون في زماننا وهؤلاء لا يناقشون في أمر المعاد، بل يناقشون في قضية إثبات وجود الخالق تعالى ووحدانيته أولا، ومن ثم مناقشتهم في إثبات قضية المعاد؛ لأن الإيمان بالمعاد فرع عن الإيمان بالله تعالى.

الثاني: هم يعترفون بوجود الخالق لكنهم يكذبون بالبعث والنشور. ومن هؤلاء العرب القائلون فيما قاله الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ۝٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[النمل: ٦٧ - ٦٨]. وقال تعالى فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[لقمان: ٢٥].

وهم الذين يدعون الإيمان بالله تعالى، ويدعون عدم قدرة الله تعالى على إحياءهم بعد إماتتهم، فهؤلاء الذين ضرب الله تعالى لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته تعالى على البعث والنشور، وأنه تعالى لا يعجزه شيء، ومن هؤلاء طائفة من اليهود يسمون (الصادقين) وهم لا يؤمنون إلا بتوراة موسى، ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور والجنة والنّار.

الثالث: يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التي جاءت بها الشرائع [(١)].

* * *

= النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، صحيفة (٧٢)، وينظر: شرح المقاصد، التفتازاني، (٢/ ٦٠)، ولوامع الأنوار البهية، (١/ ١٩٠).

(١) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، عمر الاشقر، صحيفة (٧٢).

*** المطلب الثاني ـ اليوم الآخر في دعاء الأنبياء:**

وقد ورد ذكر اليوم الآخر في مواضع كثيرة في دعاء الأنبياء وبأسماء متعددة منها:

(الآخرة): جاء في دعاء نبي الله موسى مع قومه: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ١٥٦].

هذا الكلام يتعلق بالبعث بعد الموت، الذي هو بعث الأجساد وحشرها، ونشرها، وإعادة الأرواح إلى الأجساد، وجمع الأجساد بعد أن بليت وبعد أن صارت تراباً، وبعد أن تمزقت وتفرقت، فيبعثها الله، ويعيد إليها الحياة، وتتصل بها أرواحها اتصالاً أبدياً محكماً ليس بعده انفصال، ليس كاتصالها بها في الدنيا الذي يعتريه شيء من الانفصالات، هذا هو البعث بعد الموت، ويكون يوم القيامة عندما ينفخ إسرافيل في الصور، فتخرج كل روح لتصل إلى جسدها، وقبل النفخ في الصور ينزل الله مطراً فتنبت منه أجسادهم، والله قادر على أن ينبتها بدون مطر وغيره، كما في هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، (أنبتكم) يعني: أخرجكم إلى هذا الوجود[1].

وجاء أيضاً في دعاء نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي، (٨/ ٢٣١).

وجاء في موضعٍ آخر باسم (اليوم الآخر)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وجاء في موضع بإسم (قيام الحساب) في دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام باسم (يوم الحساب)، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤١].

وسماه نبي الله إبراهيم عليه السلام في موضع آخر بـ (يوم الدين) قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢]. أي يوم الجزاء والحساب، قال ابن عاشور: (ويوم الدين يوم الجزاء وهو من أسماء يوم القيامة)(١). يوم لا تملك نفس لنفسٍ شيئاً إلا لمن أذن له الله ورضي له قولاً، قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[الانفطار: ١٧ ـ ١٩].

وجاء في موضعٍ آخر بمعنى يوم المرجع والمصير قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[الممتحنة: ٤].

وقال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

---

(١) التحرير والتنوير، (٣٠/ ١٨٢).

[الممتحنة: ٤]: (الأظهر أن يكون هذا من كلام إبراهيم وقومه)[١].

والمصير: (ما ينتهي إليه الأمر، يقال مصير المياه ومصير الخلق)[٢].

وجاء أيضاً في دعاء النبيّ محمد ﷺ مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦].

وجاء معناه في موضع آخر في قوله تعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾[الزمر: ٤٦]. قال ابن كثير: (أي: في دنياهم، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم، وقيامهم من قبورهم)[٣].

وجاء اليوم الآخر في دعاء النبيّ محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٤٦).

(٢) المعجم الوسيط، (١/ ٥٣١).

(٣) تفسير القران العظيم، (٧/ ١٠٣).

وهذا اليوم هو يوم القيامة، فأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم: ٨] قال: (ليس أحد من الموحدين إلا يعطى نورا يوم القيامة فأما المنافق فيطفأ نوره والمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهو يقول: ربنا أتمم لنا نورنا)(١).

ومن أهم حقائق اليوم الآخر التي جاءت في دعاء الأنبياء هي الموت:

فالموت هو أول حقائق اليوم الآخر بالنسبة للإنسان، وهو حقيقة مشاهدة ومحسوسة، وليس غيبا، وهو الذي تنتهي به الحياة المادية الأولى، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[آل عمران: ١٤٥].

فالموت أمر مقدر معلوم الأجل، وهو قرار حاسمٌ لا استثناء فيه لأحد، وهو سائر على الأنبياء، والملائكة، والشياطين، والأولين والآخرين من المخلوقات(٢).

وأُثبت الموت في دعاء النبيّ محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٧].

وفي موضعٍ آخر قال تعالى آمراً نبيه الكريم محمداً ﷺ بالدعاء فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢].

---

(١) أخرجه الحاكم، (٤/ ٨٨).

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية الميسرة، صحيفة (٢٠٠).

وفي قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة: ١١٧].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن تمنى الموت عند حدوث مكروه ونزول ضرر، وروى الإمام مسلم في صحيحة عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»(١).

وروى الشيخان في صحيحيهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عَنْ أَنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيا؛ فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي...»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: (وحكمة النهي عن ذلك أنّ في طلب الموت قبل حلوله نوع اعتراض ومراغمة للقدر، وإن كانت الآجال لا تزيد ولا تنقص، فإن تمني الموت لا يؤثر في زيادتها ولا نقصها، ولكنه أمر قد غيب عنه)(٣).

وقد جاءت الآثار بجواز الدعاء بطلب الموت ـ على الإسلام ـ عند وقوع الفتن واشتداد المحن، وخوف المؤمن على نفسه من الافتتان، ومن ذلك أيضا ما يتعرض له المسلم في بعض المجتمعات من الاضطهاد والتعذيب والمساومات

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٦٥(٢٦٨٢).

(٢) أخرجه البخاري، (٥٣٤٧)، ومسلم ٤/ ٢٠٦٤ (٢٦٨٠).

(٣) فتح الباري، (١٣/ ٢٢١).

التي لا طاقة له بها، ففي مسند الإمام أحمد من حديث معاذ رضي الله عنه، وفيه يقول ﷺ في دعائه المأثور «وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»(١).

وقال تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]، أي: إذا جاء أجلي توفني مسلماً، أي تمنى الوفاة على الإسلام.

قال ابن أبي العز: (استُدل بهذه الآية على جواز تمني الموت فلا دليل له فيه، فإن الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام، لا بمطلق الموت، ولا بالموت الآن، والفرق ظاهر)(٢).

قال قتادة: (لم يتمن الموت أحد لا نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه العزيز فقال: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١].

قال ابن عطية: (ذكر كثير من المفسرين أن يوسف عليه السلام لما عدد في هذه الآية نعم الله عنده تشوق إلى لقاء ربه ولقاء الخلة وصالحي سلفه وغيرهم من المؤمنين ورأى أن الدنيا كلها قليلة فتمنى الموت في قوله: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١] وقال ابن عباس: لم يتمن الموت نبي غير يوسف وذكر المهدوي تأويلاً آخر وهو الأقوى عندي: أن ليس في الآية تمني موت وإنما عدد يوسف عليه السلام نعم الله عنده ثم دعا أن يتم عليه النعم في

---

(١) أخرجه الترمذي، (٣٢٣٥)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٣٦٤). وينظر الجامع لأحكام القران، (٩/ ٢٦٩).

باقي عمره أي ﴿تَوَفَّنِي﴾[يوسف: ١٠١] إذا حان أجلي على الإسلام واجعل لحاقي بالصالحين وإنما تمنى الوفاة على الإسلام لا الموت)(١).

وروى أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به»(٢)

فقول النبيّ ﷺ لضر نزل به إنما يريد ضرر الدنيا كالفقر والمرض ونحو ذلك.

أما عن تمني الموت مخافة فساد الدين مباحاً ويدلك على هذا قول النبيّ ﷺ: «يأتي على الناس زمان يمر فيه الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه ليس به الدَين لكن ما يرى من البلاء والفتن»(٣)، فقوله: (ليس به الدين) يقتضي إباحة ذلك أن لو كان عن الدين وإنما ذكر رسول الله ﷺ حالة الناس كيف تكون(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ياليتني مكانه»(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت في الناس فتنة

---

(١) المحرر الوجيز، (٣/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٣٧) ومسلم ٤/ ٢٠٦٤(٢٦٠٨).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٧٥٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٨٢: (رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي الزعراء الكبير وثقه ابن حبان وضعفه غيره).

(٤) المحرر الوجيز، (٣/ ٢٩٠).

(٥) أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم ٤/ ٢٢٣١ (١٥٧).

فاقبضني إليك غير مفتون»[١]. ومن هنا يتبين لنا جواز تمنى الموت عند وقوع الفتن، وفى ذلك يقول الإمام ابن كثير في التفسير: (فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت، ولهذا قال الإمام علي رضي الله عنه في آخر خلافته لما رأى أن الأمور لا تجتمع له ولا يزداد الأمر إلا شدة فقال: اللهمّ خذني إليك فقد سئمتهم وسئموني)[٢].

والراجح ما قاله: أهل العلم من إن النهي عن تمني الموت خاص بما كان سببه الأمور الدنيوية كالفقر والمرض وفقد عزيز ونحو ذلك. وأما إذا تمنى الإنسان الموت خوفاً من فتنة في دينه فيجوز ذلك. والله أعلم.

***

*** المطلب الثالث ـ البعث في دعاء الانبياء:**

وهو الإحياء بعد الموت[٣]، وفيه يبعث الله تعالى الناس من قبورهم، بجمع أجزاءهم الأصلية، وإعادة الأرواح إليهم.

والبعث من القضايا التي يجب أن يؤمن بها كل مسلم، إذ يبعث الله تعالى الناس يوم القيامة من قبورهم، بأرواحهم وأجسادهم كما خلقهم أول مرة دون نقص، فيحيهم بعد موتهم فيخلق تعالى الإنسان من جديد يوم القيامة بعد أن تَبلى كل أجزاء جسمه ولا يبقى إلا عظم الذنب، الذي يعيد الله تعالى منه تركيب جسم الإنسان يوم القيامة، قال النبيّ محمد ﷺ: «إنَّ كل ابن آدم تأكله الأرض

(١) أخرجه الترمذي، (٣٢٣٣).
(٢) تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٢٠).
(٣) ينظر: اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، صحيفة (٩٧)، والتحرير والتنوير، (٦/ ١٦).

إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب»(١). فالبعث حق للأرواح والأبدان معا لا ينكره إلا خارج عن الملة، وبعث الأجساد فيه دلالة على قدرة الله تعالى، التي لا يعجزها شيء، فهو الذي خلقهم أول مرة، فكيف يعجزه إعادتهم وهو أهون عليه تعالى من خلقهم الأول؟!.

وقد جاء ذكر البعث في دعاء الأنبياء في قوله تعالى على لسان نبي الله إبراهيم ﷺ حين دعا ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى فكان ما قصه علينا الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٠].

فأمره الله تعالى بأخذ أربعة من الطير لذبحها، وتفريق أجزاءها على الجبال، ثم ندائها للاجتماع عنده، فكان كل عضو يأتي ليقع في مكانه، فلما اجتمعت الأجزاء نفخ الله تعالى فيها الروح فانطلقت محلقة في الفضاء.

وكذا ذُكر البعث في دعاء النبيّ ﷺ قال تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٧].

وكذلك في دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[الشعراء: ٨٧ ـ ٨٨].

* * *

(١) أخرجه مسلم، ٤/ ٢٢٧٠ (٢٩٥٥).

*** المطلب الرابع ـ إثبات الجنة والنّار في دعاء الأنبياء:**

هما بداية نهاية الرحلة الطويلة، التي بدأ جزءٌ منها على الأرض فكانت الحياة الدنيا، لتصل اليوم إلى نهايتها، حيث المرحلة الأخيرة، التي يُقر فيها الثواب الأخير والعقاب الأخير، كي تكتمل الصورة ويَحق الحق وتصل الأشياء إلى قرار.

فجعل الله تعالى ختام الأمر في دارين (الجنة) دار النعيم، و(النّار) دار العذاب.

فالجنة في الآخرة هي دار ومأوى للمؤمنين بالله تعالى الطائعين والمسلمين له، الذين استقاموا في حياتهم الدنيا، فأمنوا بالله تعالى، والتزموا أوامره، وتجنبوا سخطه، وسعوا إلى رضاه تعالى، وأيقنوا بلقائه، فاستحقوا بذلك رضوان الله تعالى ودخول جنته دار الأمان، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[الدخان: ٥٦].

وللجنة درجات ومراتب، تتناسب مع إيمان العبد ومعرفتة بالله تعالى، وخشيته لله تعالى والعمل الصالح الذي قدمه في حياته الدنيا. والجنة حق ويجب الإيمان بها، ومن أنكرها أو جحد نعيمها فهو كافرٌ خارج عن ملة الإسلام[١].

والنّار هي دار ومأوى الكافرين بالله تعالى، والمستكبرين عن عبادته وطاعته، المخالفين أمر ربهم ورسله، والكاذبين الذين أصروا على غيهم، فاستحقوا الوصول إلى الجحيم، فلا موت ولا حياة ولا تخفيف لهم من العذاب[٢].

---

(١) ينظر: التوحيد، ابن خزيمة، صحيفة (٥٥٩)، وإيضاح الدليل، ابن جماعة، صحيفة (١١١)، ومعارج القبول، (٣/ ١٠٣٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٣/ ٤٢).

وكما إنّ للجنة درجات فإنّ للنّار دركات ومنازل تتناسب مع مستوى معصية المرء وإجرامه، وهي حق يجب الإيمان به، ومن أنكرها أو جحد عذابها؛ فهو كافرٌ خارجٌ عن ملة الإسلام.

وقد جاء ذكر عذاب النّار ونعيم الجنة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: ١٠٦ ـ ١٠٨].

وجاء في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة أوصافاً للجنة والنّار لا حصر لها، فلا تكاد تخلو سورة من القران من ذكر الجنة أو النّار إلا القليل النادر، ولا تغيب عن متتبع كتاب الله تعالى، وفي جملتها إثبات لـ :

١ ـ أن الجنة فيها أنواعاً من النعيم يتلاءم مع طبيعة الإنسان، وقد وصف لنا الإلـه العظيم الجنـة بما يعجز الخيال عن الإحاطة به، وقـد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ الكريم ﷺ في وصف الجنة، قال: «فيها مالا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما طلعتم عليه»، ثم قرأ ﷺ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧][(١)].

وان أوصافها لا يمكن لأحدٍ أن يحصرها، فعرضها كعرض السماوات والأرض أُعدت للمتقين، قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١].

---

(١) رواه البخاري، (٤٧٨٠)، ومسلم ٤/ ٢١٧٤ (٢٨٢٤).

فالنعيم الحسي أو المادي يكون في حدود تصورنا وخبرتنا وتجاربنا القاصرة في الحياة الدنيا، ولكنه في الحقيقة أروع وأجمل من كل ما نتصوره، فلا الأشجار كالأشجار ولا الاطيار كالأطيار ولا الجمال كالجمال، وحتى رضوان الله تعالى عنا ليس كالرضوان، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. ولكن البشر لا يستطيعون أن يدركوا من معانيها إلا ما يدخل في دائرة تجربتهم وتصورهم.

٢ ـ أن في النّار أنواعاً من العذاب المادي والروحاني، بعضها أشد من بعض، والناس لا يستطيعون أن يتصوروا من أمر النّار إلا ما يشاهدوه في الحياة الدنيا، ومهما تصورنا نوع العذاب فأننا لن ولن نصل إلى حقيقة عذاب الجحيم الذي ينتظر الكفار والعصاة والمكذبين في النّار أعاذنا الله تعالى منها.

وقد جاء ذكر الجنة في دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلامُ، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾[الشعراء: ٨٥].

ويظهر أثر الجنة في دعاء نبي الله عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأعراف: ١٥١] أي: (عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة)[1].

وجاء ذكر النّار في دعاء الأنبياء في دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ

(١) تفسير النسفي، (١/ ٦٠٧).

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: ١٢٦]. أي: (أن المرجع الذي يصير إليه النّار)[1].

فالله تعالى يحذر الكافرين بأن لهم النّار والعذاب في الآخرة ليس على اختيار منهم ولكن وهم مقهورون[2].

وجاء في دعاء نبي الله موسى قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[يونس: ٨٨].

وجاء كذلك في دعاء عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨].

* * *

* المطلب الخامس - إثبات رؤية الله تعالى في دعاء الأنبياء:

جاء ذكر رؤية الله تعالى في دعاء نبي الله موسى قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد اختلفت الفرق الإسلامية في رؤية الله تعالى في الآخرة إلى فريقين:

الفريق الأول: قالوا بجواز رؤية الله تعالى في الآخرة، وقد أجمع الصحابة

---

(١) تفسير النسفي، (١/ ١٢٩).

(٢) تفسير الشعراوي، صحيفة (١٣٠).

والتابعون على إمكانية رؤية الله تعالى في الآخرة، وذلك بابتهالهم إليه تعالى في طلب لذة النظر إلى وجهه الكريم واعتقادهم بذلك، وهو قول الجمهور واستدلوا على ذلك بأدلة العقل والنقل[1].

ومن تلك الأدلة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾وناظرة: من النظر أي الرؤية لأن الوجوه هي محل الرؤية لأن فيها العينين.

وفي الآية تصريحٌ برؤية العباد لربهم في الآخرة في جنات النعيم[2]، بينما يُحرَم الكفارُ من هذه الرؤية الكريمة، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥].

وفي معنى الحسنى في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، قال أبو موسى رضي الله عنه: (الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل)[3].

فالزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل، وأي رؤية هي! اللهمّ لا تحرمنا إياها.

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للشافعي، صحيفة (٤٠)، ومقالات الإسلاميين، الأشعري، (١/ ٢١٨)، والشفا للقاضي عياض، (١/ ٣٧٦وما بعدها)، والمواقف، للأيجي، صحيفة (٥٠٣)، وشرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١٥٩ ـ ١٥٨)، وحادي الأرواح، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، صحيفة (٢٣٣).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١٥٤).

(٣) الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي المرْوزي (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢/ ١٢٧).

وحاء عن صهيب الرومي رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النّار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»(١).

وعن جرير البجلي رضي الله عنه، قال: كنا جلوسا عند النبيّ ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس، فافعلوا»(٢).

وقال الطحاوي: (أن الرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق بها كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢ـ٢٣]. وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلِمه، وكل ماجاء في الحديث الصحيح من النبيّ ﷺ فهو كما قال، ومعناه انه أراد أن لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فأنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله تعالى ولرسوله ﷺ ورد علم من اشتبه عليه إلى عالمه)(٣).

الفريق الثاني: عدم جواز رؤية الله تعالى.

وهو قول الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والإمامية، والنجارية(٤).

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٦٣ (١٨١).

(٢) أخرجه البخاري، (٧٤٣٤)، ومسلم ٢/ ٤٣٩(٣٦٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١٥٣).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١٤٣)، المواقف للأيجي، (٣/ ١٧١).

وقد استدل أصحاب نفي الرؤية بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣]، وتعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام: ١٠٣].

قال الزمخشري ـ وهو من المعتزلة ـ : إنّ (لن) تفيد التأبيد وأنها تفيد تأكيد النفي(١)، تأيداً لما لمذهبه الاعتزالي من عدم جواز الرؤية واستحالتها.

و(لن) في ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣] لا تفيد التأبيد المؤبد، لقوله تعالى عن اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، مع أنهم يتمنون الموت في الآخرة، ليتخلصوا من العذاب، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[الزخرف: ٧٧]، فلو كانت (لن) للتأبيد الشامل للدنيا والآخرة، لما جاز أن يتمنى اليهود الموت في الآخرة(٢).

كما أن (لن) تفيد توكيد النفي، بدلالة قوله (أبداً)(٣).

ويظهر أثبات رؤية الله تعالى في دعاء الأنبياء واضحاً جلياً في قول موسى عليه السلام داعيا ربه وطالباً النظر إليه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف: ١٤٣].

---

(١) ينظر: تفسيرالكشاف، (٢/ ١٤٥)

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١٥٧)، وأصول الدين الإسلامي، صحيفة (١٧٨).

(٣) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية إبن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م، (٤/ ١٤٨).

ويستدل بهذه الآية على جواز رؤية الله تبارك وتعالى في الآخرة من وجوه:

الأول: الأنبياء أعلم الناس بربهم، فلا يمكن الظن أن نبي الله وكليمه واعلم الناس بربه في زمانه، أن يسأل الله تعالى مالا يجوز له، وذلك من أعظم المحال[١].

إذ لا يجوز لأحدٍ من الأنبياء أن يجهل بشيء من أحكام الإلوهية[٢].

الثاني: قال تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣] ولم يقل إني لا أُرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو ليس بمرئي، فموسى عليه السلام طلب رؤية الله تعالى، وهذا يدل على انه تعالى يمكن رؤيته لكن قواه لا تحتمل الرؤية في الدنيا، فجعل له دليلاً وهو الجبل، فاستقراره عند رؤية الله عز وجل، يمكن موسى عليه السلام من رؤية الله[٣].

وعلى الخلاف الحاصل بين الطرفين إلا إنهم ينزهان الله تعالى عن الجهة والتجسيم. كما يستدل بها على عدم جواز رؤية الله تعالى في الدنيا[٤].

وقد اختلفت الفرق الإسلامية في رؤية النبيّ محمد ﷺ ربه في الدنيا فمنهم من نفاها واستدل بأدلة منها حديث مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله والله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (١٥٦).

(٢) ينظر: المواقف، (٣/ ١٧١).

(٣) ينظر: الإبانة، صحيفة (٤١)، والمواقف، (٣/ ١٧٥).

(٤) ينظر: الشفا للقاضي عياض، (١/ ٣٨٤)، وأصول الدين الإسلامي، صحيفة (١٧٧).

ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى: ٥١]. وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني أليس يقول الله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾[النجم: ١٣]، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾[التكوير: ٢٣]، قالت: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا، قال: إنما ذاك جبريل ما رأيته في الصورة التي خلق فيها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض(١).

ومنهم من أثبتها(٢)، وممن قال بإثباتها بعض الصحابة منهم ابن عباس رضي الله عنهم واستدل بأدلة سمعية منها قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةً لِّلنَّاسِ﴾[الإسراء: ٦٠]. ومن أدلتهم أيضاً حديث الإسراء والمعراج.

والرؤية التي قصدها ابن عباس رضي الله عنه وبعض الصحابة رضي الله عنهم هي رؤيا مقيدة وهي (رؤية الفؤاد). ورواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مُطلقة، وعليه فلا خلاف بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبين ابن عباس رضي الله عنه لحمل المطلق على المقيد(٣).

والتنازع في مسألة رؤية الله تعالى في الدنيا مأثور، فيكون احتمال القولين ممكناً، ولا يمكن الجزم بأحدهما، يقول القاضي عياض: (والحق الذي لا امتراء

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ١٥٧(١٧٧).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم، (٣/ ٧)، والتبصير في الدين، السفرايني، صحيفة (١٥٧)، ومعارج القبول، (١/ ٣٤٢).

(٣) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (١/ ٣٤٠)، وشرح النووي على مسلم، (٣/ ٧).

فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهداته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله تعالى (لن تراني) أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من نبيه موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]. لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضى قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل: لا تدركه أبصار الكفار وقيل: لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[الأعراف: ١٤٣] وقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ لما قدمناه ولأنها ليس على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات تتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل)[١].

❐❐❐

(١) الشفا للقاضي عياض، (١/ ٣٨٤)، وينظر: أصول الدين الإسلامي، صحيفة (١٧٧).

المبحث الثَّاني

أثر أدعية الأنبياء في إثبات القضاء والقدر

*** المطلب الأول ـ مفهوم القضاء والقدر والفرق بينهما، وأدلته من الكتاب والسنة، وموقف الفرق منه:**

من المعوم أنّ القدر ركن من أركان الإسلام التي ذكرها النبيّ ﷺ في حديث جبريل عليه السلام حين جاء يسأله عن الإسلام والإيمان معلماً المسلمين أحكام دينهم، فسأله جبريل عليه السلام: «... فأخبرني عن الإيمان؟ : قال: أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت»(١).

وباب القضاء والقدر من الأبواب العقدية العظيمة وأهمها، ولا يحق إيمان المرء إلا به، فالإيمان به من تمام الإيمان، قال ابن عباس رضي الله عنه: (هو نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض توحيده)(٢).

وقال الإمام أحمد (القدر هو قدرة الله)(٣). فالمكذّب به مكذبٌ بقدرة الله تعالى.

وباب القدر من أبواب العقيدة الشائكة والخطيرة، حار في فهم حقيقته

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٣٦ (٨).

(٢) مجموع الفتاوى، (٣/ ١١٣).

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٣٥).

النظار والعقلاء قديما وحديثا، فحاروا وحيروا، وتعبوا واتعبوا، لأنهم التمسوا الهدى في غير مواضعه، فأخذوا من النصوص ما يوافق أهواءَهم وتغافلوا عما خالفها.

ومن نظر إلى القران الكريم والسنة النبوية ومسلك السلف الصالح في هذا الأمر، سلم من الإفراط والتفريط، والجفاء والغلو، والبعد عن المسار الصحيح، فهي السبل التي ترشد العقل إلى التفكر في الأمور التي يمكن الخوض فيها في هذا الأمر الشائك، وتجنبه الخوض في الأمور التي يستحيل على العقل الخوض فيها.

أولاً ـ القضاء والقدر في اللغة وفي الاصطلاح:

القضاء في اللغة: هو الحكم والصنع، والختم، والبيان، واصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق[١].

وفي الاصطلاح: (عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد)[٢].

والقدر لغة: (مبلغ كل شيء، يقال: قدره كذا أي مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدره وأقدر من التقدير)[٣].

والقدر في الاصطلاح: (تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (قضي)، (٥/ ٩٩).

(٢) التعريفات، صحيفة (١٧٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة، (قدر)، (٥/ ٦٢)، والقاموس المحيط، صحيفة (٤٦٠).

فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر)(١).

فالقدر: (ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن وأنه تعالى قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعَلِمَ سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها)(٢).

ثانياً ـ الفرق بين القضاء والقدر:

إختلف العلماء في ذلك على أقوال، وفيما يأتي سردٌ لبعض تلك الأقوال:

القول الأول: قيل: (المراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[فصلت: ١٢]، أي خلقهن)(٣)

وقيل: (والقضاء من الله أخصّ من القدر؛ لأن القضاء: الفصل بين التقدير؛ فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع)(٤).

وقد ذكر بعض العلماء (أن القدر بمنزلة الْمُعَدِّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل)(٥).

القول الثاني: وهو عكس ما سبق، قال الحافظ ابن حجر: (وقالوا ـ أي العلماء:

---

(١) التعريفات، صحيفة (١٧٤).

(٢) لوامع الأنوار البهية، (١/ ٣٤٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٢/ ٨٨)، وينظر: روح المعاني، (١/ ٢)، وفتح القدير، (٦/ ٣٦٦).

(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، (١/ ١٩١).

(٥) الفروق اللغوية، للعسكري، (١/ ٤٢٣).

فالقضاءُ هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدرُ هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق)(١).

القول الثالث: أنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فكل واحد منهما بمعنى الآخر؛ فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ويعبر عن كل واحد منهما كما يعبر عن الآخر؛ فهما مترادفان من هذا الاعتبار، فيقال: هذا قدر الله، ويقال: هذا قضاء الله، ويقال: هذا قضاء الله وقدره.

قال السفرايني: (القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأنّ أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء، وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه)(٢).

(ولعل الأقرب ـ والله أعلم ـ أنهما إذا اجتمعا افترقا؛ بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلول بحسب ما سبق في الأقوال السابقة، وإذا افترقا اجتمعا؛ بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيـه الآخر، وبالجملة فالأمر يسير، والخلاف فيها لا يترتب عليه شيء)(٣). قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

---

(١) فتح الباري، (١١/ ٤٧٧)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، (٣١/ ٣٤٧).

(٢) لوامع الأنوار البهية، (١/ ٣٥٨).

(٣) مصطلحات في كتب العقائد، محمـد بن إبراهيم بن أحمـد الحمد، در ابن خزيمة، الطبعة الأولى، صحيفة (١٧٦). وينظر: لوامع الأنوار، (١/ ٣٥٩)، دار القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة عشر، ٢٠٠٥م، صحيفة (٢٤).

وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[التوبة: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[الأنعام: ٢٨]. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل النبيّ ﷺ عن أبناء المشركين، فقال: (الله اعلم بما كانوا عاملين)[١]. وقال ﷺ: «ما منكم من نفسٍ إلا وقد عُلم من الجنة والنّار»[٢].

ثالثاً ـ أدلته من الكتاب والسنة:

دل القران العظيم والسنة النبوية المطهرة على هـذا الركن العظيم من أركان الإيمان. فدليله من القران الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢].

وأدلته من السنة الطيبة: قوله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»[٣].

وفي رواية عن طاووس قال: (أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، قال وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: كل شيء بقدر حتى العَجزُ والكَيسُ أو الكُيسُ والعَجزُ)[٤].

وقال ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»[٥].

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٧) (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٤٤) (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه مسلم، ١/ ٣٨ (٨).

(٤) أخرجه مسلم، ٤/ ٢٠٤٥ (٢٦٥٥).

(٥) أخرجه مسلم، ٤/ ٢٠٥٢ (٢٦٦٤).

رابعاً ـ موقف الفرق من مسألة القدر:

اختلف موقف الفرق من القضاء والقدر فضلّ فيها من ضلّ، لإتباعهم الأهواء العمياء، واهتدى إلى الحق من اتبع سبيل العقل الذي اهتدى بالنصوص الصحيحة والصريحة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وقد اشتغل الناس قديماً وحديثاً في هذا الأمر؛ لأنه مرتبط بحياتهم وما فيها من تقلبات الأحوال من صحة ومرض، وفقر وغنى، وموت وحياة، وسعادة وشقاء، وما جرى مجرى ذلك. ولا يوجد مذهب من المذاهب التي قال بها الفلاسفة من الذين أنكروا علمه تعالى بالجزئيات، وقالوا إنه يعلم الأشياء على وجه كلي ثابت، وحقيقة قولهم انه لا يعلم شيئا، فأنّ كل ما في الخارج هو جزئي(١).

وذهب قوم من الغلاة ممن يزعمون الترقي في مقام الشهود للحقيقة الكونية والربوبية الشاملة، فذهبوا إلى أنّ كل ما يصدر من العبد من ظلم وفسوق وكفر هو طاعة محضة؛ لأنها تجري وفق قضاء الله وقدره فالعبد محبوب لدى ربه مرضي عنه، فإنه إن خالف أمر الشرع فقد أطاع إرادته ونفذ مشيئته، فمن أطاع الله في قضائه وقدره هو كمن أطاعه في أمره ونهيه، كلاهما قد قام بحق العبودية، ومن ثم فلا لوم ولا تثريب، بل الكل مطيع بفعله لإرادة ربه، فصححوا بذلك إيمان فرعون وعبدة العجل، واليهود والنصارى والمجوس!(٢).

ومذهب هؤلاء في القدر من أخبث المذاهب بل هو كفرٌ من أقبح أنواع الكفر.

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، (٤/ ٢٩٢).

(٢) ينظر: شرح نونية ابن القيم للهراس، (١/ ٣٧٢)، والمعتزلة بين القديم والحديث، محمد عبدة، طارق عبد الحكيم، (٥٨).

يقول ابن تيمية رحمه الله: (فأن من احتج بالقدر وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور، والمحظور، والمؤمنين والكفار، وأهل الطاعة، وأهل المعصية، لم يؤمن بأحد من الرسل، ولا شيء من الكتاب، وكان عنده آدم وإبليس سواء، ونوح وقومه سواء، وموسى وفرعون سواء، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء)[١].

وقول الملاحدة الذين قالوا إنّ للكواكب والنجوم والأفلاك والأبراج تأثيرٌ على الإنسان، فينظرون فيها ليستطلعوا من خلالها إسرار القدر، فيعتمدون على الأبراج في معرفة حظ الإنسان ثم راحت كثير من القنوات الفضائية تفتات على برامج متلفزة تحارب الله جهاراً نهاراً باسم علم التنجيم أو الأبراج، وهو عدوان على قدر الله، وهذا من الضلال في مسألة القدر؛ لأن القدر غيب والغيب لا يعلمه إلاّ الله، وقد قال بمثل هذا غيرهم ممن سبقهم.

والأقوال في القدر في جملتها لم تتغير قديما أو حديثاً، وهي ترجع إلى ثلاثة أقوال:

١ ـ قول أهل الجبر: سموا بهذا الاسم نسبة إلى الجبر لقولهم به في باب القدر، والجبر: (هو إسناد فعل العبد إلى الله)[٢]. أو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى [٣].

---

(١) مجموع الفتاوى، (٨/ ١٠٠).

(٢) التعريفات، صحيفة (٧٤).

(٣) ينظر: الملل والنحل، (١/ ٥٨)، ونهاية الاقدام في علم الكلام، للشهرستاني، صحيفة (١٨٠)، والفَرق بين الفرق، للبغدادي، صحيفة (١٢٨)، والتبصير في الدين، الاسفرايني، صحيفة (٩٦).

وغالت الجبرية في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقةً، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل؛ أي أن الإنسان مجبور على أفعاله، بلا إرادة ولا قدرة كالريشة في مهبِّ الرياح، وإنما تُسْنَدُ الأفعال إليه مجازاً، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليفُ العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتّهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون(١).

فهم بذلك يزعمون أن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعالهم، وهؤلاء يسمون بالقدرية المشركية؛ لأنهم شابهوا المشركين في قولهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾[الأنعام: ١٤٨].

وقد سلك الجبرية طريق الحق في قولهم: ان الله تعالى خالق لأفعال العباد لكنهم حادوا عنه في قولهم: إن العبد ليس بفاعل لأفعاله في الحقيقة وإنما الفاعل هو الله، فقد عمل الجبرية بالنصوص الدالة على إنّ الله تعالى خالق كل شيء وأن كل شيء بقدر الله تعالى وقضائه ومشيئته وإرادته، واغفلوا ما دل عليه أنّ للعبد فعلا وقدرة وإرادة(٢).

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٤٣٩)، وإيضاح الدليل، ابن جماعة، صحيفة (١٥)، ونونية، ابن القيم، (١/ ٣٧٢)، والقضاء القدر، الأشقر، صحيفة (١٩).

(٢) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم محمد با عبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، صحيفة (٣٨١).

٢ ـ قول القدرية: وهم أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وواصل بن عطاء، وعمر بن عبيد من المعتزلة، ومن وافقهم وهم القدرية، الذين قالوا في القدر: أن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته أثر في ذلك، وان أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى، وإنما العباد هم الخالقون لها، وهذا أصل من أصول المعتزلة (١).

ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[التكوير: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩]، وبهذا جعلوا الله تعالى شريكا في خلقه، ولم يلتفتوا إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩]. وقد أراد أصحاب هذا المذهب في بداية الأمر تنزيه الله تعالى عن الشر ولكنهم وقعوا في نفي القدر.

وأقطاب القدرية ثلاثة ذكرهم الإمام الأوزاعي(٢)، فقال: (أول من نطق

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، (٧٧٢)، والمواقف، للأيجي، (٣/ ٢٥٤)، ودراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، صحيفة (٢٦١)، وأصول الدين الاسلامي، صحيفة (١٨٧).

(٢) الأوزاعي: هو الإمام العابد الحجة الثقة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الفقيه (ت: ١٥٨هـ)، روى عن كثيرٍ من التابعين، كان رأساً في العلم والعمل والإتباع، بارعاً في الكتابة، كثير الصلاة والعبادة، وقيام الليل. ينظر: تهذيب التهذيب، (٦/ ٢٣٨)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبوالفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، (٢/ ٢٥٨).

في القدر رجلٌ تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ عنه غيلان عن معبد)[١].

وكان مذهب هؤلاء يستند إلى أمرين[٢]:

المذهب الأول: نفيهم لعلم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها.

المذهب الثاني: نفيهم خلقه تعالى لأفعال العباد، فأفعال العباد عندهم ليست واقعة بقدرة، وهؤلاء هم غلاة القدرية الأوائل الذين انقرض مذهبهم والمتأخرين منهم يثبتون علم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها ولكنهم ينفون خلقه تعالى لأفعال العباد.

ويتلخص قول هذه الفرقة باستقلال الإنسان في أفعاله عن خالقه، وأنَّ الإنسانَ له إرادة مستقلة عن إرادة الله، وأنه هو الذي يخلق أفعاله.

وهكذا يظهر بوضوح أن القدرية أخذت بالنصوص التي دلت على أن العبد هو الفاعل لفعله حقيقة، وأنّ له قدرة وإرادة ومشيئة واختيار، وأهملوا ما دلّ منها على خلق الله تعالى لأفعال عبيده وعموم قدرته عليها، ومشيئته لها.

٣ـ المذهب الثالث: الوسط وهو مذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر.

كانت البداية الحقيقة لمنشأ الخلاف والكلام في القدر في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم وكما أسلفنا، فكان أول من تكلم في القدر في وقتهم رضي الله عنهم معبد الجهني الذي قال بنفي القدر ونادى به وأظهره وخاصة في البصرة.

وفي الحديث عن يحيى بن معمر[١] قال: (إنّ أول من قال في القدر بالبصرة

---

(١) الشريعة، الآجري، (٣٣٤٣)، وأصول السنة، اللالكائي، (١/ ٣٤١).

(٢) ينظر: مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، (١/ ٤٨ فما بعدها)، وأصول الدين الإسلامي، صحيفة (١٨٧).

معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والأخر عن شماله فظننت أنّ صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أنْ لا قدر وأن الأمر أنف؟ قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنّ لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر...)(٢).

ونقل الحافظ ابن حجر عن جماعة من أهل العلم القول: (قد انقرض هذا المذهب ولا نعرف أحدا ينسب إليه من المتأخرين قال: والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من المذهب الأول)(٣).

وفي مقابل القول بنفي القدر ظهر قول مضادٌ ومعاكس لهذا القول وهو القول بالجبر، ومضمون هذا القول ـ كما سبق ـ هو أن الإنسان مجبورٌ على أفعاله فلا يقدر على شيءٍ منها، فهم سلبوا الإنسان إرادته ومشيئته وجعلوه بمنزلة الجماد، فهو يسير مجبورٌ على أفعاله غير مخيرٍ فيها فلا فعل له في الحقيقة. وأول من

---

(١) هو يحيى بن يعمر البصري نزل مرو، وكان يرسل، مات قبل المائة. ينظر: التقريب لابن حجر، (٢/ ٣٦١).

(٢) أخرجه مسلم، (١/ ٣٦) (٨).

(٣) فتح الباري، (١/ ١١٩)، وسطية أهل السنة بين الفرق، (٣٧١).

تكلم بهذا القول في الإسلام الجهم بن صفوان[١].

ويظهر مما سبق أن القدرية النفاة مفرطون في باب القدر، فقد سلبوا الله تعالى قدرته، فقالوا: أن العباد هم الخالقون لأفعالهم.

ومن ذلك نرى ان الفريقين قد سلكوا طريق الإفراط والتفريط في هذا الباب وقد يكون لهؤلاء بعض الحق فيما قالوا ولكنهم لم يقولوا الحق كاملاً، والقول الحق في هذا الباب ما قاله أهل السنة والجماعة.

قال ابن تيمية رحمه الله: (أصل هذه المسألة: أن يُعلم الإنسان أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد وغير أفعال العباد.

وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه.

وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، ومالم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون. وتقديره لها وكتابته إياها

(١) ينظر: فتح الباري (١/ ١١٩)، وسطية أهل السنة في الفرق (٣٧١).

قبل أن تكون. وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف، أي مستأنف)(١).

وقال: (وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أنّ العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده)(٢).

ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[المدثر: ٥٤ ـ ٥٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الإنسان: ٢٩ ـ ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧ ـ ٢٩].

والحق: (إنّ فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله مفعول لله، لا يقولون له نفس فعل الله، ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول)(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى، (٨/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى، (٨/ ٤٥٢).

(٣) منهاج السنة، (٢/ ٢٩٨).

وأهل السنة قالوا بها مع الطائفتين من حق فقالوا: إن الله تعالى خالق لأفعال العباد حقيقة؛ لأنهم خلقٌ له وأفعال العباد مخلوقة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]. وقوله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانعٍ وصنعته»(١).

وقالوا: إنّ العبد فاعلٌ لفعله حقيقةً، وقادرٌ عليه بأقدار الله له عليه، والله تعالى أثبت للعبيد فعلاً، فقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فهم لم ينفوا فعل العبد كما قالت الجبرية، ولم يجعلوا العباد خالقين لأفعالهم من دون الله تعالى كما قالت القدرية (٢).

(فقد هدى الله تعالى أهل السنة لما اختلف فيه غيرهم من الحق، فعملوا بجميع النصوص الواردة في باب القدر، كلٌ فيما دل عليه، فليس في كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ تناقض أوتضارب، والجمع ممكن عند أهل الحق والعلم)(٣).

* * *

*** المطلب الثاني ـ إرادة الله تعالى ومشيئته في أدعية الأنبياء:**

اختلفت الفرق في أقوالها وتباينت في مواقفها في باب إرادة الله تعالى ومشيئته ومحبته ورضاه، فضل في ذلك من ضل من الفرق واهتدى المتمسكون بكتاب الله تعالى العظيم، وسنة نبيه الكريم لما اختلف فيه من الحق.

فقالت المعتزلة: كل ما أراده الله تعالى وشاءه فقد أحبه ورضيه فسووا بذلك بين إرادته تعالى ومشيئته وبين محبته، فجعلوها واحدة وقالوا: الكفر

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، (١٠٢).

(٢) ينظر: شرح المقاصد، (٢/ ١٤٠) ومعارج القبول، (١/ ٢٣٣).

(٣) وسطية أهل السنة بين الفرق، صحيفة (٣٨٢).

والفسوق والعصيان لا يحبها الله تعالى ولا يرضاها، فلا يريدها ولا يشاؤها فهي خارجة عن محيط إرادته وعموم مشيئته[١]، وخلاصة قولهم أنه يقع في ملك الله تعالى مالا يريد ولا يرضى ولا يحب ولا يشاء.

وقالت الجبرية: الكون كله بقضاء الله تعالى وقدره، والله تعالى هو الخالق الفاعل في الحقيقة، والإنسان مجبورٌ على أفعاله لا إرادة له ولا قدرة، فكل ما وقع في الكون سواء في ذلك الإيمان والكفر والطاعات والمعاصي، محبوبا عند الله تعالى مرضياً له؛ لأن كل ذلك وقع بإرادته ومشيئته فسووا بين الإرادة والمشيئة والمحبة والرضا[٢].

وقد احتج هؤلاء بالقدر على المعاصي، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[الأنعام: ١٤٨]. وخلاصة قولهم أن الكفر والشرك والعصيان محبوبة لله مرضية عنده.

وقال أهل العلم: لا يدل معنى إرادة الله تعالى ومشيئته على معنى محبته ورضاه؛ بل هنالك فرق بينهما، فالإرادة في كتاب الله تعالى نوعان:

النوع الأول: إرادة شرعية (دينية): وتتضمن معنى المحبة والرضى[٣]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

النوع الثاني: إرادة كونية (خلقية): وهي معنى الإرادة والمشيئة الشاملة لجميع

(١) ينظر: لوامع الأنوار البهية، (١/ ٣٦١)، والقضاء والقدر، الأشقر، صحيفة (٦).

(٢) ينظر: خلق أفعال العباد، البخاري، صحيفة (١١٣)، وشرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٢٢٨)، ومجموع الفتاوى (١٦/ ٢٣٥).

(٣) ينظر: معارج القبول، (١/ ٢٣٠).

الموجودات[١]، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة: ٢٥٣].

وقالوا: إنّ الله تعالى لا يحب المعاصي ولا يريدها ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل هو تعالى يسخطها ويبغضها، ويكرهها وينهى عنها، وإن كان يريد المعاصي إرادةً كونية.

وهذا هو قول سلف الأمة قاطبة وبهذا القول فرقوا بين إرادته تعالى التي تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية والتي لا يلزم منها المحبة والرضى[٢].

وبهذا هدى الله تعالى أهل السنة لأحسن القول فميزوا وفرقوا بين الأمرين، وخلصوا بالحق بين الضلالتين، وهذا عنوان وسطيتهم المستمدة من كتاب الله تعالى وسُنه رسوله ﷺ وآية اعتدالهم ووسطيتهم[٣].

وقد جاءت أدعية الأنبياء مبينة مفهوم القدر، فقال تعالى آمرا نبيه بالدعاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[آل عمران: ٢٦].

فالأمر بيد الله تعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء ويؤتي من يشاء ويقبض عمن يشاء، فلا شك أن كل شيء داخل تحت ملك الله ليس هناك شيء يخرج عن ملك الله وعن إرادته ومشيئته. وهو سبحانه يعطي الملك لمن يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء.

---

(١) ينظر: معارج القبول، (١/ ٢٣٠)، ولوامع الأنوار البهية، (١/ ٣٣٨).

(٢) ينظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، (٣٨٧).

(٣) المصدر نفسه.

قال ابن القفطي في قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]: (حكي عن بعض العارفين أنه بينما هو يناجي ربه ويقول في مناجاته يا رب أنت شئت وقضيت وحكمت وكتبت فنودي هذا أدب التوحيد فأين أدب العبيد فقال العارف وأنا عصيت وأنا اجترأت وأنا خالفت فسمع هاتفاً يقول وأنا سترت وأنا صفحت وأنا غفرت فافهم هذا السر فإنه لا يعقله إلا العالمون أعني هذا وما قدمته من أنه يتصرف في أفعال خلقه كيف يشاء لايسئل عما يفعل وهم يسئلون)(١).

فالخير كل الخير بيد الله تعالى، أما الشر فمن يدي العبد ومن كسبه، كما في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾[النساء: ٧٩].

قال ابن القيم رحمه الله: (وأخطأ من قال المعنى بيدك الخير والشر لثلاثة أوجه، أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف بل ترك ذكره قصدا أو بيانا أنه ليس بمراد. الثاني: أن الذي بيد الله تعالى نوعان فضل وعدل كما في الحديث الصحيح عن النبيّ ﷺ: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع»(٢). فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه، الثالث أن قول النبيّ ﷺ لبيك وسعديك والخير

---

(١) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة، أبو الحسن القفطي، (ت: ٥٩٨هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، صحيفة (٣٥).

(٢) رواه البخاري، (٧٤١١)، ومسلم، ٢/ ٦٩١(٩٩٣).

في يديك والشر ليس إليك كالتفسير للآية ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء)[١].

وجاءت أيضاً على لسان موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ۝١٥٥ ۞وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٥ ـ ١٥٦].

قال النسفي: (إن هي إلا فتنتك (ابتلاؤك) وهو راجع إلى قوله : ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾[طه: ٨٥] فقال موسى هي تلك الفتنة التي أخبرتني بها أو هي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾[الأنبياء: ٣٥] تضل بها بالفتنة من تشاء من علمت منهم اختيار الضلالة وتهدى بها من تشاء من علمت منهم اختيار الهدى)[٢].

وقال ابن عجيبة: (إن هي إلا فتنتُك) أي: ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك، حتى طمعوا في الرؤية، أو فتنتك لهم بأن أجريت الصوت من العجل حتى افتتنوا به، هذا اعتراف بالقدر، ورجوع إلى قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ [طه: ٨٥]. ولذلك قيل: إنه قال له تعالى: نعم هي فتنتي يا حكيم الحكماء أي: ما هذه

---

(١) شفاء العليل، صحيفة (٢٧١).

(٢) تفسير النسفي، (١/ ٦٠٩).

الأموركلها التي صدرت من بني إسرائيل إلا فتنتك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ﴾[الأعراف: ١٥٥] ضلالته، بإتباع المخابيل، ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] هدايته، فيقوي بها إيمانه، وهو اعتذار عن فعل السفهاء فإنه كان بقضاء الله ومشيئته[1].

قال الواحدي: (وهذه الآية من الحُجَّج الظَّاهرة على القدريَّةِ التي لا يبقى لهم معها عذر)[2].

وقد جاءت الآيات الأخرى تتكلم عن مفهوم القدر وترسخ الأيمان به، منها ما جاء على لسان نبي الله زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[آل عمران: ٤٠].

فهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على نفاة المشيئة بالكلية، وعلى نفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، فالله سبحانه يخبرنا أنّ كل ما في الكون بمشيئته وأنّ ما لم يشأه لم يكن وأنه لو شاء لكان خلاف الواقع، ولو شاء لكان خلاف القدر الذي قدّره وكتبه، وأنه لو شاء ما عُصي، ولو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحد، فكل شيء واقع بمشيئته وإن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته سبحانه، وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين، وكونه قيوم السموات والأرض، القائم بتدبير أمور عباده فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد

---

(١) تفسير البحر المديد، (٢/ ٥٥٠).

(٢) تفسير اللباب، (٩/ ٣٣٥).

إذنه وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا ربّ غيره[(١)].

فهذه الآيات توضح أن الإنسان ما كان ليتمتع بإرادة في كيانه يتجه بسرها إلى اختيار ما يشاء من التصرفات والأعمال لو لم يشأ الله سبحانه أن يضع في كيانه هذا السر العظيم[(٢)].

والأحاديث من السنة النبوية في إثبات المشيئة كثيراً جداً منها ما رواه حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله. فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص»[(٣)].

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا تأجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء»[(٤)]. وهذا لا ينفي قدرة العبد على عمله ومشيئته على الفعل، ولكنّ الله خلقهم وخلق قدرتهم على الفعل والمشيئة.

قال الشيخ الحكمي: (للعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بأقدار الله عز وجل لهم إذا

---

(١) ينظر: شفاء العليل، صحيفة (٤٤).

(٢) ينظر: أصول الدين الإسلامي، صحيفة (١٩٣).

(٣) أخرجه مسلم، (٤/ ٢٠٣٧) رقم الحديث (٢٦٤٥).

(٤) أخرجه البخاري، (١٣٦٥)، ومسلم، ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٧) وغيرهما.

شاء وأراد وحاكم جل بما أراده فلا معقب لحكمه ولاراد لإرادته ولا مناقض لقضائه وقدره وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض بل هو فعال لما يريد وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنّما يقول له كن فيكون إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون إن الله يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء لا ناقض لما أبرم ولا معارض لما حكم ولا يقال لم فعل كذا وهلا كان كذا لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون الأنبياء)[1].

وهكذا نجد أن أدعية الأنبياء ـ ههنا ـ رسخت عقيدة الإيمان بالقدر ووضحت معالمه.

* * *

*** المطلب الثالث ـ في نسبة الشَّر إلى الله تعالى:**

إن مما لا شك فيه أن الخير والشر من الله تعالى، وأنه تعالى خالق كل منهما، ومقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الزمر: ٦٢].

وقال النووي: (مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سواء خيرها وشرها)[2]. فالله تعالى خالقٌ للخير والشر، ومقدرٌ لهما، وهو ابتلاء منه تعالى لبني آدم، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ولكن هل يجوز نسبة الشر إلى الله تعالى؟.

---

(١) معارج القبول، (١/ ٢٢٣).

(٢) شرح النووي، (١٥/ ١٤٤).

قال الصابوني: (ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم ـ مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه ـ أنه لا يُضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الإنفراد... وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه)(١).

ومن الآيات التي جاءت في دعاء الأنبياء لتبين هذه الحقيقة، ماجاء في دعاء نبي الله أيوب عليه السلام وتوجهه لربه سبحانه، حين قال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]. فأيوب عليه السلام أخبر عن إصابته بالمرض، من دون أن يضيفه إليه سبحانه تأدباً منه عليه السلام مع ربه.

ومن ذلك ما أخبر به تعالى عن إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء: ٨٠]. فإبراهيم عليه السلام وإن كان يعلم أن الجميع منه، إلا انه أضاف المرَض إلى نفسه، وأضاف الشفاءَ إلى ربه عز وجل، تأدباً مع ربه سبحانه.

ومن ذلك قوله تعالى آمراً نبيه الكريم محمداً ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤].

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، صحيفة (١٠٠)، وينظر: شرح النووي، (١٥/ ١٤٠).

ومع ما تقدم من الآيات نجد أن السنة قد حصرت هذا الأمر في قول النبيّ ﷺ: «والشر ليس إليك»[(١)]، في عدم نسبة الشر إلى الله تعالى، ونسبة ما قدّره من خير إليه سبحانه. ويُعلم من ذلك أن الله تعالى هو خالق الخير والشر، ومُقدرهما، كما هو معتقد أهل السنة.

ولأهل العلم في هذه المسألة آراء تنحى كلها منحى الجمع:

قال بعض العلماء: (معنى ذلك أن الشر لا يُتقرب به إليك)[(٢)]. فالشر لا يضاف إلى الله انفراداً وقصداً، فلا يُقال: يا خالق الشر، ويا خالق القردة[(٣)]، وهو مما قال به المزي. وغيره[(٤)].

وقيل: إن المعنى: والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح[(٥)].

و قال بعض أهل العلم: معنى ذلك: أن الله لا يخلق شراً محضاً، وأن الشر الذي يخلقه تعالى ليس شرا بالنسبة إليه، لأنه صادر عن حكمة بالغة، فقضاء الله

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم ١/ ٥٣٤(٧٧١).

(٢) ينظر شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (٤/ ١٠٦)، والاعتقاد، للبيهقي، صحيفة (١٤٦).

(٣) ينظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، صحيفة (٢٩).

(٤) ينظر: شرح النووي، (١٥/ ١٤٤)، وينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، (٧/ ٤٢١).

(٥) ينظر: شرح النووي، (١٥/ ١٤٤)، وعون المعبود، العظيم آبادي (٤/ ٢٩٩).

وقدره كله خير لا شر فيه بوجه من الوجوه، وإنما يكون الشر في المقتضى الذي هو مفعوله.

ففرق بين فعل الله الذي هو فعله، فإنه كله خير، وبين مفعولاته ومخلوقاته فإن فيها الخير والشر. وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله[١]، وتلميذه ابن القيم رحمه الله[٢]، وابن أبي العز رحمه الله[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: (القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه، فإنه عِلْم الله وقدرته وكتابه ومشيئته، وذلك خير محض وكمال من كل وجه، فالشر ليس إلى الرب تعالى بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المُقضي المقدَّر، ويكون شراً بالنسبة إلى محلٍّ وخيراً بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيراً بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه، كما هو شر له من وجه، بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض)[٤].

وهذ المعنى الأخير أعم وأشمل في تنزيه الله تعالى عن الشر كما أنه الأقرب لظاهر الحديث وكل ما تقدم من الأقوال والمعاني هي أقوال ومعان صحيحة،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٤/ ٢٦٦).

(٢) ينظر: شفاء العليل، صحيفة (٣٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٢٣٢).

(٤) شفاء العليل، صحيفة (٢١٥).

يمكن أن يحمل الحديث عليها، قال ابن القيم رحمه الله: (الشر ليس إليك، معناه أجل وأعظم من قول من قال: والشر لا يُتقرب به إليك، وقول من قال: والشر لا يصعد إليك، وأن هذا الذي قالوه وإن تضمن تنْزيهه عن صعود الشر إليه والتقرب به إليه، فلا يتضمن تنْزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشر، بخلاف لفظ المعصوم الصّادق المُصَدّق، فإنه يتضمن تنْزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجه ما، لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه، وإن دخل في مخلوقاته)(١).

وقد ذكر أهل العلم أنه لم يأت قطُّ إضافةُ الشر إلى الله تعالى مفرداً، وأنه لم يأت إلا على أحد، وجوه ثلاثة(٢):

الوجه الأول: أن يدخل في عموم المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام: ١٠٢].

الوجه الثاني: أن يُضاف إلى السبب المخلوق، كقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[الفلق: ٢].

الوجه الثالث: أن يحذف فاعله كقوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن: ١٠].

❐❐❐

---

(١) بدائع الفوائد، (٢/ ٢١٤)، وينظر: القضاء والقـدر، أبو بكر أحمـد بن الحسين بن علي ابن موسى البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله عامر، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى،، الرياض، ١٤٢١هـ، (١/ ٣٦١).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صحيفة (٣٥٥)، ومجموع الفتاوى، (١٤/ ٢٦٦ و٢٩٩)، وشفاء العليل، صحيفة (٢١٩).

المبحث الثالث

أثر أدعية الأنبياء في إثبات وجود الجن

الجن في اللغة: مشتق من جَن، وهذه المادة تدل على الاستتار والاختفاء، وسمي الجن بهذا الاسم لاستتارهم، واختفائِهم عن أبصارنا، فهم مستترون عن أعين البشر(1). وفيه مطالب:

*** المطلب الأول ـ أدلة وجودهم:**

ومن الأدلة القرآنية الدالة على وجود الجن وهي على سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[الرحمن: ٣٣].

وقد خُصصت في القران الكريم سورة كاملة للحديث عن نفر من الجن آمنوا بالله تعالى حين استمعوا للقران الكريم من تلاوة النبيّ ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٣].

وجاء في الحديث مالا يحصره العد لكثرته، وبلغ مبلغ التواتر، ففي البخاري

---

(1) ينظر: القاموس المحيط، صحيفة (١١٨٧)، لسان العرب، (٧/ ١٨٥).

أن النبيّ ﷺ قال لأبي سعيد الخدري: «إذا كنت في غنمك، أو باديتك فأذنت للصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع صوت المؤذن جنٌ ولا انسٌ ولا شيءٌ إلا شهد له يوم القيامة»[١].

* * *

*** المطلب الثاني ـ حقيقة الجن، وبعض من صفاتهم:**

١ ـ الجن صنفٌ غير صنف الملائكة والانس، مخلوقين من مارج من نار، أي (من خالص النّار)[٢]. كما قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢].

٢ ـ الجن مخلوقون قبل الإنس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[الحجر: ٢٦ ـ ٢٧].

٣ ـ الجن مكلفون: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧].

فللجن قابلية للعلم والمعرفة، وان لديهم حرية الإرادة والاختيار، ومما يدل على وجود حرية الإرادة والاختيار والتحدي عندهم: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨]. فلو لم يكن للجن اختيارٌ في أفعاله لما تُحُدِي هذا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، (٧٥٤٨).

(٢) الجامع لأحكام القران، (١٧/ ١٦١).

التحدي مع الإنس أن يأتيا بمثل هذا القران[١].

٤ ـ منهم المؤمن وغير المؤمن، قال تعالى على لسان الجن: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾[الجن: ١ ـ ٢].

٥ ـ أنّ لهم ذرية وهم يتناسلون: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾[الكهف: ٥٠].

٦ ـ يحشر الجن يوم القيامة فيحاسبون على أعمالهم، أما الثواب وأما العقاب[٢]، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾[الأنعام: ١٢٨].

قال تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[الرحمن: ٣١]. وهي (دليل على أن الجن مخاطبون مكلفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالإنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك)[٣]. وقال تعالى في عقوبة الكافرين من الجن والانس: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[هود: ١١٩].

---

(١) إيماننا الحق بين النظر والدليل، إبراهيم النعمة، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (١٢/ ١١٥).

(٣) الجامع لأحكام القران، (١٧/ ١٦٩).

والكفر هو سبب العقوبة بالعذاب الذي سيلحق الكافرين من الجن، ولا تكون العقوبة إلا بعد مخالفةٍ ناشئةٍ عن تكليف، ولا يكلف الله أحدا إلا إذا كان مستوفيا لشروط التكليف.

فالجن ـ كما سبق ـ منهم من هو صالح، ومنهم من هو فاسق، وأن الشياطين هم فسقة الجن، والشيطان خلق من خلق الله تمرد على منهج الله بما أعطاه الله من حرية الاختيار في أن يطيع أو يعصي، وفي أنه رد الأمر على الآمر وهو الله سبحانه وتعالى فكفر بذلك العصيان، ثم تمادى في الكفر وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبقيه حتى تقوم الساعة[1].

والحياة الدنيا ـ لكي يكون فيها اختبار ـ لا بد أن يكون فيها إغواء وغواية ومن هنا كان إبقاء الحق سبحانه وتعالى لحياة الشيطان جزءاً من الإغواء الذي سيتعرض له الإنسان في حياته الدنيا اختباراً من الله لحبه في قلوب عباده فمن أحب الله وقاه الحق سبحانه وتعالى من إغواء الشيطان، ومن أحب المعصية والكفر والعياذ بالله سلط الله تبارك وتعالى عليه الشياطين لتزيده معصية وكفرا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[مريم: ٨٣].

وهكذا فالله تعالى، يجعل الإنسان مع من أحب فإن أحب الله تعالى كان مع الله، فيقيه الله السوء ويبعد عنه الشياطين ويحفظه من الشر، ويفتح أمامه أبواب الخير. وإن كان يحب الشيطان تركه تعالى للشياطين التي هي عدو له تقوده إلى المعصية وتجعل حياته شقاء مستديماً ويزداد إثماً على آثامه، ثم لا يأخذ معه شيئاً إلا ذنوبه.

* * *

---

(١) ينظر: عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، صحيفة (٢٠).

* المطلب الثالث ـ قدرة الجن:

١ ـ أنّ للجن القدرة على رؤية الإنس من حيث لا يرونهم، قال تعالى في صفة الشيطان وأتباعه وهم من الجن: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٢٧].

فهم (يرون الأنس لأنه تعالى خلق في عيونهم إدراكاً والإنس لا يرونهم لأنه تعالى لم يخلق هـذا الإدراك في عيون الإنس وقالت المعتزلـة الوجه في أن الإنس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها، والوجه في رؤية الجن للإنس كثافة أجسام الإنس والوجه في أن يرى بعض الجن بعضاً أن الله تعالى يقوي شعاع أبصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله في قوة أبصارنا لرأيناهم كما يرى بعضنا بعضاً ولو أنه تعالى كثف أجسامهم وبقيت أبصارنا على هذه الحالة لرأيناهم فعلى هذا كون الإنس مبصراً للجن موقوف عند المعتزلة إما على زيادة كثافة أجسام الجن أو على زيادة قوة أبصار الإنس)[1]. وهذا ما يكون في الحالات العادية، وهذا لا يمنع إمكان رؤيتهم في حالات نادرة! أو بشروط خاصة.

٢ ـ للجن قدرات كبيرة خارقة، ومهارات صناعية فائقة.

وصف الله تعالى أعمال الجن الذين كرم الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام وامتن عليه بأن سخرهم له ليقومون له بأعمال البناء والغوص في البحار، وصناعة الجفان والقدور وغيرها والأعمال الفنية كالتماثيل والصور التي كانت جائزة فجاء الإسلام وحرمها، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[ص: ٣٦ـ٣٧]. وقال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ

(١) مفاتيح الغيب، (١٤/ ٢٢٤).

وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقد حكى الله تعالى في كتابه العزيز ما جاء على لسان أحد جنود سليمان من الجن الذي سخرهم الله له، فقال الجني: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾[النمل: ٣٩].

٣ـ للجن قدرة على التشكل بالأشكال الجسمية التي نراها، بحسب استعداداتنا البشرية، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: لأ رفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبيّ ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟» قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فعرفت أنه سيعود؛ لقول رسول الله ﷺ أنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله! شكا حاجة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر، ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود، ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾[البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال

عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ـ وكانوا أحرص شيء على الخير ـ فقال النبيّ ﷺ: «أما إنه صدقك، وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قلت: لا، قال: «ذاك شيطان»(١)، وغيرها من الروايات.

وقد كان الجن يظهرون لسليمان عليه السلام، فيسخرهم في أعمال جسيمة كما سبق ذكره، وكان سليمان عليه السلام مسلطاً على عقاب المسيئين منهم، فيقرنهم في الأصفاد، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [ص: ٣٧ـ٣٨](٢).

ومما يدل على أن الإنس لايرون الجن قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فقوله: ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾[الأعراف: ٢٧] (يتناول أوقات الاستقبال من غير تخصيص، قال بعض العلماء: ولو قَدِر الجن على تغيير صور أنفسهم بأي صورة شاءوا وأرادوا لوجب أن ترتفع الثقة عن معرفة الناس فلعل

(١) أخرجه البخاري تعليقاً، (٢٣١١).

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة، صحيفة (٢٨٨)

هذا الذي أشاهده وأحكم عليه بأنه ولدي أو زوجتي جنى صور نفسه بصورة ولدي أو زوجتي وعلى هذا التقدير فيرتفع الوثوق عن معرفة الأشخاص)(١).

* * *

*** المطلب الرابع ـ علم الجن:**

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

ومما يؤيد ذلك أنّ الله تعالى سخر الجن لسليمان عليه السلام، فصاروا يمتثلون أوامره وينفذونها، ويعملون بدأبٍ مستمر وجَدٍ وسرعةٍ وإتقان، فجاءوا بالعجب العجاب في أعمالهم، وكل ذلك بأمرٍ من سليمان عليه السلام التي كانت أسيرة له ولأوامره فلا يعصونه، فكان الجن في عملهم الشاق المضني، وسليمان عليه السلام مستنداً إلى عصاه ميتاً، وهي لا تعلم بموته، فتظل مستمرةً بعملها الدؤوب خوفاً منه عليه السلام، حتى يسقط جسمه على الأرض، وهذا مما يدل على أنّ الجن لا يعلمون الغيب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾[سبأ: ١٤] (٢).

* * *

(١) مفاتيح الغيب، (١٤/ ٢٢٤)، وتفسير اللباب، (٩/ ٧٧).

(٢) ينظر: عالم الجن والشياطين، صحيفة (٢٥).

* المطلب الخامس ـ وسوسة الجن:

الشياطين هم العصاة من الجن الذين يصدون عن الحق ويدعون إلى الكفر وتكذيب الرسل، ويقومون بأعمال الشر والفساد في الأرض قد تمكنوا من إضلال أُممٍ كثيرة وغوايتها، ولكن لا يمكن أن يكون للشيطان سلطان على عقيدة الإنسان، أو أن يحمل بني آدم على ارتكاب المعاصي والمحرمات، أو يجبرهم عليها، أو توجيه إرادتهم للأعمال السيئة؛ لأن إرادة بني الإنسان إرادةٌ حرةٌ، وله الحرية التامة في الإقبال على العمل أو الإحجام عنه(١).

وقد يكون للشيطان قدرةٌ على تزيين المعاصي للناس وترغيبهم فيها، ويوسوسون لهم بارتكاب الشر، ويغرونهم بالقول والفعل، ولكن كل ذلك لا يصل إلى حد الإجبار، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[الحجر: ٤٢]. إخبار من الله تعالى بتأييده لعباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم من أي تسلط وتصرف بالإغواء(٢)، فلم يجعل الله لهم سلطاناً على بني آدم، لتكون إرادته حرة في اختيار الطريق(٣)، ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[إبراهيم: ٢٢].

وقد يأتي الشيطان إلى قومٍ بعينهم قصد غوايتهم وإضلالهم وإغرائهم

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٦٠٢)، وعالم الجن والشياطين، عمر الاشقر، صحيفة (١٦).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٩٥).

(٣) ينظر: تفسير اللباب، (١١/ ٣٧٠)، ومعارج القبول، (٢/ ٢٦١).

واستدراجهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

فعمل الشيطان ـ لعنه الله ـ ينحصر بالوسوسة الخفية، التي سرعان ما تتلاشى وتتخاذل أمام حَزمِ المؤمن وإرادته القوية الملتجئة إلى الله تعالى، فلا يمكن للشيطان أن يكون له سلطان على من تمسك بالله تعالى لأنه تعالى ملجئهم في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ، فهم يذكرون الله تعالى ويراقبونه في كل أحوالهم، فالإنسان أقوى بكثير من الشيطان، والشيطان يعلم ذلك، ولكنه قد يضعف إذا ما أعتقد أنه ضعيف.

يقول ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن: ٦]: (كان الإنس إذا نزل أحدهم بواد يخاف أهله قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، وكانت الإنس تستعيذ بالجن فصار ذلك سببا لطغيان الجن، وقالت: الإنسُ تستعيذ بنا)(١).

أما أتباع الشيطان فأنهم يسيرون خلفه، يستجيبون له، ويسلموه أمورهم، فيتسلط عليهم، قال تعالى على لسان نبيه الكريم ﷺ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٠ ـ ٢٠١].

فحدود عمل الشيطان إنما هي الوسوسة الخفية، والدعوة إلى الشر من داخل

---

(١) قاعدة في التوسل، صحيفة (٣٦٢ ـ ٣٦٣).

النفس، حيث يتبرأ يوم القيامة من أن يكون له تأثيرٌ على الإنسان في الإغواء يوم القيامة[١]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[إبراهيم: ٢٢].

وعلى ذلك يكون هناك نوعان من الوسوسة:

الأول: وسوسة الشيطان بالنسبة للإنسان.

والثاني: وسوسة النفس لصاحبها، وهنالك فرق بين وسوسة الشيطان، وسوسة النفس فمراد الشيطان هو أن يكون الانسان عاصياً، مهما كان نوع المعصية، فالشيطان لا يهمه نوع المعصية، ولكن يهمه أن تتم المعصية، وهذا الإغواء لا يأتي قسرا أو قهراً فليس للشيطان سلطان قهر على الانسان، أما وسوسة النفس فهي أن يصر الانسان على نوع معين من المعصية لا يريد غيره أي أنها تلح على صاحبها أن يرتكب معصية بذاتها ويكررها ولا تطالبه بمعصية أخرى[٢].

أما عن صلة الجآن بالإنسان: فقد بيّنا فيما سبق أن من الجن من هو صالح، ومنهم من هو فاسق، خرج عن طاعة الله تعالى، واتخذ الضلال سبيلا له، فكان له تأثيرٌ على الناس، ممن استكان بأوهامه وتخيلاته لسلطانهم، وللشيطان أساليب

(١) ينظر: البرهان في براءة الجان من التلبس في الإنسان في ضوء السنة والقرآن، د. عبد القادر المحمدي، مطبعة نبيل، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، صحيفة (١٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٧/ ٥٢٩)، وتفسير القرآن العظيم، (١/ ٧٣٧).

كثيرة في التأثير على الناس منها تزين الباطل أمام عيونهم وفي قلوبهم، قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النحل: ٦٣].

وحملهم على الإفراط والتشدد في الدين إلى درجة الغلو، والتفريط فيه إلى درجة التساهل والتهاون: ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾[آل عمران: ١٥٥].

وأستزلهم إلى التثبيط عن العمل والتسويف في التوبة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[مريم: ٨٣].

ويغريهم بإظهار النصح للناس في عملهم للمعصية أو تركهم للطاعة، والتدرج في إضلاله خطوة خطوة قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[البقرة: ١٦٨]، وتخويفه من أوليائه أو أتباعه من الجن والإنس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥]، وإلقاء الشبهات عليه في العقائد والعبادات والحلال والحرام قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ٨٣]. بالوسوسة إليهم وإضلالهم، ولكن ذكر الله تعالى يطردهم، ويمنعهم من الإيذاء.

قال ابن تيمية رحمه الله: (والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان، وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره. كما قالت الصحابة: يا رسول الله: إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به. قال: (ذاك صريح الإيمان)(١). وفي رواية: ما يتعاظم أن يتكلم به. قال: (الحمد لله الذي رد

(١) أخرجه مسلم، ١/ ١١٩(٢٠٩).

كيده إلى الوسوسة)[١]. أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهية العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه؛ فهذا أعظم الجهاد، و(الصريح) الخالص، كاللبن الصريح. وإنما صار صريحا لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحاً.

ولا بـد لعامة الخلق من هذه الوساوس؛ فمن الناس من يجيبها فيصير كافراً أو منافقاً، ومنهم من قـد غمر قلبـه الشهوات والذنوب فلا يحس بها إلا إذا طلب الدين، فإما أن يصير مؤمنا وإما أن يصير منافقا؛ ولهذا يعرض للناس من الوساوس في الصلاة ما لا يعرض لهم إذا لم يصلوا، لأن الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به؟ فلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم، ويعرض لخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة، ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم، لأنه لم يسلك شرع الله ومنهاجه؟ بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه. وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة فإنه عدوهم يطلب صدهم عن الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦][٢].

فوسائل الشيطان في الإغواء متعددة، منها نزغ وهمز ووسوسة، ومسّ، وقيل أنها بمعنى واحد، وقيل غير ذلك [٣].

---

(١) أخرجه أبو داود، (٥١١٢).

(٢) مجموع الفتاوى، (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٣٤٨).

وقد جاء في دعاء النبيّ ﷺ لما أمره الله تعالى بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[الناس: ١ ـ ٦].

وفي أمر الله تعالى نبيه بهذا الدعاء إرشاد للنبي ﷺ لكي يتعوذ بالله تعالى ربه من شر الوسواس الذي يريد إفساد دعوة النبيّ ﷺ ويطمح إلى إفساد إرشاده، فيلقي في نفوس الناس الإعراض عن دعوته ومنهجه، وفي هذا الأمر بدعاء الله تعالى كي يعيذه ويعصمه في نفسه من تسلط وسوسة الوسواس عليه، ويتمم دعوته حتى تعم في الناس. ويتبعه بعد ذلك المسلمون في التعوذ فيكون لهم من هذا التعوذ ما هو حظهم(١).

وكـذا أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يستعيذ به من نزغ الشيطان فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[المؤمنون: ٩٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٢٠٠].

فهل يستطيع الشيطان أن ينزغ رسول الله ﷺ؟! ـ حـاشاه ـ إنّ الآية لم تقل (إذا)، إنما قالت: (إما)، وإما معناها أنه يجوز أن يحدث ذلك ويجوز ألا يحدث إذن فالمسألة فرض فيه شك وعدم تأكيد لشيء لن يحدث لرسول ﷺ، ولكن لنفرض أنـه حـدث، فلماذا يحرم رسول الله ﷺ من لـذة مواجهـة الشيطان ليصفعه ويهزمه؟ فرسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا وقد وكّل بـه قرين من الجـن، قالوا: وإيّاك يـا رسول الله؟ ! فقال: وإياي؛ إلا أنّ الله

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (٣٢/ ١٨١)، ومجموع الفتاوى، (١٤/ ٤٧٨)، والتحرير والتنوير، (٣٠/ ٥٥٤).

أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»(١).

والشيطان ظهر لرسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى المسجد، ويقول الرسول ﷺ: «إنّ عفريتا من الجن تفلت عليّ البارحة ليقطع عليّ الصلاة فأمكنني الله منه فذغدته (خنقته) فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[ص: ٣٥]. فرده الله خاسئا»(٢).

يقول ابن عاشور: (الظاهر أن يكون المعطوف مواليا للمعطوف هو عليه، فيكون قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[المؤمنون: ٩٧]، متصلاً بقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[المؤمنون: ٩٦]. فلما أمر الله رسوله ﷺ أن يفوض جزاءهم إلى ربه أمره بالتعوذ من حيلولة الشياطين داعية الغضب والانتقام في نفس النبيّ ﷺ، فيكون (الشَّيَاطِينِ) مستعملا في حقيقته. والمراد من (همزات الشياطين): تصرفاتهم بتحريك القوى التي في نفس الإنسان أي في غير أمور التبليغ مثل تحريك القوة الغضبية كما تأول الغزالي في قول النبيّ ﷺ في الحديث: «ولكن الله أعانني عليه فأسلم». ويكون أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالتعوذ من همزات الشياطين مقتضيا تكفل الله تعالى بالاستجابة كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، أو أن يكون أمره بالتعوذ من همزات الشياطين مرادا به الاستمرار على السلامة منهم)(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، ٤/ ٢١٧٦ (٢٨١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١)، ومسلم ١/ ٣٨٤ (٥٤١).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ١٢١).

قال في الشفاء: (الأمة مجمعة على عصمة النبيّ ﷺ من الشيطان لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالوساوس)[(١)].

ويجوز أن تكون جملة ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧] عطفا على جملة ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾[المؤمنون: ٩٣] بأن أمره الله بأن يلجأ إليه بطلب الوقاية من المشركين وأذاهم، فيكون المراد من الشياطين المشركين فإنهم شياطين الإنس كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[الأنعام: ١١٢]، ويكون هذا في معنى قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق: ١]، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[الناس: ١ ـ ٦]، فيكون المراد: أعوذ بك من همزات القوم الظالمين أو من همزات الشياطين منهم[(٢)].

وجاء أيضاً في دعاء نبي الله أيوب عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص: ٤١]. فالتجأ إلى الله في الخلاص مما كان يوسوس إليه الشيطان في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة والإغراء على الجزع، وهو يجاهده في دفع ذلك حتى تعب وتألم على ما هو فيه من البلاء فنادى ربه ليصرفه عنه ويعينه عليه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص: ٤١]، أو كان من وسوسة الشيطان إلى غيره[(٣)].

فكون الأنبياء معصومين لا يعني أنهم ممنوعون من جهاد النفس، بل لا بدّ

---

(١) الشفا للقاضي عياض، (٢/ ٢٧٥).

(٢) التحرير والتنوير، (١٨/ ٩٨).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٧٤).

أن يبقى لهم شيء يجاهد كل منهم به نفسه فالرسول نفس بشرية فيها نوازع وشهوات، يتغلب عليها بجهاد نفسه. وإذا لم يكن لنفوس الأنبياء أمور ومواقف يجاهدونها لكانوا ملائكة.

وقد جعل الله تعالى أنبياءه من البشركي يكونوا قدوة للمؤمنين في محاربة الشيطان، وجهاد النفس والتغلب عليهما، وقد سمي بعض الأنبياء بأولي العزم. أي العزم في طاعة الله ومحاربة الشيطان.

وهكذا نرى أن إبليس لم يترك في وسوسته حتى أنبياء الله تعالى، ولكن الله تعالى عصم الأنبياء والرسل من. ونصرهم عليه.

❑❑❑

المبحث الرابع

أثر أدعية الأنبياء في إثبات تأثير السحر والحسد

* المطلب الأول ـ السحر:

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالدعاء متعوذاً من جميع الشرور في سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ١ ـ ٥].

وفي هذا الدعاء إثباتاً لوجود الحسد والسحر وتأثيرهما وتنبيهاً على عظمهما، وكثرة ضررهما.

والسحر في اللغة: هو الخفاء وما لطف من الأسباب، ومنه سمي آخر الليل سحوراً[(١)].

واصطلاحاً: (عقد ورقى وكلام يتكلم به ويكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق به بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين)[(٢)].

---

(١) ينظر: المخصص، (٤/ ٢٢)، والقاموس المحيط، صحيفة (٤٠٥)، ولسان العرب، مادة (سحر)، (٤/ ٣٨٤).

(٢) المغني، (٩/ ٢٨)، والشرح الكبير، (١٠/ ١١٢).

وقال الرازي: (لفظ السحر في عرف الشرع يختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع وإذا أطلق ذم فاعله... وقد يستعمل مقيداً فيما يمدح ويحمد روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّ من البيان لسحراً» فسمى النبيّ ﷺ بعض البيان سحراً لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته)[(١)].

والسحر مُحرمٌ في جميع شرائع الرسل عليهم السلام، وهو أحد نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: ١٠٢]. وفي الحديث: قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[(٢)].

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ به فقال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾، وهم السحرة ـ على أرجح الأقوال[(٣)].

وقال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[الفلق: ٤]، قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك، يعني السواحر قال مجاهد (إذا

---

(١) ينظر: مفاتح الغيب، (٣/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري، (٢٧٦٦)، ومسلم، ١/ ٩٢ (٨٩).

(٣) ينظر: تفسير الكشاف، (٧/ ٣٣٩)، ومفاتح الغيب، (٣٢/ ١٧٨)، وتفسير البيضاوي، (٥/ ٥٥١)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/ ٥٣٦).

رقين ونفثن في العقد)[١].

وقوله النفاثات يشمل الذكور والإناث، يقول العلامة الآلوسي: (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾، أي ومن شر النفوس السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها فالنفاثات صفة للنفوس واعتبر ذلك لمكان التأنيث مع أن تأثير السحر إنما هو من جهة النفوس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانه منها وقدر بعضهم النساء موصوفاً والأول أولى ليشمل الرجال ويتضمن الإشارة السابقة ويطابق سبب النزول فإن الذي سحره ﷺ كان رجلاً على المشهور كما ستسمع إن شاء الله تعالى وقيل أعانه بعض النساء ولكونه مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن غلب المؤنث على المذكر هنا وهو جائز)[٢].

فالآية الكريمة تدل على أن للسحر آثاراً حقيقية، وإلا لما أمر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ أن يستعيذ من شرور السحرة.

وقال المازري: (مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة. خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لاحقائق لها. وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكرأنه مما يُتعلم. وذكر فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به. وأنه يفرق بين المرء وزوجه. وهذا كله لا يمكن فيما لاحقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته. أنه أشياء دفنت وأخرجت ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام، أو المزج بين قول على ترتيب

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٨/ ٥٣٦).

(٢) روح المعاني، (٢١/ ٢٤٧).

لا يعرفه إلا الساحر. قال: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث لسبب آخر. فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهـذا الذي ادعاه بعض المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قـد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك)(١).

أما عن حقيقة السحر: فاختلف العلماء في السحر أله حقيقة ووجود وتأثير حقيقي في القلب أم هو مجرد تخييل؟.

أنكر المعتزلة(٢) وأبو بكر الرازي الجصاص(٣)، والبغوي من الشافعية(٤) جميع أنواع السحر، وذهبوا إلى أنه في الحقيقة تخييل من الساحر على من يراه، وإيهام له بما هو خلاف الواقع، وأن السحر لا يضر إلا أن يستعمل الساحر سمّاً أو دخانا يصل إلى بدن المسحور فيؤذيه، ونقل مثل هذا عن الحنفية، وأن الساحر لا يستطيع بسحره قلب حقائق الأشياء، فلا يمكنه قلب العصا حية، ولا قلب الإنسان حماراً.

وقال الجصاص: (السحر متى أطلق فهو اسم لكل أمر مموه باطل لا حقيقة له ولا ثبات، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: ١١٦].

---

(١) معارج القبول، (٢/ ٥٤٧).

(٢) تفسير الكشاف، (١/ ١١٦).

(٣) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، (١/ ٥٢).

(٤) تفسير البغوي، (١/ ١٢٨).

يعني موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى، وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[طه: ٦٦]. فأخبر أن ما ظنوه سعيا منها لم يكن سعيا وإنما كان تخييلا، وقد قيل: إنها كانت عصيا مجوفة مملوءة زئبقا، وكذلك الحبال كانت معمولة من أدم محشوة زئبقا، فأخبر الله أن ذلك كان مموها على غير حقيقته)(١).

وذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى أن السحر قسمان(٢):

القسم الأول: هو حيل ومخرقة وتهويل وشعوذة، وإيهام ليس له حقائق، أو له حقائق لكن لطف مأخذها، ولو كشف أمرها لعلم أنها أفعال معتادة يمكن لمن عرف وجهها أن يفعل مثلها، ومن جملتها ما ينبني على معرفة خواص المواد والحيل الهندسية ونحوها، ولا يمنعه ذلك عن أن يكون داخلا في مسمى السحر، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: ١١٦]. وهذا ما لم يكن خفاء وجهه ضعيفا فلا يسمى سحراً اصطلاحاً، وقد يسمى سحرا لغة، كما قالوا: (سحرت الصبي) بمعنى خدعته.

القسم الثاني: ما له حقيقة ووجود وتأثير في الأبدان. فقد ذهبوا إلى إثبات

---

(١) أحكام القرآن، (١/ ٥٢ وما بعدها).

(٢) ينظر: أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، علق عليه: محمدعبدالقادرعطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م، (١/ ٤٨)، والتحرير والتنوير، (١/ ٦٣٩)، والجامع لأحكام القرآن، (٢/ ٤٣)، وتفسير اللباب، (٢/ ٣٢٦)، وتفسير القرآن العظيم، (١/ ٣٤٥).

هذا القسم من حيث الجملة. وهو مذهب الحنفية على ما نقله ابن الهمام، والشافعية والحنابلة(١).

واستدل القائلون بتأثير السحر وإحداثه المرض والضرر ونحو ذلك بأدلة: منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ١ ـ ٥].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٠٢].

ومما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زُريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: «يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء، فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين. قلت: يا رسول الله أفلا أستخرجه؟ قال: قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شرا. فأمر بها فدفنت»(٢).

---

(١) ينظر: الفروق للقرافي، (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥ و٢٩٩)، وروضة الطالبين، (٩/ ٣٤٦)، والمغني، (٩/ ٢٨)، وفتح القدير، (٤/ ٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري، (٥٧٦٣)، ومسلم، (٥٨٣٢)

وقد نقل الإمام النووي الإجماع على حرمة السحر وأنه كبيرة من الكبائر(١)، وأدلة تحريمه كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فجعله من تعليم الشياطين وقال في آخر الآية: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾[البقرة: ١٠٢] فأثبت فيه ضررا بلا نفع(٢).

وقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٣).

وفرق بعض العلماء بين ما كان من السحر تمويها وحيلة، وبين غيره، فقالوا بإباحة الأول؛ وأنه نوع من اللهو فيباح ما لم يترتب عليه إضرار بالناس وإرهابهم، قال البيضاوي: (أما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية، أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم، وتسميته سحرا على التجوز، أو لما فيه من الدقة)(٤).

---

(١) ينظر: المجموع للنووي، (١٩/ ٢٤٠)، والفروق للقرافي، (٤/ ٢٧٧).

(٢) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن، (٢/ ٢١٤).

(٣) أخرجه البخاري، (٢٧٦٦)، ومسلم، (٢٧٢).

(٤) تفسير البيضاوي، (١/ ١٧٥)، وينظر: روضة الطالبين، (٩/ ٣٤٦).

واختلف العلماء في تكفير الساحر فذهب الحنفية والحنابلة إلى أن الساحر يكفر بفعله سواء اعتقد تحريمه أم لا[(١)].

وذهب المالكية إلى تكفير الساحر بفعل السحر إن كان سحره مشتملا على كفر، أو كان سحره مما يفرق بين الزوجين وثبت ذلك ببينة[(٢)].

وزاد الحنابلة: (أما الذي يسحر بأدوية وتدخين وسقي شيء فليس كافراً، وكذلك الذي يعزم على الجن ويزعم أنه يجمعها فتطيعه)[(٣)].

وذهب الشافعية إلى أن العمل بالسحر حرام وليس بكفر من حيث الأصل، وأن الساحر لايكفر إلا في حالتين هما: أن يعتقد ما هو كفر، أو أن يعتقد إباحة السحر[(٤)].

واختلف العلماء في حكم تعلم السحر وتعليمه دون العمل به، فذهب جمهور الفقهاء (الحنفية والمالكية والحنابلة) إلى أن تعلم السحر حرامٌ وكفر[(٥)].

---

(١) ينظر: حاشية رد المحتار، (٤/ ٢٤٤)، وفتح القدير، (١٣/ ٢٩٧).

(٢) ينظر: الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، تحقيق، محمد ابو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، (١٠/ ٢٢٤)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، (١/ ٢٣١).

(٣) الشرح الكبير، لابن قدامة، (١٠/ ١١٦)، والإنصاف، (١٦/ ١١٨)، ودقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلي (ت: ١٠٥١هـ)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، (١/ ٣٣٤).

(٤) فتح الباري، (١٠/ ٢٣٦)، والحاوي في فقه الشافعي، الماوردي، (١٣/ ٩٦).

(٥) ينظر: روضة الطالبين، (٩/ ٣٤٦)، فتح الباري، (١٠/ ٢٢٥)، ونيل الأوطار، محمد ابن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين =

وقال الشافعية: (تعليمه حرام، إلا إن كان لتحصيل نفع، أو لدفع ضرر، أو للوقوف على حقيقته)[١].

وقال الفخر الرازي: (العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور، وقد اتفق المحققون على ذلك؛ لأن العلم لذاته شريف، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]، ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجز، والعلم بكون المعجز معجزا واجب، وما يتوقف عليه الواجب فهو واجب. قال: فهذا يقتضي أن يكون العلم بالسحر واجباً فكيف يكون قبيحا أو حراما)[٢].

وأما عن عقوبة الساحر[٣]: فذهب المالكيـة إلى قتل الساحـر، لكنهم قالوا: إنما يقتل إذا حكم بكفـره، وثبت عليـه بالبينـة لـدى الإمام، فإن كان متجاهراً بـه قتـل ومالـه فيء إلا أن يتوب، وإن كان يخفيـه فهو كالزنديق[٤]

= الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، (١١/ ٤١٢ و٤٢٧).

(١) ينظر ما سبق.

(٢) مفاتح الغيب، (٣/ ٢٣٨).

(٣) ينظر: أحكـام القرآن، للجصاص، (١/ ١٢٠ - ١٢٩)، وشرح العقيدة الطحاويـة، صحيفة (٥١٩)، ومجموع الفتاوى، (٢٨/ ٣٤٦)، ونيل الأوطار، (١١/ ٤١٣ - ٤٢٠)، والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، (٧/ ١٣٤).

(٤) الزنديق: القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب. وزندقة الزنـديق: عـدم إيمانـه بالآخرة ولا وحدانية الخالق، وليس في كلام العرب زنديق، وإنما تقول العرب: زندق، وزندقي، إذا كان شديد البخل. والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة الله، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد أي طاعن في الأديان. ينظر: لسان العرب (١/ ٥١)، والمصباح المنير (١/ ٢٥٦) مادة (زندق).

يُقتل ولا يُستتاب[١]، واستثنى المالكية ـ أيضاً ـ الساحر الذمي، فقالوا: لايقتل، بل يؤدب. لكن قالوا: إن أدخل الساحر الذمي ضررا على مسلم فيتحتم قتله، ولا تقبل منه توبة غير الإسلام، نقله الباجي عن مالك. لكن قال الزرقاني: الذي ينبغي اعتماده أن ذلك يوجب انتقاض عهده، فيخير الإمام فيه. أما إن أدخل الساحر الذمي ضرراً على أحد من أهل ملته فإنه يؤدب ما لم يقتله، فإن قتله قتل به[٢].

وعند الشافعية: إن كان سحر الساحر ليس من قبيل ما يكفر به، فهو فسق لا يقتل به ما لم يقتل أحدا ويثبت تعمده للقتل به بإقراره[٣].

وذهب الحنابلة إلى أن الساحر يقتل حدا ولولم يقتل بسحره أحدا، لكن لايقتل إلا بشرطين[٤]:

الأول: أن يكون سحره مما يحكم بكونه كفرا مثل فعل لبيد بن الأعصم، أو يعتقد إباحة السحر، بخلاف ما لا يحكم بكونه كفرا، كمن يزعم أنه يجمع الجن فتطيعه، أو يسحر بأدوية وتدخين، وسقي شيء لا يضر.

الثاني: أن يكون مسلماً، فإن كان ذميا لم يقتل؛ لأنه أقر على شركه وهو أعظم من السحر، ولأن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبيّ ﷺ فلم يقتله، قالوا: والأخبار التي وردت بقتل الساحر إنما وردت في ساحر المسلمين لأنه يكفر بسحره.

---

(١) نهاية المحتاج، (٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، وروضة الطالبين، (٩/ ٣٤٧).

(٢) ينظر ماسبق.

(٣) مغني المحتاج، (٢/ ١٨٣).

(٤) ينظر: حاشية ابن عابدين، (٥/ ٥٧).

والذمي كافر أصلي فلا يقتل به، لكن إن قتل بسحر يقتل غالبا، قتل قصاصاً.

ومما احتجوا به لقتل الساحر ما روى عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف»(١).

وأما عن الوقاية من السحر إنما تكون بكمال التوحيد والتوكل على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق: ٣].

ومن أهم أسباب الوقاية هو الدعاء والاستعاذة، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»(٢). وغيرها من الأسباب التي ذكرها أهل العلم.

وهكذا نجد إثبات السحر من خلال أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالاستعاذة من شر النفاثات في عقد السحر.

* * *

* المطلب الثاني ـ الحسد:

وكذلك أمره تعالى بالاستعاذة من حسد الحاسدين، فالحسد قد يدفع صاحبه إلى سحر المحسود، كما حدث مع النبيّ ﷺ لما حسده اليهود ثم سحروه بعد ذلك.

والحسد: هو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها. فالحسد

---

(١) أخرجه الترمذي، (١٤٦٠)، وقال: (لا نعرفه إلا مرفوعاً من هذا الوجه وإسماعيل ابن مسلم المكي يضعف في الحديث).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء، (٣٣).

شر مذموم. وهي عكس المنافسة المباحة، وقد صح عن النبيّ ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»(١). يريد لا غبطة(٢).

والحسد أول ذنب عُصي الله تعالى به في السماء لما حَسَدَ ابليسُ لعنه الله أدمَ عليه السلام، وأول ذنب عصي به في الأرض، لما حسد قابيلُ أخاه هابيل.

والحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، فيتبع مساوئه، ويطلب عثراته قال ﷺ: «ثلاث لازمات أمتي: الطيرة، والحسد، وسوء الظن». فقال رجل: ما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال: «إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تتحقق، وإذا تطيرت فامض»(٣).

وقسم العلماء الحسد إلى أقسام، قال الإمام النووي: (قال العلماء: الحسد قسمان حقيقي ومجازي فالحقيقي تمنى زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي: فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة وان كانت طاعة فهي مستحبة)(٤).

وأما عن مراتب الحسد فيقول الإمام الغزالي: (وأما مراتبه فأربع:

---

(١) أخرجه البخاري، (٧٣)، ومسلم ١/ ٥٥٨(٨١٥).

(٢) ينظر: فتح الباري، (١٣/ ١٢٠).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (٣/ ٢٢٨(٣٢٢٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٧/ ٣٩٤): (فيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف).

(٤) شرح مسلم، (٦/ ٩٧).

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث.

الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها.

الثالثة: أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه.

وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾[النساء: ٣٢]، فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم)[١].

ويبين ابن القيم رحمه الله ماهية السحر فيقول: (لا ريب أن الله سبحانه خَلَقَ في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة، وجعل في كثير منها خواص، وكيفيات مُؤَثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنه أمرٌ مُشَاهَد محسوس. فأنت ترى الوجه كيف يَحْمرُّ حُمْرة شديدة إذا نظر إليه من يستحي منه ويصْفر صُفْرة شديدة عند نظر من يخافه إليه. وقد شاهد الناس من يَسْقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح ولشدة ارتباطها

(١) إحياء علوم الدين، (٣/ ١٩٢).

بالعين يُنسبُ الفعل إليها وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح. والأرواح مختلفة طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذىً بَيْناً، ولهذا أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يستعيذ به من شره، وتأثير الحسد في أذى المحسود أمرٌ لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابلُ المحسود، فتؤثر فيه بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بذلك الأفعى، فإن السُّمَّ كامن فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية)(١).

وقد حذرنا النبيّ ﷺ من الحسد لما يترتب عليه من مفاسد في الدين والدنيا، وذلك من خلال أحاديثه الشريفة، والتي سوف نذكر بعضاً منها:

روى الشيخان عن أنس أن النبيّ ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً»(٢).

وروى الترمذي عن الزبير بن العوام أن النبيّ ﷺ قال: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تَحْلِقُ الشعر ولكن تحلق الدين»(٣).

وقد ابتلي يوسف عليه السلام بحسد إخوته له حيث قالوا: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف: ٨].

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم، (٤/ ١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، (٦٠٧٦)، ومسلم ٤/ ١٩٨٣، (٢٥٥٩).

(٣) جامع الترمذي (٢٥١٠)، وقال عقبه: (صحيح).

فحسدوه على تفضيل الأب له ولهذا قال يعقوب ليوسف: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف: ٥]. ثم إنهم ظلموه بتكلمهم في قتله وإلقائه في الجبّ وبيعه رقيقاً لمن ذهب به إلى بلاد الكفر فصار مملوكاً لقوم كفار.

والحسد لا يقتصر على الأنس بل يشمل الجن معهم قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥]. فهو يعم الحاسد من الجن والإنس؛ لأن الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله تعالى من فضله كما حسد إبليس نبي الله آدم أبا البشر، فهو عدو لذريته وإن كان الوسواس أخص بشياطين الجن والحسد أخص بشياطين الإنس، والوسواس يعمهما والحسد يعمهما أيضاً فكلا الشيطانين حاسد موسوس، فالاستعاذة من شرّ الحاسد تتناولهما جميعا، فقد اشتملت السورة على الاستعاذة من كل شر في العالم وتضمنت شروراً أربعة يستعاذ منها، شراً عاماً وهو شر ما خلق، وشر الغاسق إذا وقب فهذا نوعان (١).

ويقول الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥]: من المعلوم أن الحاسد هو الذي تشتد محبته لإزالة نعمة الغير إليه، ولا يكاد يكون كذلك إلا ولو تمكن من ذلك بالحيل لفعل، فلذلك أمر الله بالتعوذ منه وقد دخل في هذه السورة كل شر يتوقى ويتحرز منه ديناً ودنياً، فلذلك لما نزلت فرح رسول الله ﷺ بنزولها لكونها مع ما يليها جامعة في التعوذ لكل أمر ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره. وبقي هنا سؤالان:

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد، (٢/ ٢٣٥).

السؤال الأول: قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[الفلق: ٢]، عام في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد، الجواب تنبيهاً على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر.

السؤال الثاني: (لِمَ عُرف بعض المستعاذ منه ونُكر بعضه؟ الجواب: عرف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسقاً لأنه ليس كل غاسق شريراً وأيضاً، ليس كل حاسد شريراً، بل رب حسد يكون محموداً وهو الحسد في الخيرات)(١).

والحسد في أصله مرض نفسي يصيب غالب النفوس ولاينجو منه إلا من عافاه الله تعالى، قال ابن تيمية رحمه الله: (والحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد. لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه)(٢). ولذلك يقول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٥٤]، وأمرنا بالتعوذ منه صباحاً ومساءً: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥]، وفي حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب» أو قال: «العشب»(٤).

---

(١) مفاتيح الغيب، (٣٢/ ٣٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٠/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري، (٥٧١٨)، ومسلم، (٤/ ١٩٨٢)(٢٥٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود، (٤٩٠٥).

ويقول الحسن البصري: (غمّه في صدرك، فإنه لا يضرك، ما لم تعتد به يد أو لسان)[١].

وأما عن علاجه، فقد ذكر ابن تيمية رحمه الله كلاما طيبا في علاجه، حيث يقول: (من وجد في نفسه حسدا لغيره، فعليه أن يستعمل معه التقوى، والصبر، فيكره ذلك من نفسه)[٢].

ولسنا في صدد التوسع في الحسد وتفريعاته، ولكن أردنا ههنا بيان أثبات مسألة الحسد من خلال أمر الله تعالى نبيه بالاستعاذة من حسد الحاسدين.

❒❒❒

---

(١) أخرجه هناد في الزهد، (١٣٩٤).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٠/ ١٢٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

في ختـام بحثي يمكنني تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها في هـذه الرسالة، وهي كما يلي:

١ ـ جاءت أدعية الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم لترسخ أصول العقيدة الإسلامية، وتبين صدق نبوتهم.

وامتازت تلك العقيدة بميزات فريدة، فهي ربانية المصدر، وشاملة لكل مجالات الحياة، واضحة بينة ميسرة، تجيب عن جميع تساؤلات الفطرة، وهي واقعية في طرحها، قوية، ثابتة، لا يطرأها النقص أو العيب.

٢ ـ ذكر أدعية الأنبياء في آيات كثيرة جداً في القرآن الذكر الحكيم الخالد عبر الأجيال، جاء لغاية عظمى، أرادها الله تعالى منزل القرآن، وكل آية إلا ولها قصد، فحاولنا ربط تلك الأدعية بثوابت العقيدة وأصولها كما قرره أهل العلم في مصنفاتهم، إذ امتازت أدعية الأنبياء بعرض العقيدة بوضوح ويسر، دون تكلف، وجاءت مصحوبة بتذلل للهّ تعالى، وخضوع له فزادها تأثيراً في النفوس، ومنه قول الله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٤].

٣ ـ ركزت معظم أدعية الأنبياء عليهم السلام على توحيده تعالى، توحيد الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات.

٤ ـ ظهر لي من خلال البحث أن أدعية الأنبياء شملت طلب خيري الدنيا والآخرة، وشملت الاستعاذة من الشر كله عاجله وآجله، فلم تقتصر على مسألة الله تعالى في أمور الآخرة، فهم بشر، يسألون ربهم الكريم ما يسأله البشر في حدود الشرع الكريم، وهذا دليل على كمال صفاتهم، ومن ذلك: الدعاء بالصبر والثبات والنصر، وطلب الفتح، وطلب التوبة والمغفرة، وطلب الرحمة، وطلب النجاة من النار، وطلب الملك، وطلب الرزق، وطلب الذرية الصالحة، وطلب الحُكْم، واللحوق بالصالحين ...إلخ

٥ ـ ظهر لي الأثر البالغ للدعاء في مباحث العقيدة، والربط الصريح بينه وبين العقيدة، فالدعاء هو العبادة، والعبادة دليل على صحة الاعتقاد، ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ١١٠].

فالله تعالى لا يقبل ادعاء محبته بغير اتباع، والاتباع عبادة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

٦ ـ بين البحث مدى اهتمام الأنبياء في أدعيتهم بعقيدة الولاء والبراء، إذ جاءت المسألة في أدعية أغلب الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم.

٧ ـ ظهر لي من خلال التتبع أنّ أدعية النبي ﷺ التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة قد شملت كل أنواع الأدعية التي جاءت على لسان الأنبياء عليهم السلام جميعاً.

٨ ـ جاءت أغلب أدعية النبي ﷺ في القرآن الكريم بصيغة الأمر من الله

تعالى (قل)، كونه تعليم لنبيه ﷺ ولأمته من جهة، وكون القرآن الكريم مخاطب به النبي محمد ﷺ من الأنبياء لذا جاء بصيغة الأمر.

٩ ـ تبين من خلال البحث أن السحر ثابت وقوعه على جميع الناس مؤمنهم وفاسقهم، خاصتهم وعامتهم، (حتى على الأنبياء في غير ما يبلغون)، ولكن أثره عليهم يختلف باختلاف المسحور، والساحر لا يغير حقيقة الأشياء، وإنما تأثيره على العين فقط.

١٠ ـ وفي مسألة سحر النبي ﷺ ظهر أنّه سحر تخيّل فقط، كما رجحه بعض أهل العلم.

١١ ـ وتبين من خلال البحث أنّ للشيطان قدرة على (المس) فقط، بمعنى الوسوسة والتزيين، أما مسألة تلبس الجن في جسد الإنس، فهي مسألة ثنائية الوجه، لا كما يروجه بعض الناس أنها مسألة أحادية، زاعمين أن منكِر التلبس منكر للسنة! وظهر لي أنْ ليس لها دليل صحيح من الكتاب أو السنة، كما ذكر بعض أهل العلم.

وتوصي الباحثة:

١ ـ ضروة تعميق دراسات العقيدة المستمدة من القرآن الكريم، بعيداً عن الخوض في المسائل الجدلية إلا بقدر الحاجة، والضرورة تقدر بقدرها.

٢ ـ ضرورة التأصيل الشرعي لكل المسائل العقدية من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وادخالها في المناهج الدراسية في المراحل الأولية، ولاسيما في المدارس الشرعية (المدارس الدينية)، وتسهيل العبارة بما يتناسب ومستوى الطلبة، بحيث يتعلق الطالب بعقيدته القرآنية بشكل أكبر.

٣ ـ ضرورة ترجمة أصول الإيمان بلغات الغرب ومخاطبة الغرب بعقيدة

القرآن الكريم فهي ميسرة وواضحة وقوية، وتدخل القلب السليم بلا استئذان.

٤ ـ الاقتداء بالأنبياء والمرسلين في ادعيتهم، ومعرفة الأدعية التي تخص الأنبياء خاصة، وتحري الأدعية المستجابة منها.

❑❑❑

ملحق
ببعض الأعلام والفرق المذكورة في البحث

١ ـ **إبراهيم بن أدهم**: (ت: ١٦١هـ) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق، زاهد مشهور. كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز. أخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة. وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة في قتال الروم. وجاءه إلى المصيصة (من أرض كيليكيا) عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالاً عظيماً، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه. وكان يلبس في الشتاء فرواً لا قميص تحته ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي، يصوم في السفر والإقامة، وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن. وكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أوجز سفيان في كلامه مخافة أن يزل. أخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبته ومسكنه ومتوفاه. ولعل الراجح أنه مات ودفن في سوفنن (حصن من بلاد الروم) كما في تاريخ ابن عساكر. الأعلام للزركلي، (١/ ٣١).

٢ ـ **ابن أَبي العِزُّ المَقْدِسي**: (٧٦٨ ـ ٨٤٦هـ)، عبد العزيز بن علي بن أبي العز البكري التيمي القرشي البغدادي ثم المقدسي: قاض فقيه. ولد ببغداد وقدم دمشق سنة ٧٩٥هـ وسكنها. ثم سكن بيت المقدس زمنا، وولي قضاء الحنابلة. وعاد إلى بغداد سنة ٨١٢هـ فولي قضاءها ثلاث سنين. وصرف، فعاد إلى دمشق، ثم إلى بيت المقدس، فالقاهرة. ثم ولي قضاء الشام مدة. ورجع إلى القاهرة فاستقر في

قضائها إلى سنة ٨٣هـ وصرف، فانقلب إلى دمشق، وأقام فيها إلى أن توفي. ويقال له: قاضي الأقاليم. من كتبه «عمدة الناسك في معرفة المناسك». الأعلام للزركلي، (٤/ ٢٣).

٣ ـ **ابن جَرير الطَّبَري**: (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ)، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له «أخبار الرسل والملوك» يعرف بتاريخ الطبري و«جامع البيان في تفسير القرآن» يعرف بتفسير الطبري، و«اختلاف الفقهاء» و«المسترشد» في علوم الدين، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. الأعلام للزركلي، (٦/ ٦٩).

٤ ـ **ابن جماعة**: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة ابن حازم بن صخر شيخنا قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، (٩/ ١٤٢).

٥ ـ **ابن حجر الهيتمي الشافعي**: (ت: ٩٧٤هـ) هو أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي بالتاء المثناة المكي الفقيه الصوفي يعتمد على تآليفه المتأخرون من الشافعية والرجل له مناصرة لبعض البدع عفا الله عنه. ينظر: فهرس الفهارس، (١/ ٣٣٧).

٦ ـ **ابن عاشُور**: (١٢٩٦ ـ ١٣٩٣هـ)، محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته

ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها «مقاصد الشريعة الإسلامية» و«أصول النظام الاجتماعي في الإسلام» و«التحرير والتنوير» في تفسير القرآن، و«الوقف وآثاره في الإسلام» و«أصول الإنشاء والخطابة» و«موجز البلاغة». ينظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ١١٧٤).

٧ ـ ابن عَجِيبة: (١١٦٠ ـ ١٢٢٤هـ)، أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري، مفسر صوفي مشارك. من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»، و«الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية» و«إيقاظ الهمم في شرح الحكم». ينظر: الأعلام للزركلي، (١/ ٢٤٥).

٨ ـ **ابن الأَعْرَابي**: (١٥٠ ـ ٢٣١هـ)، محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي أبو عبد الله، راوية، ناسِب، علامة باللغة. من أهل الكوفة. أبوه مولى للعباس بن محمد بن علي الهاشمي قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. وهو ربيب المفضَّل بن محمد صاحب المفضليات. مات بسامراء. ينظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ١٣١)

٩ ـ **ابن النَّجَّار**: (٨٩٨ ـ ٩٧٢هـ)، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، تقي الدين أبو البقاء، الشهير بابن النجار، فقيه حنبلي مصري. من القضاة. قال الشعراني: صحبته أربعين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه، وما رأيت أحدا أحلى

منطقاً منه ولا أكثر أدبا مع جليسه له «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات» مع شرحه للبهوتي. الأعلام للزركلي، (٦/ ٦)

١٠ ـ **أَبُو الحَسَن الأَشْعَري**: (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ)، علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها «إمامة الصدّيق» و«مقالات الإسلاميين» و«الإبانة عن أصول الديانة» و«اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع» ويعرف باللمع الصغير. الأعلام للزركلي، (٤/ ١١٤).

١١ ـ **أَبُو يُوسف**: (١١٣ ـ ١٨٢هـ)، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه (الرأي) وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دُعي (قاضي القضاة) ويقال له: قاضي قضاة الدنيا، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. كان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. وله «الآثار وهو مسند أبي حنيفة» و«النوادر». الأعلام للزركلي، (٨/ ١٩٣).

١٢ ـ **الآلُوسي**: (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ)، محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد،

مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل، فانقطع للعلم. من كتبه «روح المعاني». الأعلام للزركلي، (٧/ ١٧٦).

١٣ ـ **الآمِدي**: (٥٥١ ـ ٦٣١هـ)، علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرّس فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفيا إلى (حماة) ومنها إلى (دمشق) فتوفي بها. له نحو عشرين مصنفا، منها «الإحكام في أصول الأحكام» ومختصره «منتهى السول». الأعلام للزركلي، (٤/ ٣٣١).

١٤ ـ **الأوزاعي**: هو الإمام العابد الحجة الثقة عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي الفقيه روى عن كثيرٍ من التابعين، كان رأساً في العلم والعمل والإتباع، بارعا في الكتابة، كثير الصلاة والعبادة، وقيام الليل. توفي في بيروت سنة (١٥٨هـ). ينظر: تهذيب التهذيب، (٦/ ٢٣٨)، شذرات الذهب، (٤/ ٣٤١).

١٥ ـ **البزودي**: (٤٠٠ ـ ٤٨٢هـ)، علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أَبو الحسن، فخر الإسلام، فقيه أصولي، بمن أكابر الحنفية. من سكان سمرقند، نسبته إلى (بزدة) قلعة بقرب نسف. له تصانيف، منها «المبسوط»، و«كنز الوصول في أصول الفقه» يعرف بأصول البزدوي، و«تفسير القرآن» «غناء الفقهاء». الأعلام للزركلي، (٤/ ٣٢٨).

١٦ ـ **البَغَوي**: (٤٣٦ ـ ٥١٠هـ)، الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد، يلقب بمحيي السنّة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بَغَا) من قرى خراسان،

له «التهذيب» في فقه الشافعية، و«شرح السنة» في الحديث، و«لباب التأويل في معالم التنزيل» في التفسير، و«مصابيح السنة» و«الجمع بين الصحيحين» توفي بمرو الروذ. الأعلام للزركلي، (٢/ ٢٥٩).

١٧ ـ **البَيْضاوي**: (٠٠٠ ـ ٦٨٥هـ)، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» يعرف بتفسير البيضاوي، و«طوالع الأنوار» في التوحيد، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول» و«لب اللباب في علم الإعراب» و«نظام التواريخ» كتبه باللغة الفارسية، و«الغاية القصوى في دراية الفتوى» في فقه الشافعية. ينظر: الأعلام للزركلي، (٤/ ١١٠).

١٨ ـ **الجُبَّائي**: (٢٣٥ ـ ٣٠٣هـ)، محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي، من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية). له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. له (تفسير) حافل مطول، ردّ عليه الأشعري. الأعلام للزركلي، (٦/ ٢٥٦).

١٩ ـ **الجَصَّاص**: (٣٠٥ ـ ٣٧٠هـ)، أحمد بن علي الرَّازي، أبو بكر الجصاص، فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب «أحكام القرآن». ينظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ٢١٠).

٢٠ ـ **جَهْم بن صَفْوان**: (ت: ١٢٨هـ)، جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب، رأس (الجهمية) قال الذهبي: الضالّ المبدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما. كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: (لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت) وأمر بقتله، فقتل. ينظر: الأعلام للزركلي، (٢/ ١٤١).

٢١ ـ **الحُلِيمي**: (٣٣٨ ـ ٤٠٣هـ)، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله: فقيه شافعيّ، قاض. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له «المنهاج في شعب الإيمان»، قال الإسنوي: جمع فيه أحكاما كثيرة، ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره. الأعلام للزركلي، (٢/ ٢٣٥).

٢٢ ـ **الخطابي**: أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها «غريب الحديث» وكتاب «شأن الدعاء» وكتاب «إصلاح غلط المحدثين» وغير ذلك. ينظر: إنباه الرواة، (١/ ١٢٥).

٢٣ ـ **الرَّازي**: (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ)، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ، الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه «مفاتيح الغيب» و«لوامع البينات في شرح

أسماء الله تعالى والصفات» و«النبوات» «شرح أسماء الله الحسنى»، وكان واعظا بارعاً باللغتين. الأعلام للزركلي، (٦/ ٣١٣).

٢٤ ـ **الزَّجَّاج**: (٢٤١ ـ ٣١١هـ)، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدباً لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة. وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه «معاني القرآن» و«الأمالي» في الأدب واللغة، و«إعراب القرآن». الأعلام للزركلي، (١/ ٤٠).

٢٥ ـ **الزُّرْقاني**: (ت ١٣٦٧هـ)، محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الديـن، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه «مناهل العرفان في علوم القرآن». ينظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ٢١٠).

٢٦ ـ **السُّدِّي**: (ت: ١٢٨هـ)، إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: «صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس. الأعلام للزركلي، (١/ ٣١٧).

٢٧ ـ **سهل بن عبد الله التستري**: (٢٧٣ ـ ٣٤٥هـ)، محمد بن أحمد بن محمد بن عمرو، أبو عبد الله التستري، قاض من أهل البصرة. من أرقاب سهل بن

عبد الله التستري العابد المشهور. كان عالما بمذهب مالك، وصنف في (مناقبه) نحو عشرين جزءاً. قال القاضي عياض في ترتيب المدارك: طالعتها وانتقيت في هذا الكتاب، في أخبار مالك، عيونها، وله كتاب في «فضائل أهل المدينة» وكان قد ندب لتفقيه أهلها وأقام بها زمنا. وعاد الى البصرة فتقلد قضاءها مدة وصرف. وجرت له مع المعتزلة أقاصيص (كما يقول عياض) ونبت به الدار، فقصد بغداد، فمات بها عام وصوله إليها. الأعلام للزركلي، (٥/ ٣١٠).

٢٨ ـ **الشَّوْكَاني**: (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ)، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها. وكان يرى تحريم التقليد. له (١١٤) مؤلفا، منها «نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار»، و«فتح القدير» في التفسير، خمسة مجلدات، و«إرشاد الفحول» في أصول الفقه. ينظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ٢٩٨).

٢٩ ـ **الصَّابُوني**: (٣٧٣ ـ ٤٤٩هـ)، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني، مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان. لقبه أهل السنّة فيها بشيخ الإسلام، فلا يعنون ـ عند إطلاقهم هذه اللفظة ـ غيره. ولد ومات في نيسابور. وكان فصيح اللهجة، واسع العلم، عارفا بالحديث والتفسير، يجيد الفارسية إجادته العربية. له كتاب «عقيدة السلف» و«الفصول في الأصول». ينظر: الأعلام للزركلي، (١/ ٣١٧).

٣٠ ـ **طاووس**: هو الإمام التابعي طاووس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن الجندي، أحد الأعلام علما وأدبا وعملاً، أخذ عن جماعة من الصحابة، وأخذ

عنه جماعة، توفي سنة ١٠٦هـ. العبر، (١/ ٩٩)، وينظر: تهذيب التهذيب، (٥/ ٨).

٣١ ـ **الطيبي**: (ت: ٧٤٣) الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي له شرح مشكاة المصابيح. ينظر: الأعلام للزركلي، (٢/ ٢٥٦).

٣٢ ـ **عَضُد الدين الإِيجي**: (..... ـ ٧٥٦هـ)، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عَضُد الدين الإيجي، عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، وأنجب تلامذة عضاماً. وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا. من تصانيفه «المواقف» في علم الكلام. ينظر: طبقات الشافعية للسبكي، (١٠/ ٤٦).

٣٣ ـ **عمر بن عبيد**: هو عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصري ألمعتزلي القدري، اعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه، سموا المعتزلة، وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهما لا تعمدا، مات سنة (١٤٣هـ). ينظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٣).

٣٤ ـ **غيلان الدمشقي**: هو غيلان بن مسلم الدمشقي أبو مروان من البلغاء الذين أضلوا الناس، ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، واليه تنتسب فرقة الغيلانية من القدرية، أفتى الإمام الأوزاعي بقتله فصلب على باب كيسان بدمشق بعد سنة (١٠٥هـ). البداية والنهاية (٩/ ٣٤ ـ ٣٥).

٣٥ ـ **الفراء**: يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. الأعلام الزركلي، (٨/ ١٤٥)، اللباب، (٢/ ٤١٤).

٣٦ ـ **القاضي الباقِلَّانِي**: (٣٣٨ ـ ٤٠٣هـ)، محمد بن الطيب بن محمد بن

جعفر، أبو بكر، قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجّهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه «إعجاز القرآن» و«الإنصاف» و«مناقب الأئمة» و«التمهيد، في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة». الأعلام للزركلي، (٦/ ١٧٦).

٣٧ ـ **القاضي عياض**: الإمام، العلامة، الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي، ولد سنة ست وسبعين وأربع مائة. لم يحمل القاضي العلم في الحداثة، وأول شيء أخذ عن الحافظ أبي علي الغساني إجازة مجردة، وكان يمكنه السماع منه، فإنه لحق من حياته اثنين وعشرين عاماً. ينظر: سير اعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢)

٣٨ ـ **القَرَافي**: (٩٣٩ ـ ١٠٠٨هـ)، محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس، بدر الدين القرافي: فقيه مالكي، لغويّ، من أهل مصر. ولي قضاء المالكية فيها. له كتب، منها «القول المأنوس بتحرير ما في القاموس»، و«رسالة في بعض أحكام الوقف»، و«شرح الموطأ» في الحديث. الأعلام للزركلي، (٧/ ١٤١).

٣٩ ـ **القُرْطُبي**: (ت ٦٧١هـ)، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجى الأندلسي، أبو عبد الله، من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في مصر وتوفي فيها. من كتبه «الجامع لأحكام القرآن» يعرف بتفسير القرطبي، و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»،

كان ورعاً متعبداً. الأعلام للزركلي، (٥/ ٣٢٢).

٤٠ ـ **القشيري**: (٥١٤هـ) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير. زار بغداد في طريقة إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان (إطفاء للفتنة ببغداد) فذهب إليه ولقي منه إكراماً. وعاد إلى نيسابور، فلازم الوعظ والتدريس، وتوفي بها. كان ذكيا حاضر الخاطر، فصيحا، جريئاً، يحفظ كثيراً من الشعر والحكايات. له «المقامات والآداب» تصوف ووعظ. سير أعلام النبلاء، (١٣/ ٥٦٤). الأعلام للزركلي، (٣/ ٣٤٦).

٤١ ـ **القِفْطي**: (٥٦٨ ـ ٦٤٦هـ)، علي بن يوسف بن إبراهيم الشَّيْبَاني القفطي، أبو الحسن، جمال الدين، وزير، مؤرخ، من الكتاب. ولد بقفط (من الصعيد الأعلى بمصر) وسكن حلب، فولي بها القضاء في أيام الملك الظاهر، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز سنة ٦٣٣هـ وأطلق عليه لقب (الوزير الأكرم) وكان صدراً محتشماً، جماعاً للكتب، تساوي مكتبته خمسين ألف دينار، لا يحب من الدنيا سواها. ولم يكن له دار ولا زوجة. وتوفي بحلب. من تصانيفه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» و«إنباه الرواة على أنباه النحاة» و«الدر الثمين في أخبار المتيمين». الأعلام للزركلي، (٥/ ٣٣ ـ ٣٤).

٤٢ ـ **اللحياني**: هو أبو الحسن علي بن حازم، اللغوي المشهور، (ت: ٢١٥)، وقد افاد ابن سيده من كتبه في تأليف (المخصص). ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تاريخ العلماء النحويين، له تصانيف كثيرة، منها «أسماء الخيل وفرسانها» و«تاريخ القبائل» و«النوادر» في الأدب و«تفسير الأمثال» و«شعر الأخطل» و«معاني الشعر» و«الأنواء» رسالة، و«البئر» رسالة، و«الفاضل» أدب، و«أبيات

المعاني». الأعلام للزركلي، (٦/ ١٣٠).

٤٣ ـ المازَري: (٤٥٣ ـ ٥٣٦هـ)، محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية. نسبته إلى (مازر) بجزيرة صقلّيّة، ووفاته بالمهدية. له «المعلم بفوائد مسلم» في الحديث، ومن كتبه «التلقين» في الفروع، و«الكشف والإنباء» في الرد على الإحياء للغزالي، و«إيضاح المحصول في الأصول» وكتب في الأدب. ينظر الأعلام للزركلي، (٦/ ٢٧٧).

٤٤ ـ مجاهد بن جبر: (٢١ ـ ١٠٤هـ)، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلى (بئر برهوت) بحضرموت، وذهب إلى (بابل) يبحث عن هاروت وماروت. أما كتابه في «التفسير» فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يَسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود. ويقال: أنه مات وهو ساجد. الأعلام للزركلي، (٥/ ٢٧٨).

٤٥ ـ معبد الجهني: هو معبد بن عبد الله بن علي الجهني البصري، أول من قال بالقدر وكان ممن سمع الحديث عن ابن عباس وعمران بن حصين وانتقل إلى المدينة، ونشر مذهبه فيها وكان قد تلقاه من رجلٍ نصرانيٍ يسمى سوسن، وأخذ عن معبد بن غيلان الدمشقي، قتله عبد الملك بن مروان وصلبه سنة (٨٠هـ). الكامل لأبن الأثير، (٤/ ٧٥).

٤٦ ـ الوَاحِدي: (.... ـ ٤٦٨هـ)، علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوية،

أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الريّ وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور. له «البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» كلها في التفسير، وقد أخذ الغزالي هذه الأسماء وسمى بها تصانيفه، و«شرح ديوان المتنبي» و«أسباب النزول» و«شرح الأسماء الحسنى» وغير ذلك وهو كثير. والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل ابن مهرة. الأعلام للزركلي، (٤/ ٢٥٥).

٤٧ ـ **واصل بن عطاء**: هو واصل بن عطاء البصري، الغزال المتكلم البليغ المتشدق، الذي كان يلثغ بالراء فلبلاغته هجر الراء وتجنبها في خطابه، قال عنه أبو الفتح الازدي: رجلُ سوءٍ كافر، كان من أجلاء المعتزلة مات سنة (١٣١هـ). ينظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (٤/ ٣٢٩).

٤٨ ـ **وَهْب بن مُنَبِّه**: (٣٤ ـ ١١٤هـ) الابناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين لا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء ولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل، ووجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر. اتهم بالقدر، ورجع عنه. ويقال: ألف فيه (كتاباً) ثم ندم عليه. وحبس في كبره وامتحن. قال صالح بن طريف: لما قدم يوسف بن عمر العراق، بكيت، وقلت: هذ الّذي ضرب وهب بن منبه حتى قتله. وفي «طبقات الخواص» أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة. من كتبه «ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم

وأشعارهم» رآه ابن خلكان في مجلد واحد، وقال: هو من الكتب المفيدة. وله «قصص الأنبياء» و«قصص الأخيار» ذكرهما صاحب كشف الظنون. الأعلام للزركلي، (٨/ ١٢٥).

ومن أهم الفرق المذكورة في البحث:

١ ـ **الإمامية**: هم القائلون بإمامة (علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه) بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً، وقد ساقهم هذا القول إلى الطعن في كبار الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم، كما أنهم لم يثبتوا على الأئمة بعد الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام على رأي واحد. المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، (٢/ ٣٢٣).

٢ ـ **الجبرية**: هم الغلاة في نفي استطاعة العبد على الفعل ونفي الاختيار له، ويصعب تعيين المبدأ لهذه الفكرة ولكن من الجزم القول أن القول بالجبر الجعد بن درهم قد شاع في العهد الأموي وكثر حتى صار مذهبا في آخره، وقيل أن ذلك نشأ في عهد الصحابة الكرام وجذور الفكرة تصل إلى عهد النبي ﷺ، ومن أبرز أقوالهم:

١ ـ فناء الجنة والنار.

٢ ـ وأن القران مخلوق.

٣ ـ ونفي رؤية الله في تعالى يوم القيامة. ينظر: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، (٢/ ١٦٩).

٣ ـ **الجهمية**: اتباع جهم بن صفوان الذى قال بالإجبار والاضطرار الى الاعمال وانكر الاستطاعات كلها وزعم ان الجنة والنار تبيدان وتفنيان:

ومن أهم أقوالهم:

١ ـ زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط.

٢ ـ وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال الى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به.

٣ ـ زعم أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد وقال لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود وحى وعالم ومريد ونحو ذلك. ينظر: الفرق بين الفرق صحيفة (١٩٩).

٤ ـ **الخوارج**: ويقال لهم الحرورية والنواصب وهم الذين كانوا في جيش علي ثم خرجوا عنه بعد التحكيم فحاربهم وقتل منهم خلقا كثيرا في النهروان. ويجمع الخوارج على تكفير علي لقبوله بالتحكيم، وتكفير الحكمين ومن رضي بالتحكيم. وهم طوائف كثيرة أوصلها الأشعري إلى أكثر من خمس وعشرين طائفة. منهم من يغالي في عدائه للمخالفين، ومنهم من يلين بعض الشيء وان كانت الغلظة سمة بارزة في جميعهم. وأهم فرقهم الأزارقة والنجدات والاباضية. أنظر مقالات الإسلاميين: ١٥٦ وما بعدها. والفرق بين الفرق ٥٦.

٥ ـ **الأشاعرة**: فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي موسى الأشعري الذي أسس مذهباً له بعد تركه الاعتزال. وأبرز النقاط التي يلتقي عليها الاشاعرة هي:

١ ـ اتفاقهم على إثبات صفات الله تعالى وردت في النصوص الصحيحة ولذلك يسمون (الصفاتية).

٢ ـ اتفاقهم على ان كلام الله صفة لله وهو غير مخلوق.

٣ـ اتفاقهم على صحة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

٦ـ **القدرية**: وهم القائلون بأن الإنسان حر الإرادة وله القدرة على أعماله، وأن القدر خيره وشره من الله تعالى. وقد اختلف في أول ظهور لهذه الفرقة، فقد قيل ان مسألة القدر وردت في حديث النبي ﷺفي قوله: «القدرية مجوس أمتي». وكذلك قوله ﷺ: «القدرية خصماء الله في القدر» وقيل أيضا أن المسلمين خاضوا في آخر عهد الخلفاء الراشدين في مسألة القضاء والقدر وظهرت مسألة الجبر والاختيار، وان أول القائلين بهذا القول هو معبد الجهني. المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، (٢/ ١٧٢).

٧ ـ **الكرامية**: وهم من فرق المرجئة أصحاب محمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان. وهم على أصناف: حقاقية وطرايقية واسحاقية.

ومن أقوالهم:

١ ـ زعموا أن معبودهم محل للحوادث.

٢ ـ زعموا أن أقوالهم وارادتهم وإدراكاتهم للمرئيات وإدراكاتهم للمسموعات أعراض حادثة فيه وهم محل لتلك الحوادث الحادثة.

٣ ـ منعوا من وصف الأعراض الحادثة فيه بأنها مخلوقة أو مفعولة او محدثة.

٤ ـ زعموا أيضا أنه لا يحدث فى العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فى ذات معبودهم. ينظر: مقالات الاسلاميين صحيفة (١٢٠)،

والفرق بين الفرق صحيفة (٢٠٤)، والتبصير في الدين، صحيفة (٩٩ ـ ١٠٤).

٨ ـ **المعتزلة**: وهم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد. وعمدة كلامهما في التوحيد والصفات والقدر والتسمية بالفسق والإيمان والوعيد. فهذه جل مباحثهم وقد اتفقوا بمختلف طوائفهم على مسائل محددة منها:

١ ـ نفي زيادة الصفات على الذات كالعلم والقدرة بل يقولون هو عالم بذاته.

٢ ـ استحالة رؤية الله تعالى.

٣ ـ وأن كلام الله ليس صفة له وإنما هو مخلوق له وكذا أمره ونهيه فالقران مخلوق.

٤ ـ وأن الله غير خالق لأكساب الناس وإنما الناس يقدرون على أعمالهم.

٥ ـ وأن الفاسق أو مرتكب الكبيرة هو بمنزلة بين منزلتين الإيمان والكفر.

وأما سبب تسميتهم بالمعتزلة فمعروف في تاريخ الفرق. وملخصه أن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد كانا من تلامذة الحسن البصري، ولما أحدثا مذهباً جديداً اعتزلا مجلس الحسن فسموا معتزلة. مقالات الإسلاميين:

١/ ٢١٦ والفرق بين الفرق: ٧٨ ـ ٧٩.

٩ ـ **المجوس**: هم القائلون بأن الله خالق الخير وهو النور وخرجت الظلمة من النور، ويعبدون النار ويسجدون للشمس إذا طلعت. انظر الملل والنحل (١/ ٢٣٣)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، صحيفة (٥٧).

❑❑❑

المصادر والمراجع
بعد القرآن الكريم

*** حرف الألف:**

- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- البيان والتبين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلا طبعة، ١٩٧٤م.
- الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الخضيري، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار الوطن، الرياض.
- أحكام العيدين، أبو بكر جعفر بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (ت: ٣٠١هـ)، تحقيق: مساعد سليمان راشد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٠٥هـ.
- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، علق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن

عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

ـ إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق ـ كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

ـ أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس، محمود بن عبد الرازق بن عبد الرازق بن علي الرضواني، مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨ م.

ـ اسماء الله الحسنى واثرها في سلوك الانسان، طالب محمود ابو سنينه دار المحبة، دمشق ودار آية بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٥م

ـ الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعةالأولى، ١٩٩٣م.

ـ الاشارات والتنبيهات، الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (ت: ٤٢٨هـ)، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٠م.

ـ اشتقاق أسماء الله الحسنى، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت: ٣٤٠هـ)، تحقيق عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

ـ أصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان ود. قحطان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

ـ أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

ـ أصول الدين للبغدادي، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت: ٤٢٩هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي.

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥.

ـ إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (ت: ١٣٠٨هـ)،

تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

ـ الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

ـ أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

ـ أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (ت: ١٠٣٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار عالم الكتب، الطبعة السابعة، ١٩٩٩م.

ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعةالأولى، ١٤١٨هـ.

ـ أوضح المسالك إلى ألفية إبن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.

ـ إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى ابن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (ت: ٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

ـ إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن

جماعة الكناني الحموي الشافعي بدر الدين (ت: ٧٣٣هـ)، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

ـ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: : ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م

ـ الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد نعيم ياسين، الندوة العالمية للشباب، الرياض.

ـ إيماننا الحق بين النظر والدليل، إبراهيم النعمة، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

* * *

* حرف الباء:

ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

ـ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

ـ بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ـ عادل عبد الحميد العدوي ـ أشرف أحمد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م،

ـ البرهان في براءة الجان من التلبس في الإنسان في ضوء السنة والقرآن، د. عبد القادر المحمدي، مطبعة نبيل، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.

ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي

(ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى.

* * *

* حرف التاء:

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
ـ تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
ـ طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
ـ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
ـ تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.
ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (ت: ٤٧١هـ). تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
ـ التوصل إلى حقيقة التوسل، محمد نسيب الرفاعي، بدون معلومات.
ـ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعةالأولى، ١٤٢٤هـ.
ـ التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
ـ تفسير اسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي

(ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

- تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧.
- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي

أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
ـ تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، لهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
ـ التوبة إلى الله، يوسف القرضاوي، التوبة إلى الله، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

* * *

* حرف الجيم:
ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
ـ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م
ـ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م.
ـ جلاء الأفهام، محمد بن أبو بكر ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
ـ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين الآلوسي (ت: ١٣١٧هـ)، مطبعة المدني، ١٩٨١م
ـ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبو بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار المعرفة - المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

* * *

* حرف الحاء:

- حادي الأرواح محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين الكافية الشافية الشيخ عبد الرحمن السعدي، نشر دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور «الشاه ولي الله الدهلوي» (ت: ١١٧٦هـ)، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- حجية السنة، د. عبد الغني عبد الخالق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة، أبو الحسن القفطي (ت: ٥٩٨هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

* * *

* حرف الخاء:

- الخصائص الكبرى، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٥م.
- خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض.

* حرف الدال:

ـ درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ الدُّرِّ المَنْثُورِ في التفسير بالمأثور، أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.

ـ دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، وداد طاهر محمد، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١٠م.

ـ دعاء الأنبياء والصالحين، محمد متولي الشعراوي، جمع واعداد سعيد عثمان، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

ـ الدعاء ومنزلته من العقيدة الاسلامية، أبو عبد الرحمن بن خضر العروسي، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.

ـ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

ـ دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلي (ت: ١٠٥١هـ)، عالم الكتب، الطبعةالأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ دقائق التفسير، ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد السعيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية.

* * *

* حرف الذال:

ـ الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير القرافي (ت: ٦٨٤هـ)، تحقيق، محمد ابو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

ـ ذم التأويل، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم

الدمشقي الحنبلي، ابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

* * *

*** حرف الراء:**

- الرد على البكري، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان، إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (ت: ١٢٤٦هـ)، نقلها للعربية وقدم لها: أبو الحسن علي الحسني الندوي (ت: ١٤٢٠هـ)، دار وحي القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين (ت: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢م.
- رسالة التوحيد، محمد عبده، (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦ م)، دار الكتاب العربي.
- رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، جمعه ورتبه وفهرسه الفقير إلى الله عبد الرحمن الشامي.
- الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
- ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

* * *

* حرف الزاي:

- زاد المعاد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعةوالعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر القاسمي، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م
- الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.

* * *

* حرف السين:

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- سنن الدارمي، عبد الله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

* * *

* حرف الشين:

- شأن الدعاء، الخطابي حمد بن محمد أبو سليمان (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى.

- الشرح الكبير، عبدالرحمن بن قدامه، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله الرازي اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد ابن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣م.
- شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، أحمد بن محمد المالكي الصاوي (ت: ١٤٢١هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م
- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- شرح العقائد النسفية، سعد الدين بن مسعود التفتازاني (ت: ٧٩١هـ)، مطبعة المثنى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
- شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (ت: ٧٩٣هـ)، دار المعارف النعمانية، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- شرح جوهرة التوحيد، المسماة (تحفة المريد)، إبراهيم بن محمد البيجوري (ت: ١٢٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م
- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء - عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- الشورى بين النظرية والتطبيق، د. قحطان الدوري، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٤م.
- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس (ت: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

* * *

* **حرف الصاد:**

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي أبو حاتم البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت: ١٤١٥هـ)، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الدرر السنية، دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعةالأولى، ١٤٠٨هـ

* حرف الطاء:

- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- طريق الهجرتين، محمد بن أبي بكر، ابن القيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم ـ الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

* * *

* حرف العين:

- عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- العقيدة الإسلامية الميسرة، د. محمد عياش الكبيسي، دار السلام، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- العقيدة الإسلامية وأسسها، د. عبد الرحمن الميداني حبنكة، دار القلم، دمشق ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، الشيخ د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- عقيدة السلف أصحاب الحديث، إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

ـ العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة العاشرة، ١٩٩٥م.
ـ عمل اليوم والليلة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعةالثانية، ١٤٠٦هـ.
ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

* * *

* حرف الفاء:

ـ الفاروق عمر بن الخطاب، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م
ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق،، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
ـ فتاوى العز بن عبد السلام السلمي الشافعي (ت: ٦٦٠هـ)، بتعليق عبد الرحمن بن عبد الفتاح، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.
ـ فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
ـ الفتح المبين شرح حديث الأربعين، للهيتمي أحمد بن حجر (ت: ٩٧٤هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

ـ الفروق، ويسمى أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القرافي (ت: ٦٨٤هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، بلا سنة طبع.

ـ الفقه الأكبر، أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت: ١٥٠هـ)، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

ـ فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى.

ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت: ١٣٨٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.

ـ الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ م

ـ الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت: ١١٢٦هـ)، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

ـ الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر.

* * *

*** حرف القاف:**

ـ القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م.

ـ قاعدة في التوسل والوسيلة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
ـ القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي ابو حبيب، دار الفكر، دمشق ـ سورية، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
ـ القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
ـ قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.
ـ القضاء والقدر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله عامر، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
ـ القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة عشر، ٢٠٠٥ م.
ـ قواعد الأحكام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (ت: ٦٦٠هـ)، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩١ م.
ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

* * *

*** حرف الكاف:**

ـ كتاب التوحيد، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

ـ كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت: ٧٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

* * *

* حرف اللام:

ـ اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

ـ لمحات في علوم القرآن، بدون معلومات.

ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

ـ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق د. حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م.

ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

* * *

* حرف الميم:

ـ متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم بيروت، ١٤١٩هـ.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م.
- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.
- المحلى، ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم ـ الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م،
- مراقي الزلفى لابن العربي، بدون معلومات.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد الرحماني المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

ـ المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، لابن الهمام (ت: ٨٦١هـ)، مع شرحها المسامرة لكمال بن أبي شريف (ت: ٩٠٥هـ)، دائرة المعارف الإسلامية بعناية احتشام الحق، كراجي، باكستان.

ـ المستدرك على الصحيحين، للامام الحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي رحمهما الله، طبعة إشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

ـ مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، در ابن خزيمة، الطبعة الأولى.

ـ المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

ـ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار)، دار الدعوة.

ـ معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، تحقيق: عبد السلام محمد هَارُون، اتحاد الكُتاب العرب، ٢٠٠٢م.

ـ المغني أبو محمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، ١٩٦٨م.

ـ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العبَّاس أَحْمَدُ بن أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ القرطبيُّ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي، بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفاف والجابي، قبرص، ١٩٨٧م.
- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.
- موسوعة فقه القلوب في ضوء القران والسنة، محمد بن ابراهيم بن عبد الله التويجري، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٢م- ٢٠١١هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي

(ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.
- المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي البخاري الجرجاني (ت: ٤٠٣)، تحقيق: حلمي فودة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: عطية محمد سالم، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب، الجابي، الجفان والجابي - قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
- المواقف، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار أبو الفضل، عضد الدين الإيجي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

* * *

* حرف النون:
- الانتصار والرد على ابن الراوندي.
- الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.
- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار

الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م،

ـ نهاية الأقدام في علم الكلام، للشهرستاني، بلا دار طباعة ولا سنة.

ـ النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الحمود النجدي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

ـ نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

* * *

*** حرف الواو:**

ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ .

ـ الدعاء بين التضرع والاعتداء، مبروك عطية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

ـ وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراة)، محمد باكريم محمد با عبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ـ ١٩٩٤م.

ـ الولاء والبراء بين السماحة والغلو، بقلم، د. حاتم بن عارف بن ناصر الشريف.

* * *

*** حرف الياء:**

ـ اليوم الآخر، القيامة الكبرى، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥ م.

❑❑❑

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

أثر أدعية الأنبياء في إثبات الألوهية

الفَصْلُ الرَّابِعُ

أثر أدعية الأنبياء في إثبات الغيبيات

الموضوع	الصفحة

□□□